

روبيرت فان فورست

ترجمة: وسيم حسن عبده

مراجعة وتعليق: د. منذر الحايك

يسوع المسيح

خارج العهد الجديد

مدخل إلى الأدلة القديمة

صفحات

يسوع المسيح

خارج العهد الجديد

مدخل إلى الدليل القديم

نحو فكر

حضاري متجدد



الكتاب: يسوع المسيح خارج العهد الجديد

تأليف: روبيرت أي. فان فورست

ترجمة: وسيم حسن عبده

الإصدار الأول 2011 م

عدد النسخ: 1000

عدد الصفحات: 264

الغلاف: م. جمال الأبطح

التدقيق اللغوي: بديع عبيد

الإشراف العام: يزن يعقوب /جوال 00963 933 418 181

الإخراج الفني: فؤاد يعقوب /جوال 00963 933 902 764

لدار

صفحات للدراسات والنشر

سورية - دمشق - ص.ب: 3397

هاتف: 095 13 22 11 00963

تلفاكس: 013 33 22 11 00963

www.darsafahat.com
info@darsafahat.com

الترقيم الدولي ISBN
978-9933-402-66-2

روبيرت أي. فان فورست

يسوع المسيح

خارج العهد الجديد

مدخل إلى الدليل القديم

ترجمة: وسيم حسن عبده

مراجعة وتعليق: د. منذر الحايك



عنوان الكتاب الأصلي:

Jesus Outside the New Testament

An Introduction to the Ancient Evidence

Robert E. Van Voorst

الفصل الأول

يسوع خارج العهد الجديد

تمهيد

يعدّ يسوع الناصري[1]، بشكلٍ جدليّ، أكثر الشخصيات تأثيراً في التاريخ، فمن خلال العقيدة المسيحيّة، وهي أكثر الأديان انتشاراً في العالم وأكثرها تعداداً، كان ليسوع تأثيرٌ مباشرٌ على الحضارة الغربية، وتأثيرٌ غير مباشر على العديد من الحضارات الأخرى. كما أن العديد من أتباع أديانٍ أخرى يعرفون عن يسوع ويتأثرون بتعاليمه في يومنا هذا[2]. كما أن تعاليم يسوع تجذب حتى بعض الملحدين والمشككين[3] الذين يدّعون العيش حسب عظة الجبل، أو «قاعدتها الذهبية»[4]. أمّا بالنسبة للباحثين، فيُعدّ يسوع من شخصيات الماضي القياديّةً، فالعديد من الكتب والمقالات قد كُتبت عن يسوع أكثر مما كُتب عن أيّ شخصٍ آخر، كما أن البحث عن يسوع التاريخيّ يُعدّ واحداً من أكبر المشاريع طويلة الأمد في الدراسات الإنسانيّة. ورغم ذلك فإن مقدار وكثافة الدراسة الأكاديميّة ليسوع تشير إلى أن الاهتمام به هو أكثرُ من اهتمامٍ تاريخيّ أو دراسيّ، فالاهتمام العميق لمعظم الناس بحياة يسوع وتعاليمه لا ينبع من دراسةٍ تاريخيّةٍ، بل من إيمانٍ بيسوع المسيح على أنه ابن الله ومخلّص العالم. وبالنسبة لهم، هو ليس «يسوع التاريخيّ» فحسب، وليس كما لقّبه باحثٌ بريطانيٌ هزليّ: «الراحل يسوع المسيح ذو الشهرة الإنجيليّة»، بل يسوع المسيح السيد الحيّ.

وبسبب الأهمية العلمية والدينيّة ليسوع فإنّ الدراسات التي تتناوله غالباً ما تُؤجج خلافاتٍ حادّةٍ، حيث لا يتفق الباحثون على طرق ونتائج دراسة العهد الجديد. ويزيد من النزاع الرؤى الجديدة المُستقاة من مصادر خارج العهد الجديد. وقد امتدت بعض النقاشات الأكاديميّة، التي تتناول يسوع، إلى الكنيسة، وحتى إلى عامّة الناس، حيث تصبح مثل هذه الأبحاث أكثر إشكاليّةً لأنها تلامس بشكلٍ مباشر قضايا أساسيّة من الإيمان.

منذ انتشار وسائل الإعلام نالت الأوجه الجدلية لدراسة يسوع اهتماماً كبيراً عبر الصحف والمجلاّت، على سبيل المثال: فإن بعض الصحف الألمانية حين غطّت النزاعات التي تتناول يسوع، في بداية القرن العشرين، ساهمت في تأجيجها. وحوالي نهاية القرن العشرين في 8 نيسان 1996، كان موضوع القصّة الأساسيّة لكلّ من صحيفة التايمز وصحيفة نيوزويك وصحيفة أخبار أمريكا وتقارير العالم، وهي الصحف الإخبارية الكبرى في أمريكا، النِقاشات الراهنة حول يسوع، وبالأخص «ندوة عيسى»[5]. وغالباً ما تصوّر بعض البرامج التلفزيونيّة الخاصّة والأفلام الوثائقيّة، في أوروبا وأمريكا، يسوعَ بطرقٍ أكثر جدليّه مما يفعله الإعلام المطبوع، فقد كانت المعالجات

الروائيّة ليسوع جدليّة جداً، والتي كانت في بعض الأحيان مبنيّةً على دراسات غير دقيقة، وابتدأت من رواية «نيكوس كازانتزاكس» [6] «الإغواء الأخير للمسيح» [7]، حتى رواية «نورمان ميلر» «الإنجيل وفقاً للابن» [8]، وفي حال تمّ تحويل هذه الروايات إلى أفلام فسيستعر الجدل حول تقديمها لشخصيّة يسوع. يبتدئ «باول فيرهوفين»، أحد أعضاء «ندوة عيسى» ومخرج الأفلام: «الشرطي الآلي، فتيات الاستعراض، الخيّالة النجوم»، العملَ على أحد الأفلام الرئيسيّة عن يسوع معتمداً على رؤى «ندوة عيسى» حول يسوع، وفي حال تمّ إنجاز هذا الفيلم وتوزيعه فيمكننا أن نتوقع جدلاً أكبر، لكنه، على الأغلب، أقصر من ذلك الذي لاقته وقائع «ندوة عيسى» المطبوعة.

ختاماً، لقد أصبحت النقاشات والجدالات حول يسوع أمراً شائعاً على الأنترنت الآن، وكما هو حال معظم نقاشات الأنترنت، فإن ازدهارها قائم على أساس الجدل الحرّ.

لمحة عن البحث

لقد أدى الاهتمام الدائم بيسوع، سواء كان ذلك الاهتمام مدفوعاً بالعواطف أو المنطقية، إلى بحث مطول ومكثّف في المصادر القديمة التي تناولته. ولطالما شكل العهد الجديد المصدرَ الأساسيّ، وغالباً الوحيد، لفهمنا حياة يسوع وتعاليمه. وحتى نحو مئة عام خلت لم يخرج الباحثون عن مفاهيم العهد الجديد في أبحاثهم حول يسوع، وإن حدث ذلك فقد كان قليلاً جداً. وتجتمع ثلاثة عوامل في تفسير هذا النقص في البحث:

الأول، أن العهد الجديد حظي بموقعٍ كنسيّ قانونيّ حصريّ في الكنيسة والمجتمع الأكاديميّ، وكان أي شيء يُقال عن يسوع في الأدب القديم يُعطى قيمةً ثانويّة. وحتى لو تمتعت المواد الخارجة عن نطاق العهد الجديد بمصداقيّة، فلم يكن لها إلاّ أن تؤكّد صحة ما ترويه الأناجيل الكنسيّة القانونية.

ثانياً، غالباً ما قوّضت الأبحاث من قيمة الشواهد الصغيرة عن يسوع، والتي وجدت خارج العهد الجديد، إن في الكتابات الرومانيّة الكلاسيكيّة أو الكتابات اليهوديّة والمسيحيّة. وغالباً ما كان يُنظر إلى الأدب المسيحيّ الخارج عن نطاق الكنيسة على أنه أقلّ درجةً من العهد الجديد، ويُعتمد عليه بشكلٍ أدبيّ وغير مهمّ من أجل فهم يسوع.

ثالثاً، حتى النصف الثاني من القرن العشرين كان هنالك كتابات حول يسوع في العهد الجديد أكثر مما وجد خارجه. ولم يوجد إلا مجموعة صغيرة من الكتابات المسيحيّة الغنوصيّة[9]، والأناجيل المنتحلة[10]. كما أن معظم معرفتنا بالغنوصيّة جاءت من آباء الكنيسة[11] المناهضين لها في القرن الثاني،وقد تغيّرت هذه الحالة بشكلٍ كاملٍ تقريباً في عصرنا الحاضر.

وفيما لا يزال العهد الجديد قانونياً بالنسبة للكنيسة، إلا أنه لم يعد يتمتع بتلك المكانة الخاصة في معظم الأبحاث، حيث أن معظم الباحثين في العهد الجديد، وآخرون من المؤرّخين للعصور القديمة، يتطلعون إلى الكتابات المسيحيّة الخارجة عن نطاق الكنيسة باهتمامٍ كبير، ويولي بعض الباحثين قيمةً أعلى لهذه الكتابات على الكتابات الكنسيّة القانونية. إنّ تحسّن العلاقات بين اليهود والمسيحيين، بالإضافةِ لتقدّم الأبحاث حول الرابط بين اليهوديّة والمسيحيّة الباكرة، أدّى إلى دراسةٍ أكثر جدوى وموضوعيّة للنصوص اليهوديّة التي تتناول يسوع. إن اثنين من الاكتشافات

الأدبيّة في منتصف القرن العشرين قد أدّت إلى إيلاء اهتمام أكبر بالأدب الخارج عن نطاق الكنيسة، فمخطوطات البحر الميّت ألقت بضوء جديد على الوضع الديني اليهودي في زمن يسوع. كما أن مخطوطات نجع حمادي المكتشفة في رمال مصر قد أعطتنا مدخلاً مباشراً للرؤى المسيحيّة الغنوصيّة خلال العهود المسيحيّة الأولى. ومع اكتشاف مخطوطات نجع حمادي أصبح لدينا الآن مواد إنجيليّة خارج نطاق الكنيسة أكثر من المواد الكنسيّة القانونية. في الوقت ذاته، زاد البحث عن مصادر أدبيّة للأناجيل الكنسيّة القانونية. ويُعرف المصدر الافتراضيّ لأقوال يسوع الموجودة في كلّ من إنجيليّ متّى ولوقا بوثيقة «Q»[12]، التي تُعتبر الآن من قبل العديدين وثيقةً أوليّة مستقلّةً، تعطي تصوّراً أكثر دقّة للمسيح من الأناجيل الكنسيّة القانونية، كما يرى البعض. ويعمل الكثير من الباحثين بجدٍ كبير لإعادة تشكيل الكلمات المحتملة لوثيقة «Q» بُغية تأمين قاعدة أكثر دقّة لفهم خلفيتها التاريخيّة ومعناها الدينيّ.

إن تاريخ البحث في حياة وتعاليم يسوع عادةً ما يُقتفى عبر ثلاثة أبحاث عن «يسوع التاريخيّ»: في البحث الأوّل الذي جرى في القرن التاسع عشر، تمّ كتابة عدّة «شخصيّات ليسوع» مختلفة عن بعضها، وذلك باستخدام أدوات تاريخيّة من عصر التنوير. وقد هاجم الباحثون الإنجيليون التقليديون وسلطات الكنيسة هذه الشخصيّات بحدّة. إلاّ أنّ أكثر النقد تأثيراً ونفاذاً لم يكن من أحد التقليدييّن بل من أكثر الباحثين ليبراليّةً وهو «ألبيرت شويتزر». وقد بيّن «شويتزر» أن الشخصيّات الأولى ليسوع أعادت تشكيل يسوعٍ يشابه مؤلفيّ هذه الشخصيّات أكثر من يسوع نفسه، والذي كان شخصيّة غيبيّة[13]. وأدّى كتاب «شويتزر» إلى وضع نهاية للبحث الأوّل. ومع أنّ البحث في مصادر خارج العهد الجديد بدأت في نهاية القرن التاسع عشر إلاّ أنّ العديد ممن شاركوا في البحث الأوّل لم يولوا انتباهاً كبيراً لهذه المصادر، وبشكلٍ عامّ فقد استخدموا الأناجيل الكنسيّة القانونية فقط لإعادة تشكيل حياة يسوع والكشف عن خفاياها.

أمّا البحث الثاني والذي جرى في القرن العشرين، من حوالي سنة 1930 إلى 1960، فقد دُعي بدايةً بـ«البحث الجديد»، وركّز أيضاً على الأناجيل الكنسيّة القانونية، وخاصّة الأناجيل السينوبتية[14]، مع الالتفات قليلاً إلى المصادر الأدبيّة الخارجة عن نطاق الكنيسة. ويتناول «غنثر بورنكام» الدلائل الرومانية واليهوديّة عن يسوع في صفحتين من كتابه الذي يبيّن النتائج التي خلُص إليها البحث الثاني الذي عالجَ الموضوعَ معالجةً كاملة، فظهرت مفاهيم جديدة عن يسوع.

وقد اتفق العديد من الباحثين على أن الجدل الحاليّ حول يسوع والذي ابتدأ حوالي سنة 1970 يشكّل البحث الثالث، وأنّ إجماعاً بدأ يتشكّل حول هذا الموضوع. ويربط البعض البحثَ

الثالث بـ«ندوة عيسى» ومعارضيها، إلاّ أنه قد بدأ قبل ظهور «ندوة عيسى»، ومن المحتمل أن يدوم أكثر منها. يدرس البحث الثالث مصادر الأناجيل – وخاصّة وثيقة «Q»، و«إنجيل الآيات»[15] الذي هو مصدر إنجيل يوحنا – بكونها وثائق متميّزة. فالمحتويات الفريدة لإنجيل متّى: «م»، وإنجيل لوقا: «ل»، تتمتع بمكانة هنا أيضاً، حيث يرى فيها بعض المؤولين وثائق سابقة للسلطة الكنسيّة.

ويبدي المشاركون في البحث الثالث اهتماماً ملحوظاً بالأدب المسيحيّ الخارج عن نطاق الكنيسة أكثر مما فعل كتّاب البحث الأول والثاني. ويلعب إنجيل توما وأدب نجع حمادي دوراً بارزاً في الدراسة الحالية ليسوع، وكذلك لم تكن أناجيل منتحلة أخرى مثل إنجيل بطرس بعيدةً عن هذا الأمر، كما تكتسب المصادر اليهوديّة عن حياة يسوع اهتماماً أكبر. وتبقى المصادر الكلاسيكيّة التي تتناول يسوع مُستثناةً من هذا التوجه، حيث أن البحث الثالث لم يتناولها بشكلٍ معمّق، والقليل فقط من الدراسات الكبيرة قد تتناول الدلائل الموجودة في المصادر الكلاسيكيّة[16].

خلاصة الأمر، شهدت العشرون سنة الأخيرة اهتماماً أكبر وجدلاً أوسع حول يسوع التاريخيّ خارج العهد الجديد أكثر من أي فترة أخرى في القرنين الماضيين. فعلى الرغم من أن دراسة العهد الجديد تحمل أهميّة مباشرة لفهم دراسة يسوع، إلاّ أنه يوجد خارج نطاق العهد الجديد وخارج «الأبحاث عن يسوع التاريخي» دراسةٌ أكثر أهميّة ترتبط بموضوعنا هذا، فغالباً ما ينقّب مؤرّخو الحضارات الرومانية واليونانيّة القديمة في المسيحيّة الأولى ويبحثون حول مؤسسها في بعض الأحيان. فالإشارات إلى المسيحيّة الأولى من قبل كتّاب كلاسيكيين هي أكثر النصوص التي تُدرس، وتثير الجدل، في الأدب الكلاسيكيّ. ونتيجةً لذلك وجِدَ أدبٌ ثانويّ غنيّ في البحث الكلاسيكيّ يناسب دراسة موضوعنا. بدأت الدراسات اليهوديّة حول المسيحيّة الأولى بالظهور في العصر الحديث وهي اليوم في مكتمل نموّها مشكّلةً مصدراً ثانويّ الأهميّة للبحث في موضوعنا[17]. ويُعدّ المؤرّخ اليهوديّ «غيزا فيرمز» أحد أهم الباحثين في دراسة يسوع التاريخي، وهو صاحب الكتاب المهمّ في تشكيل إجماعٍ حول فهم يسوع بصفته يهودياً في بيئةٍ يهوديّة. أخيراً، يدرس مؤرخو الكنيسة تقاليد يسوع في فترة ما بعد العهد الجديد بكونها طريقة لفهم المسيحيّة القديمة.

ونعتقد بأننا محظوظون لوجود هذه التوجهات البحثيّة المختلفة حول تقاليد يسوع القديمة، فهي تُغني موضوعنا، وبالتأكيد فإن أيّاً من هذه التوجهات لا تخلو من الذاتيّة المحتومة والتي تؤثّر على المعرفة البشريّة. وبالرغم من ذلك، فخلال هذا العمل سيتأكد لنا قيمة الأخذ بتوجهات باحثين آخرين تكون بعيدة عن المناقشات الملتهبة في أبحاث العهد الجديد حول شخصيّة يسوع وما قام به.

هل وجِدَ يسوع فعلاً؟

حتى مؤخراً، لم يكن للتيار السائد في أبحاث العهد الجديد تأثير كبير على البحث في شخصيّة يسوع ضمن مصادر خارج العهد الجديد. على أية حال، فقد كان هنالك تيّارٌ جانبي طويل المدى حمل مثل هذا التأثير. انه السؤال الجدليّ، هل وجد يسوع فعلاً؟

قد يدهش بعض القرّاء أو يصدمون بوجود العديد من الكتب والمقالات التي رفضت وبشدّة حقيقة وجود يسوع، مع أنها أكثر من مائة كتاب ومقالة في المائتي عام المنصرمة حسب إحصاءاتي. وبشكلٍ نمطيّ، فقد رأى الباحثون المعاصرون في العهد الجديد حججهم تلك ضعيفةً وغريبة حيث أنهم قاموا بإرجائها إلى حواشي الكتب وغالباً ما تجاهلوها بشكل كامل[18].

وتبعاً لذلك، فإن دارسيّ العهد الجديد ليسوا على إلفة بها. وفي هذا القسم، الذي يعدّ تابعاً لمخططنا عن تاريخ البحث، سوف نعاين بشكل موجز تاريخ ودلالات النظرية القائلة بعدم وجود يسوع.

وكما سنرى، فقد كان لقضية وجود يسوع التأثير الكبير على البحث في شخصيّة يسوع في المصادر غير المسيحيّة، وما زال تأثيرها اليوم ظاهراً في بعض المفاهيم الشائعة للعهد الجديد. على سبيل المثال «جون ميير»، أحد قادة البحث الثالث، قال: في حواراتي مع الصحفيين والمحرّرين الذين كانوا يسألونني في مختلف الأوقات أن أكتب عن يسوع التاريخيّ، كان السؤال الأوّل دائماً: لكن هل تستطيع إثبات وجوده؟[19].

ويزدحم الإنترنت بنقاشات تتناول هذا الموضوع. وبالبحث عن هذا الموضوع «هل وجد يسوع» عبر محرّك البحث «ألتا فيستا» في 1 حزيران 1999، تمّ الوصول إلى 62 صفحة على الشبكة الرئيسية، و2580 مشاركة على «يوز نت» القناة الأساسيّة للنقاش.

تشكّل قضيّة عدم تاريخيّة يسوع التيارَ الجانبيّ في دراسة العهد الجديد، وبالرغم من ذلك، فإن أولئك الذين يؤيدونها غالباً ما يشيرون إلى عمل الباحثين في التيار السائد، وبذلك يكون من الأفضل أن نميّز دراسة التيار السائد على أساس مصداقية الأناجيل ووجود يسوع. ومنذ ظهور النقد الإنجيليّ، اختلف الباحثون حول مستوى تاريخيّة الروايات التي تناولت يسوع في الأدب المسيحيّ القديم، وذلك حول كلٍّ من أحداث حياة يسوع وكلمات تعاليمه ومعانيها. ففي أحد طرفي الطيف البحثي، خلُص البعض إلى أن الأناجيل الكنسية القانونية هي روايات تاريخيّة عن يسوع يعوّل

عليها بشكلٍ كامل، وبذلك يمكننا أن نعرف الكثير عنه. ونادراً ما يشير أولئك الذين ينكرون تاريخيّة يسوع إلى أعمال التقليديين إلاّ من أجل وصفها بالسذاجة.

في منتصف هذا الطيف يوجد الباحثون الذين يرون الأناجيل: على أنها مزيج من المواد التاريخيّة ذات المصداقية، والتأويلات اللاهوتيّة عن يسوع، مع تطورها بين زمنه وزمن المبشرين.[20]

يعمل هؤلاء الدارسون، وهم الغالبية العظمى من الباحثين، على فهم التفاعل بين هذه العناصر، ويدركون «يسوع التاريخيّ» مع القليل من الثقة. يبدو أولئك الذين ينكرون وجود يسوع، وخاصّة شكّاكي القرن العشرين، على أنهم يهملون هذا الموقع المتوسط. فهم يفضّلون التعامل مع التطرف في هذا المجال.

وفي الطرف الآخر من هذا الطيف، يرى البعض أن الأناجيل الكنسيّة والأدب المسيحيّ الأوّل يحتوي الكثير من التأملات اللاهوتيّة والابتكارات حيث لا يمكننا معرفة إلاّ القليل عن حياة يسوع وتعاليمه. وعلى الرغم من التقليل من شأن شخصيّة يسوع، فلم يجادل أيّ من أفراد هذه المجموعة الأخيرة بكون يسوع مجرّد ابتكار من قبل الكنيسة. وغالباً ما استخدم أولئك الذين ينكرون وجود يسوع التاريخيّ حججهم تلك. وعلى أية حال، فإن أولئك الذين ينكرونه قد توصّلوا إلى نتيجة مفادها أن يسوع لم يوجد أصلاً، أمّا المجموعة الأخيرة من الطيف فلم تفعل ذلك[21].

وبالتحوّل إلى تاريخ هذا الموضوع، فإن الجدل حول وجود يسوع يعود إلى بداية الدراسة النقدية للعهد الجديد، ففي نهاية القرن الثامن عشر بدأ بعض التابعين للمتأله المتطرّف اللورد البريطانيّ «بولينغبروك» بنشر فكرة أن يسوع لم يوجد أبداً. وقد رفض «فولتير» هذه الفكرة بشدّة، مع أنه لم يكن مؤيداً للمسيحيّة التقليديّة، وعلّق أن أولئك الذين ينكرون وجود يسوع يظهرون أنفسهم «أكثر حذقاً من كونهم متعلّمين»[22]. على الرغم من ذلك، في فترة 1790، كتب بعض مفكري عصر التنوير الفرنسيين الراديكاليين أنّ المسيحيّة ومسيحها كانت مجرّد أساطير، وقد نشر كلّ من «قسطنطين فرانسوا فولني» و«شارلز فرانسوا ديبوا»، كتباً تروّج لهذه الأفكار، قائلين: إن المسيحيّة كانت مزيجاً غير محدّث من الأساطير الفارسيّة القديمة والبابليّة، وإنّ يسوع هو شخصيّة أسطوريّة بشكلٍ كامل.

بقيت هذه الفرضيّة لا تثير ضجة حتى جاء «برونو بور» (1809–1882)، كان «بور» أكثر كتّاب القرن التاسع عشر حدّةً في مواجهة تاريخيّة يسوع، ففي سلسلة من الكتب من عام

1840 إلى عام 1855، هاجم «بور» القيمة التاريخيّة لإنجيل يوحنا والأناجيل السينوبتيّة، محتجاً بكونها مجرّد اختراعات من القرن الثاني. ولكنها بالمقابل تعطي رؤية جيّدة لحياة الكنيسة الأولى لكن بدون أن تقدّم شيئاً عن حياة يسوع. لقد حاول بور أن يُظهر في كتاباته الأولى أن النقد التاريخيّ يمكن أن يستعيد الحقيقة الأساسيّة للإنجيل من الكمّ الكبير لإشكالاته التاريخيّة، حيث يبيّن أنّ الوعيَ الذاتيّ الإنسانيّ هو أمرٌ إلهيّ، وأنّ الروح الإلهيّة يمكن أن تندمج مع الروح البشريّة لتصبح روحاً واحدة. كان «بور» أوّل من ناقش فكرةِ عدم وجود يسوع بشكلٍ منهجيّ، ورأى أن الأناجيل الكنسيّة لم تكن فقط عديمة القيمة التاريخيّة، بل إن كافّة الرسائل التي كتبت تحت اسم «بولس»، والتي كان لها أن تكون دليلاً على وجود يسوع، كانت من محض الخيال، كما كانت الشواهد الرومانية واليهوديّة لوجود يسوع ثانويّة أو ملفّقة. وبإقصاء هذه الشواهد، يتلاشى الدليل على وجود يسوع، ويتلاشى معه يسوع، الذي أصبحَ نتيجة المسيحيّة وليس مُنتجها. ويقول «بور»: إن المسيحيّة ومسيحها ولدا في روما والإسكندريّة عندما اجتمع مناصرو الرواقيّة الرومانيّة، والأفلاطونيّة المحدثة اليونانيّة واليهوديّة، لتشكيل دين جديد احتاج مُوجداً له.

وضع «بور» أسس الجدل التقليديّ ثلاثيّ الشعب، الذي يتبعه كافّة الرافضين لوجود يسوع، حتى لو لم يعتمدوه بشكل مباشر. أولاً: استنكر «بور» قيمة العهد الجديد، وخاصّة الأناجيل الكنسيّة القانونيّة ورسائل بولس الرسول، في إثبات وجود يسوع. ثانياً: يرى «بور» أن الافتقار لذكر يسوع في الكتابات غير المسيحيّة من القرن الأوّل يُظهر أن يسوع لم يوجد أصلاً. كما إنّ الذكر القليل ليسوع في الكتابات الرومانيّة في بداية القرن الثاني لا تثبت وجوده. ثالثاً: قام بدعم فكرة أن المسيحيّة في بدايتها كانت تعتمد على التوفيق بين المعتقدات القديمة والأساطير.

تمّ مهاجمة أفكار «بور» حول أصول المسيحيّة، بما فيها آرائه حول عدم وجود يسوع، من قبل السلطات الكنسيّة والأكاديميّة، كما تمّ دحضها بشكلٍ فعّال من عقول الغالبيّة. فلم يكن لهذه الأفكار تأثير طويل الأمد على الدراسات اللاحقة، وخاصّة في التيّار السائد. وقد يرتبط أكثر إرث «بور» أهميّة بشكلٍ غير مباشر ببحثه الإنجيليّ، فعندما أقصته حكومة بروسيا عن منصبه في جامعة برلين 1839 بسبب أفكاره، أدى ذلك بأحد تلامذته، «كارل ماركس»، إلى راديكاليّةٍ أكبر. حيث سيقوم «ماركس» بضمّ أفكار «بور» حول الأصول الأسطوريّة ليسوع إلى إيديولوجيته، وإلى الأدب السوفيتيّ والدعاية الشيوعيّة التي نشرت معتقداته فيما بعد[23].

قام البعض بنقل استنكار وجود يسوع لكلٍّ من جمهور العامّة والباحثين، فعلى سبيل المثال، عام 1841 تمّ نشر عدد من الكتيّبات، مجهولة الكاتب، في إنكلترا، ثم جمعت في كتابٍ واحد يدحض وجود المسيح بدلائل دامغة، وذلك عبر سلسلة من الرسائل موجّهة من يهوديّ ألمانيّ إلى

المسيحيّن من كافّة الطوائف، حيث يرفض الكاتب روايات العهد الجديد، والروايات اليهوديّة والرومانيّة التي تتناول يسوع، ويرى أنّ: الدين المسيحيّ قد استُمِدّ من الأديان القديمة، وأنه كان في الأصل مجرّد رواية من أساطير عبادة الشمس.

في سبعينات وثمانينات القرن التاسع عشر، قام عدّة أعضاء من «المدرسة الهولندية الراديكالية» [24] بإعلان إنكارهم لوجود يسوع، وكان لهذه المجموعة، التي تمركزت في جامعة أمستردام، شكوك كبرى حول القيمة التاريخيّة للإنجيل، وبكل بساطة أنكر زعيم هذه المجموعة «آلارد بيرسون» وجود يسوع، وتبعه في ذلك : ي. لومان و«دبليو. سي. فان مانن» ببساطة. وقد تمّت مهاجمة وجهة نظرهم هذه بحدّة في هولندا، وبالأخص من قبل الباحثين الآخرين، لكنها أُهملت تماماً في الخارج. وقد كانت كتابتهم حصرياً باللغة الهولندية غير الشائعة، بصفتهم مدرسةً تهتم بالعهد القديم، ولقيت نقاشاتهم النافية لوجود يسوع قلّةً من الأتباع الملحوظين في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر والسنوات الأولى من القرن العشرين، لكنّها تلاشت بعد ذلك تدريجياً[25].

ومع تلاشي آراء المدرسة الهولندية الراديكاليّة، أخذ انبعاث فرضية أخرى يلقى اهتماماً أوسع، وهي فرضية «عدم تاريخيّة يسوع». وقد بدأت مع «جون. م. روبيرتسون» البريطانيّ المؤيّد لحريّة الاعتقاد والمذهب العقلانيّ، والذي نشر كتاب «المسيحيّة والأسطورة» عام1900، وكان الكتاب الأول لـ«روبيرتسون» في مهاجمة المسيحيّة من خلال مهاجمة تاريخيّة موجدها. وحسب آراء «روبيرتسون» العقلانيّة فإن الأديان تتطوّر من خلال إيجاد آلهة جديدة تناسب أزماناً جديدة. كما يرى «روبيرتسون» أن طائفة يشوع اليهودية القديمة، التي رمز إيمانها: الحَمَل، قد عبدت الإله يشوع بوصفه الوريث المسيحيّ للدين التوحيديّ اليهودي. ويكاد يكون ذلك من ناحية أسطورية بالكامل مرتبطاً بعبادات تمّوز وأدونيس، وقد ثابرت هذه الطائفة حتى أوجدت إلهاً «مسيحياً» جديداً، هو يسوع المسيح. إن الأثر الوحيد الذي يمكن تقفيه في الديانة المسيحيّة لـ«يسوع التاريخيّ» قد يكون بإعادة تشكيل مبهمة للشخصيّة التلموديّة «يسوع بن بانديرا» [26]، الذي أُعدم بأمر «ألكسندر جانيوس» [27] (106–79 قبل الميلاد)، لكن يسوعَ العهد الجديد لم يوجد أبداً.

إن روايات الأناجيل الكنسية القانونية هي عبارة عن مجموعة من الأساطير الوثنية القديمة والحديثة. على سبيل المثال: حكاية الإنجيل عن العشاء الأخير، العذاب، الخيانة، الصلب، الانبعاث، فهي ليست رواية أصيلة، بل دراما غامضة... ويمكن الاستنتاج أنها تطوّر لتقاليد فلسطينيّة عن التضحية بالبشر، كان الضحيّة السنويّة فيها هو «يسوع، ابن الأب». فرسائل بولس الرسول تذكر موت «يسوع بن بانديرا» وليس يسوع الناصرة.

كانت آراء «روبيرتسون» حول الدين ومواضيع أخرى، آراء جدليّة في زمنه، وقدعبّر الباحث البريطاني في العهد الجديد «ف. سي. كونيبير» عن أكبر ردّ فعل تجاه آراء «روبيرتسون» عبر كتابه «المسيح التاريخيّ»[28]. وهناك ردّ فعل آخر أكثر شيوعاً تجسّد بكتاب «إتش. ج. وود» بعنوان: «هل عاش المسيح فعلاً؟»، وكغيرهم ممن عارضوا «روبيرتسون»، فقد رأى كلّ من الكاتبين أنّ محاولة تشويه المسيحيّة من خلال إظهار أن مخلّص المسيحيين كان مجرّد أسطورة، يعني تجاهل «روبيرتسون» الطرقَ التاريخيّة السليمة. وقد أشاروا إلى الكُتّاب غير المسيحيين القدماء، رومانيين ويهود، لإثبات تاريخيّة يسوع.

على الساحة الأمريكية، أكثر المناصرين لعدم تاريخيّة يسوع كان أستاذ الرياضيات في جامعة تولين «وليم بينجامين سميث» (1850-1934)[29]. وقد شرح اعتقاده بوجود يسوع على أنه: خليط من طائفة يسوعيّة سابقة للمسيحيّين، وهي إحدى طوائف عبادة الشمس، مع ارتباط بين يسوع بوصفه حَمَل الله «آغنوس»، وإله النار الهندي «آغني». كما ناقش مبيناً عدم قيمة الشواهد اليهوديّة والرومانية على وجود يسوع، وخاصّة كتابات «يوسيفوس» و«تاسيتوس».

في ألمانيا، جرى الترحيب بآراء «سميث»، وتمّ تعزيزها من قبل «آرثر دروز» (1865-1935)، أستاذ الفلسفة في «جامعة كارلسرو للتكنولوجيا». فقد قاد «دروز» حملة شعبيّة تضمنت خطابات وكتابات ضدّ تاريخيّة يسوع، وهو ما رآه آخِرَ عائقٍ للوصول إلى نظرة وحدوية حول الحياة والإيمان. وقام هو ومناصروه، وخاصّة «آلبرت كالثوف» و«بيتر جينسين»، بنشر كرّاسات وكتيّبات وكتب شعبية وتوزيعها على نطاق كبير. وقاموا برعاية مناظرات مع أبرز معارضيهم في مدن الجامعات عبر ألمانيا. وغالباً ما جمعت هذه المناظرات حشوداً كبيرة، ونُشرت خطوطها العريضة في الصحف.

كان هجوم «دروز» على تاريخيّة يسوع يفتقر للترابط الذي وجد في ما سبقه من هجمات، وخاصّة هجوم «باور». وكما هو حال هجوم «سميث»، كان هجوم «دروز» مزيجاً من نقاشات سابقة. لكن من بين كل المؤيدين لعدم تاريخيّة يسوع فقد كان «دروز» أكثر مهاجمي المسيحيّة صخباً. من أقواله: يسوع الذي أبتدعته المسيحيّة امتلك «أخلاقيات ذاتيّة زائفة»، و«وطنيّة ذات توجّه محدودة»، و«باطنيّة مبهمة».

رغم ضعف حجج «دروز» إلاّ أنّ شعبيته الكبيرة هو وحلفائه جعلت منهم أول من أثار دحضاً مستمراً من جانب الباحثين ومنهم بعض البارزين. وقد تناول بعض هذا الدحض الأدلة

المستقاة من خارج العهد الجديد على وجود يسوع. وتمثّل الفترة التي قام بها «دروز» بكتاباته، وهي العقود الأولى من القرن العشرين، ذروةَ موضوع اللاتاريخيّة.

أكثر النقّاد المعاصرين لتاريخيّة يسوع إصراراً وأغزرهم كتابةً كان «جورج إي ويليمز» (1926–) البروفسور المخضرم في اللغة الألمانية في جامعة «بيركبيك» بلندن[30]. اعتمد «ويلز» في هجومه على معلومات من آخر دراسات للأناجيل الكنسية، والتي خلصت إلى أن الأناجيل الكنسية القانونية كانت قد كُتبت بعد أكثر من أربعين عاماً من يسوع، من قبل كتابٍ غير معروفين لم يكونوا شهود عيان ليسوع. ويرى «ويلز» أن الأناجيل الكنسية تحتوي الكثير مما يُعتبر أسطورياً، كما أنها موجّهة بأهداف لاهوتيّة وليس تاريخيّة. فالأجزاء الأولى من العهد الجديد، وبشكل ملحوظ رسائل بولس الرسول، تفترض مقدّماً وجود يسوع، لكنها لا تؤمّن أدلة تفصيليّةً يمكن أن تثبت وجوده. وبناء على ذلك، يرى «ويلز» أننا نحتاج تعاوناً مستقلاً من مصادر موضوعيّة أخرى لتؤكّد وجوده. وقام «ويلز» بدراسةٍ دقيقة لهذه المصادر المقترحة، من كتابات «تاسيتوس» إلى التلمود، فوجد أنها لا تحتوي أي معارف مستقلة عن يسوع، وبالتالي، فهي ليست مصادر جديرة بالقبول، بل إنها تزيد من احتمال عدم وجود يسوع أصلاً.

يفسّر «ويلز» شخصيّة يسوع على أنها شخصيّة خياليّة ظهرت من صوفيّة بولس الرسول، وكان على بعض المسيحيين من القرن الأول أن يفبركوا لها قصّة حياتها. ولذلك كان «ر. جوزيف هوفمان» محقاً بدعوته «ويلز» بـ«أكثر المدافعين المعاصرين عن قضية اللاتاريخيّة بلاغةً». فـ«ويلز» كان يكتب بنبرة ثقافيّة هادئة، بعكس آخرين سبقوه في هذا المضمار. على أية حال، فإن ما علق به «ريتشارد فرانس» على طريقة «ويلز» هو صحيح أيضاً، حيث قال: «دائماً يختار »ويلز« تلك المواقف المتطرفة من مختلف دراسات العهد الجديد، والتي تناسب موضوعه بشكل أفضل، ومن ثمّ يحبكها مع بعضها ليشكّل رواية جديدة لا يتفق معها أيّ من أولئك الذين اقتبس منهم». إن ما خلُص إليه «فرانس» يلقى موافقة كبيرة، حيث أن معظم دارسيّ العهد الجديد لا يتناولون حجج «ويلز» على الإطلاق، أما أولئك الذين يتناولونها فلا يدخلون بعمقها. وعلى الرغم من أن «ويلز» كان على الأرجح أكثر مؤيديّ نظرية اللاتاريخيّة قدرة، إلاّ أنه لم يكن أكثرهم إقناعاً، كما أنه الآن الصوت الوحيد تقريباً لهذه النظرية.[31]

فنظرية عدم وجود يسوع هي الآن قضيّة ميّتة بحقّ[32].

لكن على أية أسس رفض باحثو العهد الجديد وغيرهم من المؤرخين فرضية عدم وجود يسوع؟ هنا سنلخّص الحجج الرئيسيّة المستخدمة ضدّ نظرية «ويلز» من هذه الفرضية، حيث أنه

معاصرٌ ومشابه لمن سبقه.

أولاً، يخطئ «ويلز» بتفسير عدم ذكر بولس الرسول لبعض تفاصيل حياة يسوع، مثل: التاريخ الدقيق لحياته، المكان الدقيق لدعوته، حقيقة أن بيلاطس البنطي [33] قد أدانه، وغيرها من الأمور.

وكما يعرف كلّ دارس جيّد للتاريخ، فمن الخطأ الافتراض بأن كلّ ما لم يُذكر أو ما لم يُفصّل لم يوجد، وهكذا فالاعتماد على خلو التاريخ القديم من إشارات إنجيليّة وغير إنجيليّة عن يسوع كحجّة هو أمر فيه مخاطرة. علاوةً على ذلك، يجب علينا أن لا نتوقع إيجاد إشارات تاريخيّة في الأدب المسيحيّ الأول، فهي لم تكن مكتوبة لمقاصد تاريخيّة. ويفترض معظم قرّاء بولس الرسول، على أساس الدليل المقنع، أنه يعتبر يسوع شخصية تاريخيّة وليس شخصيّة خرافيّة أو غامضة.

ثانياً، يرى «ويلز» أن المسيحيين قد أبدعوا شخصية يسوع عندما كتبوا الأناجيل خارج فلسطين حوالي عام 100م، هذا التاريخ ليس فقط ببعيد عن إنجيل مرقص، الذي كُتب حوالي العام 70م، وإنجيليّ متّى ولوقا، اللذين يعودان إلى فترة الثمانينات، بل لا يستطيع أيضاً أن يفسّر كون الأناجيل الكنسية تشير إلى تفاصيل عن فلسطين أغلبها دقيق.

ثالثاً، يدّعي «ويلز» أن الإشكاليات التاريخيّة في تطوّر الأحداث المذكورة في الأناجيل الكنسية تُظهر أن يسوع لم يوجد أصلاً. على الرغم من ذلك، ليس بالضرورة أن يعني التطوير إبداعاً كاملاً ولا تثبت الإشكاليات عدم وجوده. وقد يأخذ بعض قرّاء «ويلز» انطباعاً أنه في حال لم يكن هنالك تباين بين الأناجيل، فسيجد «ويلز» ذلك دليلاً على زيفها!.

رابعاً، لم يستطع «ويلز» أن يشرح السبب الذي منع أي وثنيّ أو يهوديّ، ممن عارضوا المسيحيّة، أن ينكر الوجود التاريخيّ ليسوع، أو أن يتساءل عنه في حال كان المسيحيون قد أبدعوا يسوع التاريخيّ قرابة العام 100 [34].

خامساً، كان «ويلز» وأسلافه شكاكين جداً فيما يخصّ الشواهد غير المسيحيّة ليسوع، وخاصّة كتابات «تاسيتوس» و«يوسيفوس». فقد أشاروا إلى مشاكل تتعلق بالنص ومشاكل تتعلق بالمصدر في هذه الشواهد، وجادلوا أن هذه المشاكل تلغي قيمة هذه النصوص بكاملها، متجاهلين الإجماع الكبير على أن معظم هذه النصوص جديرة بالثقة.

سادساً، يبدو أن «ويلز» وآخرين قد طوّروا فرضيّة اللاتاريخيّة لأهداف غير موضوعيّة، بل من أجل مقاصد متحيّزة غير دينيّة. لقد كانت سلاحاً لأولئك الذين عادوا الإيمان المسيحيّ بكلّ أشكاله تقريباً، من الربوبيين الراديكاليين [35]، إلى مناصري حريّة الاعتقاد، وصولاً إلى العلمانيين الراديكاليين والملحدين الفاعلين، مثل: «مادلين موراي أوهير». فلقد افترضوا بشكل صحيح أن إثبات هذه الفرضيّة سيقرع ناقوس الموت للدين المسيحيّ كما نعرفه، لكنّ النظريّة تبقى غير مثبتة.

أخيراً، فشل «ويلز» وأسلافه بتقديم فرضيات أخرى قابلة للتصديق لتفسّر ميلاد المسيحيّة، وتشكيل مسيحها التاريخيّ. إن الفرضيات التي قدّموها، والمبنيّة على فهمٍ خاص لعلم الأساطير، كانت تحمل القليل من الدلائل المؤيدة كي توصي بها إلى الآخرين. لطالما كان موضوع اللاتاريخيّة مثيراً للجدل، ولطالما فشل في إقناع الباحثين في عدّة مجالات ومن عقائد دينيّة مختلفة. زيادةً على ذلك، لقد فشل دائماً بإقناع العديدين ممن ظُنّ أنهم قد يأخذونها بعين الاعتبار لأسباب من الشكّ الدينيّ، من «فولتير» إلى «بيرتراند رسل»[36]. والآن يعتبر الباحثون الإنجيليون والمؤرخون الكلاسيكيون أنها قد فشلت بحق. ومع ذلك، فقد لفتت الانتباه بشكل مستمر إلى سؤال هامّ بحدّ ذاته: ما هو المعنى والقيمة التاريخيّة للدلائل القديمة خارج العهد الجديد؟.

خطة عمل الكتاب

يبدأ هذا الكتاب بعرض ونقد الدلائل التاريخيّة المعروفة المتعلقة بيسوع التاريخيّ، والمستقاة من خارج العهد الجديد. وفي الفصل الثاني، سنناقش يسوع في الكتابات الكلاسيكيّة، مثل: أدب الكتّاب غير المسيحيين وغير اليهود، حيث سنرى الكتّاب الرومان: «سوتونيوس»، و«تاسيتوس»، وبشكلٍ خاص «بليني الأصغر»، إلاّ أن الفيلسوف الرواقيّ «مارا بار سيرابيون»، والمؤرّخ «ثالوس»، والفيلسوفين «لوشيان»، و«سيلسوس» سيُؤخذون بعين الاعتبار أيضاً. في الفصل الثالث، سنناقش المصادر اليهوديّة التي تحتوي إشارات إلى يسوع، وسيكون لـ«يوسيفوس» والأدب العبريّ الحاخاميّ دراسة كاملة. وسنتناول باختصار مصدرين آخرين: أدب قمران، التي يدّعي القليل من الكتّاب أنها تتناول يسوع، و«توليدوت يشو – قصّة يسوع» الجدلية من العصور الوسطى، فقد كان يظنّ البعض أنها تحتوي معتقدات قديمة عن يسوع. في الفصل الرابع، سنناقش يسوع في المصادر المفترضة والمعاد بناؤها من الأناجيل الكنسية القانونية، وخاصّة وثيقة «Q» و«إنجيل الآيات» الذي هو مصدر إنجيل يوحنا، والمصادر الخاصّة من متّى ولوقا، على التوالي. في الفصل الخامس سندرس يسوع التاريخيّ في الكتابات المسيحيّة لما بعد العهد الجديد، وخاصّة الأناجيل المنتحلة[37]، ومخطوطات نجع حمادي[38]، وأغرافا[39]، التي هي: أقوال يسوع غير المكتوبة[40].

الفصل الثاني

يسوع في الكتابات الكلاسيكيّة

سنناقش في هذا الفصل الإشارات إلى يسوع في كتابات سبعة من الكتّاب الكلاسيكيين من فترة ما بعد الميلاد، وهنالك عدد كبير ومتزايد من الأدب الأكاديميّ الذي يدْرُس هؤلاء الكتّاب الكلاسيكيين وخاصّة: «سوتونيوس»، «تاسيتوس» و«بليني الأصغر». ويشير «رونالد ميلر» بناءً على ملاحظاته أن الكتّاب الأكاديميين الذين تناولوا «تاسيتوس» قد تجاوزوا الآن بكتاباتهم قدرة القارئ الأكاديميّ، وبذلك يستطيع المرء قراءة جزء واحد من أبحاث «تاسيتوس». علاوة على ذلك، فإن تلك النصوص التي تذكر يسوع والمسيحيّة هي بشكلٍ نمطيّ من أكثر النصوص التي تُدرس بشموليّة من هذه الكتابات. ويمكن لنا أن نتطرّق إلى العديد من المواضيع الثانوية المرتبطة بهذا الموضوع مثل نمو الكنيسة، والثقافة المناهضة للمسيحيّة، والاضطهاد الروماني للمسيحيّن. على أية حال، يجب أن نبقي تركيزنا على ما تقوله هذه النصوص عن يسوع فقط.

الكتّاب الذين سنتناولهم هنا هم «ثالوس»، «بليني الأصغر»، «سوتونيوس»، «تاسيتوس»، «مارابار سيرابيون»، «لوقيان السميساطي»، «سيلسوس». وسنتابع هؤلاء الكتّاب حسب الترتيب الزمنيّ، على الرغم من أن التاريخ الدقيق غير مؤكّد غالباً. وسنعرض مع كلّ كاتب، بشكلٍ مختصر، السياق التاريخي والأدبيّ لنصوصه عن يسوع، وسنسرد هذه النصوص نفسها بترجمةٍ مباشرة، ونتعامل مع أي قضايا نقدية للنصّ، ونتحقق من مصادره ومن ثمّ نلخّص نتائج دراسته بشكلٍ مختصر.

ثالوس: الكسوف عند موت يسوع

تعود الإشارة الأولى المحتملة ليسوع إلى منتصف القرن الأول، فحوالي عام 55 بعد الميلاد، كتب باللغة اليونانية مؤرّخ يدعى «ثالوس» كتاباً من ثلاث أجزاء، يؤرّخ أحداث المنطقة الشرقيّة لحوض المتوسّط منذ سقوط طروادة وحتّى حوالي عام 55 بعد الميلاد. وكما هو حال غالبية الأدب القديم، فإن أكثر أجزاء هذا الكتاب قد أتلفت، لكنّ ليس قبل أن يقتبسه الكاتب المسيحيّ «سيكستوس يوليوس الإفريقي» حوالي 160–240 م في كتابه «تاريخ العالم» حوالي 220 م. وقد فقد هذا الكتاب أيضاً، لكنّ واحداً من اقتباساته «لثالوس» كانت قد أُنقذت من قبل المؤرّخ البيزنطيّ «جورجوس سينسلوس» الذي أوردها في كتابه «التأريخ» حوالي عام 800 م. ووفقاً «لسينسلوس»، عندما يكتب «يوليوس الإفريقي» عن الظلمة التي حلّت عند موت يسوع، فقد أضاف:

في الجزء الثالث من كتبه التاريخيّة، يدعو «ثالوس» هذه الظلمة بأنها كسوف للشمس، وهو ما يبدو لي أمراً خاطئاً.

ويأتي هذا الجزء من «ثالوس» المُستخدم من قبل «يوليوس الإفريقي» في القسم الذي يذكر فيه «يوليوس» الإشارات التي حصلت عند صلب يسوع. ويرى «يوليوس» أن «ثالوس» كان مخطئاً في رؤيته أن تلك الظلمة كانت كسوفاً شمسياً فحسب، لأن الكسوف الشمسيّ في فترة القمر المكتمل هو أمرٌ مستحيل، وعيد الفصح اليهوديّ يحدث دائماً في فترة القمر المكتمل. ويردّ «يوليوس» دائماً بأن الكسوف كان معجزةً «ظلمةٌ أحدثها الله».

حيث أنه كان بإمكان «ثالوس» أن يذكر الكسوف دون الإشارة ليسوع. لكنّه مرجّحٌ أكثر أنّ «يوليوس»، الذي عرف سياق الاقتباس في «ثالوس» والذي كان معروفاً، من خلال أجزاءٍ أخرى، بحرصه عند استخدام مصادره، كان محقاً في قراءته لهذه الإشارة على أنها إشارة عدائيّةٌ لموت يسوع. ويوضح السياق في نصّ «يوليوس» أنه يدحض رأي «ثالوس» القائل بأن الظلمة لم تكن ذات دلالةٍ دينيّة. ويشير «موريس غوغل»: أنه في حال كان «ثالوس» يكتب بوصفه مؤرّخاً فحسب يذكر كسوفاً حصل في السنة الخامسة عشرة من حكم « تيبريوس» [41]، فإن «يوليوس الإفريقي» ما كان ليقول عنه أنه كان مخطئاً، بل لكان استخدم دلائله لإثبات العرف المسيحيّ. وكما يوضّح كتاب «سوتونيوس» حياة القياصرة، فإن العالم الروماني القديم غالباً ما كان مأخوذاً بإشارات

البشائر والنُذُر التي تحدث عند موت أحد الشخصيّات البارزة، معتقدين أنها تشير إلى تغيير للحكم. وعلى الأرجح فإن «ثالوس» كان يرى أن هذه الظلمة لم تكن إشارة ذات معنى بل مجرّد حدثٍ طبيعيّ. مع أنه لا يمكن التأكد من الأمر، إلاّ أن معظم الدلائل تشير إلى معرفة «ثالوس» بموت يسوع وبإشارة الظلمة التي يقول المسيحيّون بأنها صحبته (متّى 27:45، مرقص 15:33، لوقا 23:44).

من هو «ثالوس»؟ قد يكون هو نفسه «ثالوس» الذي يشير إليه المؤرّخ اليهوديّ «يوسيفوس»، وهو مواطنٌ سامريّ[42] من روما، وكان مقرباً إلى «أغريباس»[43] (تاريخ اليهود 18.6.4 §167)، وربّما كان سكرتيراً لـ«أوغسطس»[44]. لكنّ هذا يعتمد على تخمينين متتابعين، أحدهما نصيّ والآخر تاريخيّ: فكلمة «ثالوس» هي تعديلٌ نصيّ تخمينيّ تبنّاه كافّة محرريّ «يوسيفوس» المحدثين ما عدا «نيس»، وتقرؤها كافّة النصوص القديمة: «سامريّ آخر»، وهو أمرٌ محيّرٌ بالفعل! لأن «يوسيفوس» لم يذكر أيّ سامريّ في سياق نصّه. على أية حال، فقد كان هذا التفسير مقبولاً بشكلٍ كافٍ لتجنّب هذا التعديل من قبل الكتبة. فالتعديل المقترح يضيف حرفاً إلى الكلمة ليحوّلها إلى «ثالوس». أمّا التخمين الثاني فيربط «ثالوس» المذكور في «يوسيفوس» مع «ثالوس» الذي يذكره «يوليوس الإفريقي» و«يوسبيوس». ويمكن اعتبار هذا التعريف بـ«ثالوس» محتملاً على الأقلّ لأن المصدرين يعودان إلى القرن الأول حيث أن هذا الاسم لم يكن شائعاً. ولسوء الحظّ، ليس لدينا أي نصّ آخر عن «ثالوس» هذا بوصفه كاتباً.

في حال كان هذا التعريف بـ«ثالوس» دقيقاً، فإن هذا الشاهد على موت يسوع كان في روما في منتصف القرن الأول، وتبقى صحّة هذا التعريف أمراً محتملاً، لكن في حال لم يكن التعريف صحيحاً، فإن «ثالوس» هذا يبقى كاتباً آخر غير معروف. وليس هنالك صلّة قوية بين دقّة هويّة الكاتب ومسألة مصادر معلومات «ثالوس»، وذلك لأن الأعراف المتعلقة بموت يسوع كانت ستصل رومانياً كما كانت ستصل سامرياً، كما أنها لا تقدّم أي توضيح للنصّ نفسه.

كما أن تاريخ «ثالوس» وأعماله غير مؤكّدين إلى حدّ ما، ويوضّح كتاب «يوسبيوس» «التأريخ»، الذي لم يبق منه إلا أجزاء باللغة الأرمينيّة، أن «ثالوس» كتب عن الفترة الممتدّة من سقوط طروادة وفقط حتّى عام 167 للأولمبياد أي ما بين 112–109 ق.م. على أية حال، فإن أجزاء أخرى من تاريخ «ثالوس» المحفوظة في العديد من المصادر الأخرى تشير إلى أنه كتب عن أحداثٍ جرت حتّى موت يسوع على الأقلّ. يتمثّل أحد الحلول باعتبار أن «ثالوس» قد كتب بالفعل حتى عام 109 ق.م فقط، وأن «يوسبيوس» قد اعتمد هذه النسخة الأولى، لكنّها وسّعت من قبل

كاتب آخر لتصبح النسخة التي عرفها «يوليوس الإفريقي» واستخدمها عام 221 للميلاد. ونجد حلاً آخر باعتبار أن السرد الذي لدينا من الأجزاء الأرمينيّة لكتاب «التأريخ» ليوسبيوس هو سردٌ خاطئ. ويعدّل «سي. مولر» وبعده «ر. أيسلر» القراءة المحتملة للأصل اليونانيّ المفقود ليغيّرها من عام 167 للأولمبياد الواقع بين عامي 112–109 ق.م إلى 207 للأولمبياد، الواقع بين عامي 49–52 للميلاد. وفيما يبدو، فإن هذا الحلّ يلقى قبولاً لدى معظم الباحثين، لكن من المستحيل معرفة ما إذا كان هذا التغيير قد حصل عند نقل النصّ اليوناني، أو عند ترجمته من اليونانية إلى الأرمينيّة، أو أنه حصل عند نقل النصّ الأرمينيّ. بالمجمل، فإن الحلّ الثاني مرجّحٌ أكثر، مما يرجع «ثالوس» إلى حوالي العام 50م.

وبما أن «ثالوس» يبدو هنا أنه يدحض وجهة نظرٍ مسيحيّة، فالأرجح أنه عرف بأمر الظلمة التي حدثت عند موت يسوع من مسيحيّين، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وليس من مصدرٍ مستقلّ.لا يمكننا الجزم فيما إذا كان «ثالوس» قد استقى معلوماته من مصدرٍ شفهيّ أو مكتوب. ربّما كانت بعض الروايات المكتوبة عن آلام المسيح تُنشر في ذلك الوقت، إلاّ أنه لا يوجد في كلمات «ثالوس» ما يدفعنا للاعتقاد بأنه كان يستقي معلوماته من مصدر مسيحيّ مكتوب. وقد كانت الظلمة عند موت يسوع مجرّد عنصرٍ من عناصر الدعاية المسيحيّة. وكما يُشير «كريغ إيفانز» فإن هذه الإشارة لا تُثبت أن الظلمة قد حدثت بالفعل أثناء صلب يسوع، لكن لا بُدّ من تفسيرها هنا. وبالأحرى، فإنها دليلٌ على العرف المسيحيّ المبكّر للظلمة أثناء موت يسوع.

ما الذي يمكن استخلاصه من «ثالوس»؟ لا يزال بعض الغموض يلفّ رواية «ثالوس» ويعود هذا إلى إيجازها الشديد، اقتباسها غير المباشر، وعدم الدقة في تحديد هويّة الكاتب وتأريخه. وبينما يمنعنا هذا الغموض من إدعاء إثبات معلوماتنا، إلاّ أننا حصلنا على معلومة عن موت يسوع. وبما يوافق العرف المسيحيّ الموجود في الأناجيل السينوبتيّة، فإن «ثالوس» يقول بحصول ظلمة عند موت يسوع. لكن خلافاً لذلك العرف، فإنه يفسّرها على أنها كسوف طبيعيّ للشمس. ويمكننا أن نخلص إلى أنّ هذا العنصر من المعارف المسيحية كان معروفاً خارج المحيط المسيحيّ، وأن «ثالوس» شعر بضرورة دحض هذا العرف، إلا أنه بذلك كشفه بشكلٍ أكبر. ربّما كان «ثالوس» على اطلاع بتفاصيل أكثر من العرف المسيحيّ عن موت يسوع، فمن غير المحتمل أنه علم بهذا الجزء الصغير من قصّة موت يسوع دون معرفة السياق العام، لكنّ بقايا كتاباته لا تُقدّم أي تأكيدٍ لهذا الأمر. إن رأيه هذا، إذا كان تأريخنا صحيحاً، يجعل منه أقدم كاتبٍ معروفٍ يُعرب عن معارضةٍ مكتوبةٍ للمسيحيّة. علاوةً على ذلك، فإن «ثالوس» هو الكاتب غير المسيحيّ الوحيد الذي كتب عن معلومة تخصّ يسوع قبل أن تُكتب هذا المعلومات في الأناجيل الكنسية القانونية.

بليني الأصغر: مسيحُ الديانة المسيحيّة

عاش غايوس بلينيوس كاسيليوس سيكوندوس ما بين 61–113م، وهو ابن أخ الكاتب «بليني الأكبر»، وابنه بالتبني. شغل بليني الأصغر عدّة مناصب إدارية هامّة، سيناتوراً ومحامياً بارزاً في روما، وربما كان أشهر إداريّ مدنيّ في عهد الإمبراطورية. وقد حفظت كتابات بليني شهرته الواسعة، فقد نشر تسعة كتب رسائل بين عامي 100 و109م. وقد عُزي إلى «بليني» إيجاد الرسائل كضربٍ أدبيّ، وذلك بسبب النجاح الذي لقيته كتبه ضمن أدب عهده وما تلاه. وتتدرّج رسائله من ملاحظاتٍ شخصيّةٍ قصيرة إلى مقالاتٍ منقّحةٍ عن مواضيع متنوعة. ويصيغ «بليني» بمهارة كلماته وعباراته ضمن الجملِ والمقاطع، وتمتاز مفرداته بغنى وتنوّع كبير، وقد كان يُنقّح كلّ رسالةٍ ويزيّدها لتصبح جاهزة للنشر. أمّا الكتاب الأخير من رسائله «الكتاب 10»، والذي نُشر بعد مماته وكُتب بطريقةٍ أبسط وبأسلوب أكثر مباشرةً من أسلوب الكتب السابقة، فيحفظُ مراسلات «بليني» مع الإمبراطور «تراجان»[45] عندما كان الأوّل في منصب حاكم بيثينيا في آسيا الصغرى ما بين 111–113م. وتبيّن رسائله أنه كان شخصاً وجدانياً وإنسانياً، لكن البعض يرون أن «بليني» لم يكن واثقاً في ردود أفعاله، وكان يُسارع لاستشارة الإمبراطور. وبينما يعدّ ذلك صحيحاً إلى حدّ ما فإن التاريخ يثبت ذلك، لأن رسائل الكتاب 10 تقدّم أكبر مراسلات إداريّة باقية من العهد الرومانيّ.

الرسالة 96 من الكتاب 10، وهي أكثر رسالة دُرست من رسائل «بليني»، تتناول المسيحيّين كما تأتي على ذكر المسيح. وبما أن رسائل هذا الكتاب مرتّبة وفق تسلسلٍ زمنيّ فيما يبدو، فإن الرسالة 96 قد تعود إلى عام 112 للميلاد. حيث يستهلّ «بليني» هذه الرسالة بالتماس رفق الإمبراطور، يقول: «يا سيدي: إن من عادتي إحالة كافة المسائل التي يخامرني الشكّ حولها إلى جلالتك، حيث أنه لا أحد أفضل قدرة منك ليخلّصني من شكّي أو يوجّهني في جهلي». قد يكون هذا التزلّف طريقةَ «بليني» في تقديم القضايا القانونيّة الصعبة، حيث أن الرسائل 30 و56 من الكتاب 10 يستفتحان بأسلوبٍ مشابهٍ لهذه الرسالة، وتعرض كلّ منهما قضايا قانونية صعبة. دلالةٌ أخرى على صعوبة موضوع الرسالة 96 هو طول الرسالة، حيث أنها ثاني أطول رسالة في الكتاب 10 بعد الرسالة 58. ويبدأ عرض الرسالة 96 بشرح «بليني» لشكوكه حول محاكمات المسيحيين. وحيث أنه لم يحضر مثل هذه المحاكمات قبل تنصيبه حاكم بيثينيا، كما سنستنتج مما سيلي، فقد كان لديه عددٌ من الأسئلة: ما هي الطريقة لمعاقبة المسيحيين؟ ما هي أُسس التحقيق؟

ولأيّ درجةٍ يجب استعجال التحقيق؟ هل يشكّل العمر أو التبرّؤ من المسيحيّة أيّ فارق؟ هل يجب معاقبة المسيحيين لمجرّد كونهم مسيحيين؟ أي لمجرّد الاسم فقط، حتّى ولو لم يكونوا مذنبين بجرائم متعلّقةٍ بهذا الاسم.

وبعد هذا يُقدّم «بليني» إلى «تراجان» سرداً لكيفيّة إدارته للمحاكمات، فهو يسأل المتّهم ثلاث مرّات عند الضرورة مع التحذير من العقاب، إذا كانوا مسيحيّين. فإذا أجابوا دائماً بالإيجاب: «فإنني آمر بأخذهم للإعدام، مهما كان ما اقترفوه، لأنني اعتقد أن عنادهم وصلابتهم لا بُدّ وأن تُعاقب» [46]. أمّا المواطنون الرومان الذين كانوا يتمسّكون بإعلان إيمانهم المسيحيّ فكان «بليني» يُرسلهم إلى روما من أجل المحاكمة. لكنّ الآن فإن «بليني» لديه شكوكٌ تتعلّق بالمسألةِ كلّها. وفي هذا السياق فإنه يذكر المسيح ثلاث مرّات:

منذ أن بدأت بالتعامل مع هذه المشكلة، أصبحت التهم أكثر شيوعاً وتنوعاً، كما هو الحال غالباً. تمّ نشر قائمة اتهاميّة تحمل أسماء العديد من الناس. وقد قررت أن أُطلق سراح كلّ من يُنكر كونه أو أنه كان في يومٍ من الأيام مسيحياً، وذلك بالتكرار من بعدي صيغةً تُمجّد الآلهة، وتقديم قرابين الخمر والبخور لصورتك، التي أمرت بإحضارها إلى قاعة المحكمة مع أيقونات الآلهة لهذا السبب، وعندما يقوم المتّهم بلعن المسيح، فقد علمت أنه لا يمكن لأيّ مسيحيّ حقيقيّ أن يقوم بهذه الأشياء.

أمّا أولئك الذين أُعطيت أسماؤهم لي عن طريق بعض المخبرين فكانوا بدايةً يقولون إنهم مسيحيون ومن ثمّ ينكرون ذلك، وقالوا إنهم لم يعودوا مسيحيين منذ سنتين أو أكثر، والبعض منهم منذ عشرين عاماً. وقاموا كلّهم بتبجيل صورتك وصور الآلهة كما فعل الآخرون، كما قاموا بلعن المسيح أيضاً. كما أكّدوا أن مجمل ذنبهم أو خطئهم لم يكن أكثر مما يلي: فقد كانوا يجتمعون على نحو منتظم قُبيل الفجر في يومٍ محدّد، ويغنّون ترنيمةً للمسيح كما لو كان إلهاً. كما أنهم أقسموا على عدم ارتكاب أيّ جريمة، وبالابتعاد عن السرقة والنهب والزنا، وألاّ يخلفوا عهداً أو يحجبوا أمانةً حان موعد تسليمها.

وهنا تنتهي الإشارة إلى المسيح. ويروي «بليني» أن تطبيقه لقوانين «تراجان» على الناس «الرسالة 10.34» قد أثمر نتائجه المرجوّة في قمعهم إلى درجةٍ معيّنة. وقد استجوب مؤخّراً امرأتين تعملان في الكنيسة كانتا عبدتين فيما سبق، فلم يجد إلاّ خرافاتٍ فاسدةٍ غير مضبوطة.

وكما يُشير «ي. ن. شيروين وايت» فإن «بليني» خَلُصَ عند هذه النقطة إلى أنّ المسيحيين كانوا متعصّبين حمقى خلت حياتهم أخلاقياً من أي شعورٍ بالذنب. هذه النتيجة جعلت «بليني»

يتوقّف لفترة، وأعلم «تراجان» أنه قام بتأجيل كافّة محاكمات المسيحيين حتى يستشيره بهذا الخصوص. ويبرر «بليني» إحالته هذه المشكلة إلى الإمبراطور بالقول: إن العديد من الناس في مقاطعته، ومن كافّة الطبقات والأعمار والديانات، قد أصيبوا بهذه الخرافات المعدية. ومع ذلك ما زال ممكناً التحقق من هذا المعتقد الخرافيّ الجديد وشفاؤه، فقط في حال أُعطي الناس فرصةً للتوبة من المسيحيّة.

ويجيب «تراجان»، وبشكلٍ مختصر كما هي عادته في مراسلاته مع ولاته، بإقرار توجه «بلينّي» (الرسالة 97). ويقرّ أنه لا يستطيع إعطاء «بليني» توجهاً محدداً ليتّبعه، وهذا يفسّر عدم إجابته على كافّة أسئلةِ «بليني». فلا يتوجّب على «بليني» أن يبحث عن المسيحيين، لكن في حال تمّ إحضارهم إليه واتّهامهم في محاكمة بكونهم مسيحيّن، فلابُدّ من معاقبتهم إذا لم يرتدّوا، وذلك عن طريق تقديم الصلوات إلى آلهتنا. لكن في حال ارتدّوا فيجب إطلاقهم مهما كان سلوكهم السابق مثيراً للريبة، وهذا يشير إلى أن «تراجان» وافق على ملاحقتهم لمجرّد الاسم فقط. علماً بأن ردّ «تراجان» لا يذكر أي شيء عن المسيح، بل يتناول المسيحيين فقط.

إنّ نصّ هاتين الرسالتين مُثبت ومؤكّد، ولا يُشكك بمصداقيتهما جدياً، ويتطابق أسلوبهما مع أسلوب الرسائل الأخرى في الكتاب 10، وقد كانت الرسالتان معروفتين بشكلٍ جيّد في زمن «تيرتولين» الذي اشتهر بين 212–196م [47]. ويرفض «شيروين وايت» الآراء القليلة القائلة بأن الرسائل عبارة عن أكاذيب ملفّقة أو أنها تحتوي أجزاء محرّفة. وقد قدّم «موراي ج. هاريس» أسباباً وجيهة تفيد أن الرسالة 96 لم تُحرّف من قبل كتبة مسيحيين. فلن يثبت الكتبة المسيحيون الارتداد المسيحيّ أو يتوقعوا أن معظم المسيحيين سيرتدّون إلى الآلهة الرومانية اليونانية في حال هيّئت لهم الفرصة. كما أنهم لن يتحدّثوا بمثل هذا الازدراء عن المسيحيّة واصفين إياها: بالجنون، الخرافات الفاسدة، المرض المعدي. علاوةً على ذلك، يغلب على الرسائل 96 و97 طابعٌ سلبيّ تجاه المسيحيين، وهذا ما لن ينقله أيّ مسيحيّ.

وتثير هذه الرسالة وردّ «تراجان» عليها مجموعةً كبيرةً من القضايا التاريخيّة، والتي انكبّ على دراستها عدد كبير من الباحثين. وفضلاً عن الموضوع الأساسيّ لمعاقبة المسيحيين، وخاصّةً أُسسها القانونيّة في القانون الرومانيّ وتاريخها، تحتوي الرسالة 96 أول وصف غير مسيحيّ للعبادات المسحيّة الأولى. لا يمكن لنا أن نتناول هذه المواضيع بذاتها، لكننا سنتطرق إليها بينما نبقي تركيزنا على روايات «بليني» عن يسوع.

ماذا يقول «بليني» عن المسيح بالتحديد؟ يأتي «بليني» على ذكر هذا الاسم ثلاث مرات في الرسالة 96، مرتين عندما يتكلّم عن المسحيين المشبوهين، وهم «يلعنون المسيح» كجزءٍ من ارتدادهم وتوبتهم – (96.5،6)، ومرّةً عندما يروي لـ«تراجان» أن المسيحيين عادةً يغنّون ترنيمةً للمسيح كما لو كان إلهاً – (96.7). ويبدو المسيح هنا القائد الدينيّ لهذا الدين الذي يعبده المسيحيون، وبذلك يكون لعنُه معادلاً لرفض الدين المسيحيّ بكامله. ويبدو أن «بليني» لا يتناول «يسوع التاريخيّ» بشكلٍ صريح، وفي حال أنه علم أيّ شيء عن يسوع من خلال تحقيقاته وتحرّياته، فإنه لا يرويها للإمبراطور. إنّ وصف «بليني» المسيحيّة بالخرافة قد يقف ضدّ أي معاينة دقيقة لأصولها، حيث أن أصول الخرافات لم يكن مهمّاً.

ونجد العبارة الوحيدة التي يمكن أن يكون «بليني» قد قصد فيها بشكلٍ ضمنيّ يسوع التاريخيّ في كلماته، وهي: «يغنّون ترنيمةً للمسيح كما لو كان إلهاً»[48]. ويرى «هاريس»، وهو بهذا على خطا «غوغل»، أنّ «بليني» باستخدامه لكلمة «كما لو كان – quasi» فهو يقصد القول أن يسوع الإلهيّ الذي يعبده المسيحيّون كان بشراً في ما مضى. ويشير «شيروين وايت» إلى أن كلمة «كما لو كان» قد استُخدمت هنا بشكل عام دون مفهوم الافتراض، لتعني بذلك «كما يدعون». على أية حال، يمكن أن يكون «بليني» قد استخدم كلمة «quasi» بمعناها الافتراضي التقليديّ «كما لو كان، أو وكأنه». وبينما قد تشير «كما لو كان» أن المسيح الذي يعبده المسيحيون كان في ما مضى إنساناً، فلا يجب أن نعوّل كثيراً على هذا الأمر. وإذا كان «هاريس» و«غوغل» محقّين، فإن «بليني» يزوّدنا بأبسط شاهد على يسوع التاريخيّ، إلاّ أنّ ذلك لم يكن قصده على الإطلاق.

وهذا يقودنا في النهاية إلى مسألة مصادر «بليني»، فقد يكون «تاسيتوس»، صديق «بليني» هو مصدر المعلومات العامّة عن المسيحيّة والمسيح، إذ «تتحدث الرسالة 1.7 الموجّهة إلى «تاسيتوس»، عن صداقتهما الطويلة، وأنهما غالباً ما تبادلا الرسائل، كما تبيّن بداية الرسالة 96 أن «بليني» لم يكن حاضراً على محاكمات »أخرى« للمسيحييّن، وهذا ما يشير إلى أنه كان على علمٍ بمحاكمات المسيحيين. وربما يكون »بليني« قد عَلِمَ عن المسيحيّة من الشائعات والتقارير المنتشرة في زمنه، على أية حال، فإنه لا يروي هذه الإشاعات الشائنة، ولا ينسبها إلى المسيح.

ومن الواضح أن كافّة المعلومات المحدّدة عن المسيحيّة، والمعلومات القليلة عن المسيح المذكورة في الرسالة 96، تأتي من تجربة »بليني« الشخصيّة في بيثينيا. وقد حصل على هذه المعلومات من مسيحيين سابقين، وأثبتها بمعلومات حصل عليها من المرأتين التين تعملان في الكنيسة. وبالمثل، فإن هذه المعلومات ليست شاهداً على يسوع مستقلاً عن المسيحيّة. وما ذُكر عن

المسيح يُثبت نقطتين في العهد الجديد: أولاً، أن المسحيين يبجّلون المسيح في أغانيهم– (فيلبي 2:5–11، كولوسي 1:15، رؤيا يوحنا 5:11،13). ثانياً، لا يمكن لأي مسيحيّ أن يلعن أو يشتم المسيح– (كورنثوس الأولى). على أية حال، لا يُظهر «بليني» أي معرفةٍ بكتاباتٍ مسيحيّة في هذه الرسالة.

سوتونيوس: كريستوس المحرِّض

زاول الكاتب الروماني غايوس سوتونيوس ترانكيلوس، الذي عاش حوالي 70–140م، مهنة المحاماة في روما، وكان صديقاً لـ«بليني الأصغر» (بليني، الرسائل1.18). وحوالي عام 120م كان سكرتيراً للإمبراطور «هادريان» لفترة وجيزة ثم صَرَفه، ربّما بسبب سوء معاملته لزوجة الإمبراطور «سبارتيانوس» (حياة هادريان 11.3). وفيما عدا ذلك، لا نعرف إلا القليل على وجه اليقين عن الأحداث الأساسيّة في حياته. لقد كان «سوتونيوس» كاتباً وفير الإنتاج، يكتب في عدّة أنواع مختلفة من الأدب، لكنّ كتابه «حياة القياصرة» كان الوحيد مما بقي من أعماله سليماً بشكلٍ رئيسيّ. يغطّي هذا الكتاب، الذي نُشر عام 120م، حياة وسيرة أول اثني عشر إمبراطوراً، من »يوليوس قيصر« [49] إلى «دوميتيان» [50]، ويتناول كتاب »حياة القياصرة« التاريخ بصيغة سيرٍ شخصيّة، وذلك كما يشير عنوانه. كما يتناول الجزء الأول من كلّ فصل لمحةً عن خلفية عائلة الإمبراطور وحياته، أمّا الجزء الأخير فيتناول مظهره الخارجيّ وحياته الخاصّة، وينظُمُ «سوتونيوس» هذين الجزأين وفق الترتيب الزمني للأحداث، لكنّه يرتّب القسم الذي يتناول الحياة المهنية لكلّ إمبراطور وفق المواضيع.

وفي هذا القسم المبني على أساس المواضيع من «كلاوديوس المعظّم» [51]، وهو الجزء الخامس من كتاب »حياة القياصرة«، يعدّد «سوتونيوس» باختصار الأفعال التي أتخذها الإمبراطور «كلاوديوس»، الذي حكم ما بين41–54م، تجاه مختلف الشعوب التابعة خلال فترة حكمه. عملياً، فإن كلّ جملة في «كلاوديوس المعظّم– 25.3،5» تبيّن عملاً مختلفاً من أعمال «كلاوديوس» دون شرحٍ أو تفسيرٍ أو سياقٍ توضيحيّ. وبعد أن يسرد كيف تعامل «كلاوديوس» مع اليونان ومقدونيا ومع شعوب ليشيا ورودوس وطروادة [52] يكتب «سوتونيوس» بشكلٍ مختصر:

«طرد كلاوديوس اليهود من روما، حيث غالباً ما كانوا يثيرون القلاقل بسبب كريستوس المحرِّض – 25.4» [53].

من الأرجح، وليس مؤكداً كما سنرى لاحقاً، أنّ كاتباً مسيحياً كان ليكتب حروف هذا الاسم بشكلٍ صحيح، كما أنه لم يكن ليضع المسيح في روما عام 49م، أو يدعوه بمسبب المشاكل.

بالتأكيد فإن هذه الحجج مبنية على مطابقة كلمة كريستوس «Chrestus» بكلمة المسيح «Christus»[54]. ونستنتج كما الغالبية العظمى من الباحثين أن هذه الجملة غير ملفّقة.

غالباً ما تُترجم هذه الجملة بطريقةٍ مماثلةٍ لنسخة لوب[55] المؤثّرة: «بما أن اليهود كانوا يثيرون القلاقل بشكلٍ مستمرّ بتحريضٍ من «كريستوس»، طردهم «كلاوديوس» من روما». ومع ذلك فإن الأصل اللاتيني «impulsor» لا تعني «تحريض»، بل تعني «مُحَرِّض». فبالنظر إلى النصّ اللاتيني، فإن كلمتي «Chresto impulsor» المتتابعتين تتوافقان بالجنس والعدد والتصريف، بما يجعل من كلمة «Chresto» تابعاً لـ«impulsor»، وبذلك يُفضّل ترجمتها «كريستوس المحرّض»، إن ترجمتها: بتحريض من كريستوس يوصل المعنى الأساسيّ، لكنّه يخفي الحكم الذي يُصدره «سوتونيوس» بأن «كريستوس» لم يكن قائداً للشغب فحسب بل كان هو نفسه مثيراً للمشاكل. وبالترجمة التي قدّمناها «بسبب كريستوس المحرّض»، نحافظ على هذه النقطة بالتحديد. كما أنها تركّز على «كريستوس» بشكلٍ أكبر مما تفعله الترجمات التقليديّة. وقد أدت هذه الجملة إلى ظهور مكتبة صغيرة من الأدب. فهي تفيض إلى حدّ ما بالمشاكل المرتبطة ببعضها البعض، فهل كان طرد «كلاوديوس» لليهود طرداً كاملاً أم جزئياً؟ أم أنه قام بإخماد ثورتهم فحسب؟ ما هو تاريخ هذا الحدث؟ وما هي علاقته بالأعمال – 18:2؟ وسوف نتطرق إلى هذه القضايا في مجرى تركيزنا على الموضوع الأساسيّ: من هو «كريستوس»؟

إن شبه الإجماع على مطابقته بالمسيح قد جعلت من الإجابة على هذا السؤال محسومةً إلى حدّ ما. على سبيل المثال، كتب «إي. إن. ويلسون» مؤخراً أن: «الباحثين الأكثر حمقاً هم فقط الذين شكّوا بكون «كريستوس» هو المسيح نفسه». ومع ذلك، فلا يوجد في هذه الجملة أو سياقها ما يثبت بشكلٍ صريح أن «سوتونيوس» يكتب هنا عن المسيح أو المسيحيّة. كما أنّ أياً من نُسّاخ المخطوطات الباقية من كتاب «حياة القياصرة»، والذي يعود إلى القرن التاسع وحتى القرن الخامس عشر، أقدم على تغيير «كريستوس– Chresto» إلى «المسيح– Christo»، وهذا يشير إلى أنّ كريستوس كانت تعطي معناً كما هي. إن أبسط تفسير لهذه الجملة هي بكون «كريستوس» مثيراً للقلاقل آخر غير معروف الهوية، متواجداً في روما. وبذلك فإن النقاش حول «كريستوس» هو خلاف لا ينطوي على سوء نية، وليس لحماقة الباحثين أي علاقة بالأمر.

وقد رأى بعض المؤرّخين مؤخراً أن «كريستوس» هو بالفعل مثير للقلاقل مختلف غير معروف الهوية في روما، ولا يمكن مطابقته بيسوع. وعلى الرغم من أن أكثر الآراء شمولاً وأحدثها حول هذه المسألة كان رأي «هـ. ديكسون سلينغيرلاند»، إلاّ أنّ أكثر الآراء إقناعاً كان ما قدّمه

الباحث الكلاسيكيّ «ستيفن بينكو». فهو يرى أن «سوتونيوس» لم يكن ليسيء فهم كلمة «مسيح- Christus» إلى «كريستوس- Chrestus» لأن «كريستوس» كان اسماً شائعاً جداً في روما. علاوةً على ذلك، فإن «سوتونيوس» في كتابه «نيرون- 16.2» يقوم بتهجئة كلمة «المسيحيّة- Christiani» بشكلٍ صحيح، فلا بُدّ أنه علِمَ أن موجدها كان «المسيح- Christus» وليس «كريستوس- Chrestus». ويخلص «بينكو» إلى أنّ «كريستوس» هذا كان يهودياً متطرفاً، عضواً في مجموعة مماثلة للزيلوت[56]، الذين أرادوا أن يحثّوا حلول مملكة الله بالقوّة. عندما قام «كريستوس» بتحريض يهود روما للثورة على محاولة إفناء مملكة الله من الهيروديين من قبل «كلاوديوس» عام 44م، تصرّف «كلاوديوس» ليحافظ على النظام في عاصمته عبر طرد اليهود عام 49م، وهو الحدث الذي يسرده «سوتونيوس» هنا.

بالدراسةُ المتأنية لآراء «بينكو» تظهرأنها ضعيفة، فأولاً، كان اسم «كريستوس»، بمقابله اليوناني- «خريستو» اسماً شائعاً بالفعل بين الرومان واليونانيين. وكانت هذه الكلمة، والتي تعني «الجيّد، الممتاز، الطيّب، المفيد»، صفةً تُطلق على المواطنين العاديين أو الذين ينحدرون من نسبٍ رفيع، أمّا كاسم فكان شائعاً بين العبيد والأحرار على حدّ سواء. أمّا بين اليهود، وهو ما يركّز عليه «سوتونيوس» هنا، حسب ما يعتقد جميع المحللين ومن بينهم «بينكو»، فلم يكن هذا الاسم موثقاً على الإطلاق. وبشكلٍ ملحوظ، لا يظهر اسم «كريستوس» بين مئات أسماء اليهود المعروفة لنا من خلال نقوش سرداب الموتى الروماني ومصادر أخرى. وهذه بدون شك حجة قائمة على: «الخلو من الذكر»، لكن خلو شواهد القبور هنا يحمل كناية واضحة. وبما أن «كريستوس» لم يكن اسماً يهودياً شائعاً بل كان اسماً شائعاً لدى غير اليهود، فإن ذلك يزيد من احتمال أنّ «سوتونيوس»، أو مصْدَرَه، قد خلط بين كلمتي «مسيح» و«كريستوس».

يؤكّد «بينكو» أن عبارة «سوتونيوس» عن المسيحيين في كتاب «نيرون- 16.2» تظهر معرفته بالتهجئة الصحيحة لكلمة «مسيح»، وبذلك كان سيكتب «مسيح» لو كان يعنيها. حيث يكتب «سوتونيوس» في قائمة يذكر فيها أعمال «نيرون» أنه: «تمّ معاقبة المسيحيين، وهم طبقة من الناس يحملون معتقدات خرافية جديدة وآثمة». وليس في هذا إشارة إلى موجد حركة المسيحيين، أو أيّ ذكرٍ لليهوديّة. وفي المقابل، فإن «كلاوديوس- 25.4» لا يشير إلى المسيحيين، بل إلى اليهود. وتشير عبارات «سوتونيوس» إلى أنه لم يربط اليهودية بالمسيحيّة، أو حتّى أنه لم يعرف أنهما كانتا حركتين دينيتين مترابطتين في عام 49م. فهو يقول إن المسيحيين حملوا معتقدات خرافية «جديدة»، ويشير إلى أنهم «طبقة»، أي نوع مختلف، بينما كان يعلم أن اليهود يمارسون ديناً قديماً. كما تشير عباراته أيضاً إلى أنه لم يربط «كريستوس» اليهوديّ بـ«المسيحيّة». ويتمّ

إثبات سوء الفهم الروماني المنتشر في «الحوليات– 15.22» حيث يوضّح «تاسيتوس» لقرّائه أن «المسيحيين» مشتقّة من «المسيح». وبالتالي، وبما أن «سوتونيوس» يستطيع تهجئة كلمة «مسيحيين» بشكلٍ صحيح في كتاب «نيرون»، فهذا لا يعني بالضرورة أنه سيتنبّه إلى أن «كريستوس» كُتبت خطأ في «كلاوديوس».

ولا بدّ لنا من إيلاء موضوع التهجئة دراسةً موسّعةً هنا، لأنه سيظهر أيضاً في جزء «تاسيتوس» لاحقاً. غالباً ما كان غير المسحيين، وأحياناً المسيحيون حتّى، يخلطون بين كلمتي «مسيح» و«كريستوس». وقد نتج هذا الخلط من سببين، المعنى والصوت. فقد ألمح كلّ من المقابل اليوناني والمقابل اللاتيني لكلمة «مسيح» إلى معنى غريب بالنسبة لمعظم القدماء، وخاصّة غير أولئك الذين ليسوا على معرفةٍ بالخلفية اليهودية للاسم. حيث أنّ معناها اليونانيّ الأساسيّ في الحياة اليوميّة يشير إلى المصطلح الطبيّ، أي: «الذي يعالج بدهن الزيت»، أو المعنى البنائيّ للكلمة: «الذي يضع جبيرة الجبس». ولن يكون لهذين المعنيين المضمون الدينيّ الذي يمكن أن تحمله كلمة «مسيح» لأيّ شخصٍ مسيحيّ. وقد تكون هذه المعاني غير المعتادة هي التي استحثّت هذا التغيير إلى اسم ذي معنى مألوفٍ أكثر وهو: «كريستوس»، الذي يعني: الجيّد، الممتاز، الطيّب، المفيد.

وقد كانت المقابلات اليونانية لكلمتي «مسيح» و«كريستوس» متقاربتين باللفظ أكثر مما تبدوان عليه اليوم، وذلك بسبب ميزةٍ صوتيّة عامّة في اللغة اليونانيّة، حيث تظهر اللغة الإغريقية القديمة تداخلاً في الأصوات «iotaι» وeta «η» وepsilon-iota «الصوت المدغم ει». فقد كانت هذه الأصوات تُلفظ بشكلٍ متشابهٍ جداً إلى درجة أنه غالباً ما كان يخلط بينها، في الكلام أو الكتابة، غير المثقفين والمثقفون على السواء.

قام «فرانسيس ت. جيغناك» بتوثيق هذه الظاهرة بشكلٍ كامل وخَلُصَ إلى أن «هذا التداخل بين أصوات ι وη وει يعكس التطور الفنولوجي للهجة اليونانية الأساسيّة، حيث يُمثّل الصوت أساساً بـη مدمج مع /i/ في القرن الثاني الميلادي». وقد أثّر دمج الأصوات هذا، على الأقل في اسم المسيح، على اللغة اللاتينية أيضاً، كما شهد كتّاب الكنيسة اللاتينيّة قرب هذا الوقت لاحقاً. وعند اقتران هذا التشابه في الأصوات مع انتقال إلى تعبيرٍ ذي دلالةٍ أكبر، يصبح أمراً منطقياً أن نخلُص إلى أن «سوتونيوس» يعني «مسيح» من وراء «كريستوس».

ويمكن طرح الاعتراضِ التالي هنا: وهو أنّ مصدراً مسيحياً، في حال كان هذا الاسم قد وصل إلى سوتونيوس عن طريق مصدرٍ مسيحيّ، أو أن مؤرخاً رومانياً دقيقاً كان على علمٍ بالمسيحيّة، لم يكونا ليرتكبا مثل هذا الخطأ مع اسمٍ بهذه الأهميّة. يبدو هذا وكأنه جزء من وجهة نظر «بينكو». وقد رأى «فريدرك بلاس» قبل أكثر من عام مضى أن الصيغ اليونانية: «Χριστος

– مسيح» و«Χριστιανος – مسيحيّة» كانت صيغاً مفضّلة بشكلٍ كبير من قبل الكتبة المسيحيين منذ العهد الجديد، بينما استخدم غير المسيحيين وبشكلٍ نمطيّ صيغتي: «ρηστος – كريستوس» و«Χρηστιανος – كريستونية». على أية حال، وبالاعتماد على دلائل النقوش والمخطوطات الباقية، فإن هذا الخلط بين صوتي ι«iota» وeta «η» كان ظاهراً لدرجة ملحوظة بين المسحيين أيضاً. حيث يُظهر النصّ الأصلي للمخطوطة السينائية «كوديكس سينايتيكوس»، من القرن الرابع، أن كلمة «مسيحيين» هُجّئت بـ eta «η» في المرات الثلاث التي ذُكرت فيها في العهد الجديد – (الأعمال 11:26، 26:8، بطرس الأولى 4:16). كما أن مخطوطة «البردية رقم 72» [57]، من القرن الثالث والرابع م، استخدمت Χρηστοςللدلالة على Χριστος في «بطرس الأولى –2:3) في فريجية [58]، حيث نجد عدداً من النقوش الجنائزيّة من الفترة 420–310م تحمل كلمة «مسيحيين»، وغالباً ما هجّئت هذه الكلمة Χρηστιανοι. ويظهر هذا اللبس بين الكتابتين على أحد شواهد القبور التي حملت كلا الكتابتين «مسيحيين» و«كريستونيين».

كان هذا الخلط اللاتيني واليوناني بين الأصوات في اسم العقيدة مرتبطاً بالافتراض القائل أن موجدها يدعى «كريستوس». وقد استطاع «يوستونيوس الشهيد»، الذي كتب باليونانية، حوالي عام 150م أن يستخدم تورية لفظية على أساس التشابه بين هاتين الكلمتين: وإلى الدرجة التي يمكن فيها الحكم من خلال الاسم الذي نُتّهم به: «مسيحيين– Chistianoi»، فإننا أفضل الناس «كريستونيين– Chrestianoi». إننا متّهمون بكوننا مسيحيين، ومن الخطأ أن نكره ما هو ممتاز – (الاعتذار 4.1). في عام 197م خاطب «تيرتولين» غير المسيحيين مدافعاً عن المسيحيين من الاضطهاد، فقال: إن كلمة «مسيحيّ»... مشتقّة من «المعالجة بدهن الزيت». وحتى في حال أنكم لفظتموها بطريقة خاطئة لتصبح «كريستوني» فإنها تأتي من «العذوبة والطيبة». فأنتم لا تعرفون الاسم الذي تكرهون! – (الاعتذار 3.5). في عام 309 انتقد «لاكتانيوس» بشكلٍ مماثل خطأ الجهلة، الذين يدعونه «كريستوس» بتغيير حرف واحد فقط (المؤسسات الدينيّة 4.7.5)، وهو لم يُحدد من هم هؤلاء «الجهلة بالتحديد».

وبينما يعرف معظم الكتبة المسيحيين الأوائل الفرق بين هاتين الكلمتين ويستخدمونهما بحذرٍ وحتّى بذكاء، فإن العديد من المسيحيين العاديين يتشاطرون سوء الفهم هذا مع غير المسيحيين. وبالفعل، قد يكون التصحيح الذي يقدّمه هؤلاء الكتاب الثلاثة موجّهاً لمعظم قرّائهم المسيحيين. إن ما يستنتجه »إلسا غيبسون« عن استخدام هذه الكلمة في النقوش الفريجية هو صحيح في الغالب، وهو: »إن استخدام صيغة eta «η» يبدو أمراً مقصوداً، فقد كان يُعتقد بشكلٍ خاطئ أن كلمة «مسيحيّ» مشتقّة من كلمة «كريستوس».

فبأقلّ تغيير، إضافةً للأصوات المتقاربة، يقوم بعض المسيحيين والعديد من غير المسيحيين بتغيير الاسم الغريب «مسيح- Christos/Christus» إلى اسم أكثر شيوعاً وفهماً «كريستوس- Chrestos/Chrestus». وبالتالي، كان من الممكن أن يُخطئ «سوتونيوس» بكتابة هذا الاسم، أو أن يستخدم الاسم الخاطئ بناءً على مصدره، دون أن يُدرك ذلك.

ننتقل الآن إلى النقطة الثانية لدى «بينكو» وهي: أن «كريستوس» ربّما كان يهودياً متطرفاً يحاول فرض إحلال مملكة الله بالقوة، وأدّت نشاطاته إلى شغب بين يهود روما. ويعتقد «إريك كوستيرمان» أيضاً أنّ «الكريستونية» كانت تنتمي إلى حركة يهوديّة ثوريّة قادها شخص يدعى «كريستوس». على أية حال، لا يوجد دليلٌ آخر يدعم هذه الثورة السياسية اليهودية المفترضة في روما والتي يقوم كلّ من «بينكو» و«كوستيرمان» بنسب كريستوس إليها.

إن التفسير المرجّح لهذه المشكلة والتي قادت إلى طرد اليهود، الحادثة التي تستند على تاريخ اليهودية الرومانية، يعود إلى نشاط التبشيريات اليهودية. وكما رأى «لويس فيلدمان» فإن التفسير المرجّح للحوادث الثلاث لطرد اليهود من مدينة روما يعود إلى المشاكل المتعلّقة بنشاط التبشيريات اليهودية ضمن الرومان من غير اليهود. في عام 139 ق.م، اتُهم اليهود باتباعهم نُهجاً تبشيريّة عدائية، وطردوا من المدينة بشكلٍ مؤقّت. عام 19 م طردهم الإمبراطور «تيبيريوس» من روما أيضاً بسبب: «أنهم كانوا يحوّلون العديد من السكان المحليين إلى منهجهم». وفي منتصف القرن نفسه، أدت المشاكل حول التبشير بيسوع على أنه المسيح إلى طرد اليهود أيضاً، وبذلك فمن الواضح أن السلطات الرومانية رأت في انتشار اليهودية بين السكّان المحليين انتهاكاً يستحقّ الطرد.

وربما كان «سوتونيوس» يعلّق على حالةٍ من الاضطراب الأهليّ بين الرومان غير اليهود والرومان اليهود، والتي سببها إعلان أن يسوع هو المسيح. ويفترض العديد من مفسّري هذا النصّ أن هذه الاضطرابات كانت بين اليهود فقط، لكنّ «سوتونيوس» لا يقول ذلك، كما أن تفسير «فيلدمان» لأسباب هذا الاضطراب هو المرجّح. ولا يجب علينا افتراض ثورة دينية سياسية كمقابل للنشاط التبشيريّ. وبالخلاصة، فإن آراء «بينكو» رغم جدّيتها ما تزال غير مقنعة، وتبقى كلمة «كريستوس» في هذا النصّ على الأرجح خطأً عن كلمة «مسيح».

إن مصدر معلومات «سوتونيوس» غير معروف، كما هي العادة. حيث أنّ مصدراً مسيحياً، مكتوباً أو شفهياً، كان ليعطي معلوماتٍ صحيحة عن يسوع أكثر منها خاطئة. فالأرجح أنه كان سيتهجى اسم المسيح بشكلٍ صحيح، وبالتأكيد لم يكن ليصفه بالمحرّض الذي يعيش في روما عام 49م. إذاً، من غير المحتمل أن «سوتونيوس» قد استقى معلوماته من مصدرٍ مسيحيّ. ولا يمكن أن يكون مصدر المعلومات يهودياً أيضاً، لأن تطرق النصّ لطرد اليهود لم يكن مدحاً لهم. ويُرجّح

الاحتمال القائل أنّ «سوتونيوس» يستخدم مصدراً رومانياً، ربّما من الأرشيف الإمبراطوريّ، فبوصفه سكرتير الإمبراطور، فقد كان بإمكانه الوصول إلى الأرشيف. لكنّه لا يقتبس أياً من المراسلات الإمبراطورية بعد الفصل المتعلّق بـ«أوغستوس»، فربما كان قد صُرف من خدمة الإمبراطور في تلك المرحلة من بحثه وكتاباته. ويقترح «ب. مورو» و«ف. بروس» أن يكون مصدر «سوتونيوس» هو تقرير شرطة. فمثل هذا التقرير لن يكون دقيقاً حيال اسم مثير للمشاكل، ولن يشير إلى السبب وراء هذه المشاكل، بل سيولى الإمبراطور وما قام به الأهمية الأكبر. قد يكون «سوتونيوس» نسخ الخطأ من مصدره، حيث كُتب المصدر في فترة قريبة من الأحداث عندما كان اسم «المسيح» غير معروفٍ بشكلٍ كبير في روما. ويُعتبر تكرار الخطأ الموجود في المصدر سمةً لدى «سوتونيوس» حيث أنه لم يكن يتناول مصادره بأسلوب نقديّ ويستخدمها كيفما اتفق.

إن النتائج الإيجابية من دراستنا لكلاوديوس ضئيلة جداً وخاصّة في ضوء الإشكاليات التي تقدّمها هذه الجملة الشهيرة. كما أن تركيز هذه الجملة واضحٌ وهو أنّ كلاوديوس اتخذ تدابير ضدّ بعض اليهود على الأقل في روما بعد اضطرابات مستمرّة. وتركّزت إشكالية هذه الجملة بتحديد هويّة «كريستوس». وقد رأينا، أولاً، أن التفسير الأمثل لهذه الإشكالية هو أن «كريستوس» كتبت خطأً عن «مسيح». وقد بيّنا أنّ هذا احتمال جائز لكن لا يمكننا ادّعاء اليقين على أساس هذا الدليل المبهم.

ثانياً، تشير عبارة «سوتونيوس» إلى مدى غموض وعدم صحّة معرفة أصول المسيحيّة، في القرن الأوّل وبداية القرن الثاني. فقد قادته الأصوات والتهجئة المتشابهة، كما قادت غيره، إلى الخطأ في قراءة «مسيح» إلى «كريستوس». وقد دفعت البلبلة الشعبيّة المستمرّة حول هذا المسيح بـ«كلاوديوس» إلى اتخاذ الإجراء المعتمد من قبل القادة الرومان الآخرين في مثل هذه الحالات وهو طرد مسببي المشاكل. ومن سوء الفهم الأولي هذا جاءت فكرة أن «كريستوس» هذا قد وُجد بالفعل في روما محرّضاً لأحداث العقد الرابع. وعلى الرغم من أن «سوتونيوس» رأى المسيح بوصفه شخصيّةً تاريخيّة قادرة على إثارة المشاكل، إلاّ أنّ أخطاءه الواضحة يجب أن تحذّرنا من إعطاء أهمية كبيرة لدليله على يسوع، وأهميّته للمسيحيّة الأولى.

تاسيتوس: المسيح المعدوم

يُعتبر «كورنيليوس تاسيتوس» بشكلٍ عام أعظم مؤرّخٍ رومانيّ، ومع ذلك فنحن لا نعرف نسبه، أو مكان وتاريخ ولادته وموته، ربّما عاش ما بين 56 و120م، وحتّى اسمه الأول ربّما كان بابليوس أو غايوس. لكننا نعرف أنه شغل عدداً من المناصب الإداريّة المهمّة، بما فيها القنصل الروماني لآسيا ما بين 112–113م، حيث كان قريباً من صديقه «بليني الأصغر».

تناول عمله «التاريخ»، من سنة 69 إلى 96 ميلادية، وهي فترة حكم الأباطرة «غالبا»، «أوثو»، «فيتيليوس»، «فيسباسيان»، «تيتوس»، «دوميشين». ويتألف هذا العمل على الأرجح من اثني عشر كتاباً، بقي منها الكتب الأربعة الأولى وجزء من الكتاب الخامس. وكان آخر عمل غير منتهٍ لـ«تاسيتوس» هو «الحوليات»، الذي يرجع تاريخه إلى حوالي 116م، ويتناول الأحداث خلال الأعوام 14 حتى 68 للميلاد، أي منذ موت أوغسطس وحتى نيرون، وقد ضمنها 16 أو 18 كتاباً. ولم يبق من «الحوليات» إلاّ أجزاء الكتب 1–4، والكتب 12–15 فقط فهي التي بقيت سليمة.

يُعدّ «الحوليات»، واسمه الفعليّ: «منذ موت أوغسطس المعظّم»، أفضل أعمال «تاسيتوس»، كما حظي باعتراف المؤرّخين الحديثين على أنه أفضل مصادرنا للمعلومات عن هذه الفترة. ويكتب «تاسيتوس» بشكلٍ موجز ولكنه مُعَبِّر. ويبدو أنه يستخدم مصادره بحذر، حيث يكتب رواياتٍ لم يُطعن في دقّة أساسها بشكلٍ جديّ أبداً. وخلافاً لـ«سوتونيوس»، فهو لا يهبط إلى مستوى نشر الشائعات والفضائح لإثبات وجهة نظره عن الأباطرة.

ويتصّف أسلوبه العامّ بالتشاؤميّة، حيث يروي محنة الشعب الروماني وحالته في ظلّ النظام الحاكم، الذي أنتج سلسلة من الأباطرة غير الأكفاء غالباً، وغير الأخلاقيين عامّةً، من «تيبريوس» وحتّى «نيرون». وقد علم «تاسيتوس» أنّ الإمبراطورية الأولى سوف تبدو فترةً سيّئةً، ولذلك فإن تحليلاته كانت لها استخداماتها لكنها قلّما حققت أي متعة– (الحوليات 4.339). إن إساءات النظام الإمبراطوريّ قد أدّت إلى فسادٍ دينيّ وأخلاقيّ وسياسيّ لدى الشعب الرومانيّ، وقد أدّى هذا الفساد إلى عدم قدرة الطبقة الأرستقراطيّة إلى نقد التصرفات الفاسدة للأباطرة، واعتناق الناس في روما ذاتها مناهج دخيلة، بما فيها دياناتٍ دخيلة كالمسيحيّة.

كانت روما في حالة انحدار، إلاّ أن «تاسيتوس» لم يعتقد أن سقوطها كان أمراً حتمياً، فكان يكتب مؤمناً بنبُل الكتابة التاريخية الجيدة وتأثيرها الأخلاقيّ الإيجابيّ، وخاصّة على الأفراد الذين

صاغوا مسار التاريخ، وهذا ما كان يعتقده معظم الرومانيين. ونحصل على هذا التأثير الإيجابيّ من خلال إطراء الأفعال الحميدة والثناء عليها من أجل الأجيال القادمة، وشجب الأفعال السيئة بغية التأثير على الحكّام إيجابياً– (3.65)، وأن يتعلّم القارئ كيف يميّز الصواب من الخطأ– (4.33). كانت أعمال «تاسيتوس» منتشرةً بشكلٍ كبير في زمنه، وقد لا يكون من المبالغة القول: إنّ الإصلاح الذي حصل في الحكومة الرومانية في القرن الثاني يعود جزئياً إلى تأثير كتاباته.

تصف الأجزاء 38 وحتّى 45 من الكتاب 15 من «الحوليات» الحريق الكبير في روما وآثاره في عام 64م، الأمر الذي أدّى إلى تقديم المسيحيين والمسيح إلى قرّائه. ويبدأ «تاسيتوس» وصفه المطوّل للحريق بطرح السؤال عن هويّة المسؤول عن الحريق. يقول: «وبعد هذا حلّت كارثةٌ أخطر وأسوأ من كلّ الحرائق التي حلّت بالمدينة. ولا يمكن التأكد إن كانت الطبيعة أم سوء الإمبراطور السبب وراء الحريق، حيث تعتمد كلّ نسخةٍ مراجعها الخاصّة»– (الحوليات 15.38.1). يقدّم «تاسيتوس» وصفاً حياً مفصّلاً للحريق، حيث أن الوصف الموجز لا يفيه حقّه. ويكفي القول هنا أنّه في الصباح المبكّر من 19تمّوز عام 64 للميلاد، اندلع حريقٌ في منطقة «سيركس ماكسيموس– السرك الأعظم»، وظلّ ينتشر مدّة ستة أيام، وخاصّة في الأقسام السكنيّة من المدينة رغم كلّ الجهود المبذولة لإخماده. وتمكّنت السلطات في النهاية من إخماده عبر تدمير أجزاء من المدينة. لكنّ النار اندلعت من جديد وانتشرت مدّة ثلاثة أيام في مناطق أخرى من روما. وبالمجمل، فمن أصل أربعة عشر قسماً من روما تمّ تدمير ثلاثة أقسام بالكامل، وتضررت سبعة أقسام، ولم يتبقَّ إلاّ أربعة أقسام سليمة. وفضلاً عن الأضرار الماديّة والخسائر البشريّة فقد فُقد العديد من الكنوز الثقافية القديمة.

قدّم «نيرون» الكثير من العون في البداية في مساعدة المنكوبين والمشرّدين، ومن ثمّ في إعادة الإعمار الذي أدّى إلى مدينة مقاومةٍ للنار وأجمل بكثير. لكن سرعان ما تبيّن أنه أراد استخدام قطعة أرضٍ خاصّة لبناء قصرٍ كبير، «القصر الذهبي – دوموس أورا»، في قلب روما. وقد أدّى هذا الأمر، بالإضافة لعدد من الأحداث المريبة التي جرت أثناء وعقب الحريق، إلى انتشار شائعات مفادها أنّ «نيرون» هو من أمر بافتعال الحريق.

ويبدأ «تاسيتوس» الفصل 44 بغموضٍ مقصود، حيث يعدد في البداية الإجراءات الرسمية التي اتُخذت من أجل التعامل مع آثار الحريق، المرجّح حدوثه بتوجيهٍ من «نيرون». وتمّ إرضاء الآلهة بمراسم خاصّة. كما تمت استشارة كتب العِرافة، مما أدى لتقديم صلوات أكثر للآلهة: «فولكان»، «غيريس»، «بروسربين»، «جونو». كما أقيمت مآدب عشاء وصلواتٌ استمرت طوال الليل من قبل نساءٍ متزوجات. ومن ثمّ يكشف «تاسيتوس» عن أسباب هذه الإجراءات:

– لم تُفلح الجهود البشرية ولا كرم الإمبراطور ولا حتّى استرضاء الآلهة بإنهاء الاعتقادات المشينة أنّ الحريق كان مفتعلاً. وبالتالي، ولإخماد الشائعات، قام «نيرون» بتحويل الاتهام إلى أولئك الذين كُرهوا لأعمالهم المشينة، ومعاقبتهم بأكثر الطرق غرابةً، والذين كانت العامّة تدعوهم «المسيحيين». وقد أُعدم موجد هذا الاسم: المسيح، في فترة حكم «تايبريوس» على يد وكيل الإمبراطور «بيلاطس البنطي».

وبعد إخمادها بفترة من الوقت، عادت الإشاعات الفتاكة للظهور مرّةً أخرى ليس في منطقة يهودا، مصدر هذا الشرّ، فحسب بل في المدينة روما أيضاً، حيث تجتمع كافّة الأشياء السيئة والمشينة من كلّ مكان وتصبح شائعة. ولذلك، تمّ بدايةً اعتقال أولئك الذين اعترفوا بالأمر، ومن ثمّ وبناءً على معلوماتهم أُدين عددٌ كبير من الناس، ليس من أجل افتعال الحريق بل من أجل بغض الجنس البشريّ. وأضيفت السخرية إلى نهايتهم، فقد كانوا يُغطّون بجلود الحيوانات الميّتة ويتركون للكلاب تمزّقهم، أو أنهم كانوا يصلبون وفي نهاية اليوم يحرقون كالمشاعل. قدّم «نيرون» حدائقه لتكون مكاناً للعرض، كما خصص عرضاً في سِركه، مندمجاً مع الناس في ملابس سائق عربات، أو واقفاً على عربة السباق خاصّته. ولذلك نشأ شعورٌ بالشفقة على الرغم من الذنب الذي يستحقّ أقسى العقوبات ليكون عبرةً يحتذى بها، وذلك لأن الجميع أحسّ أنهم يُعاقبون على هذا النحو إرضاءً لوحشيّة رجلٍ واحد وليس من أجل المصلحة العامّة.

تمّ التشكيك بأمانة هذا الجزء في موضعٍ ما، حيث يحمل النصّ بعض الإشكاليات المهمّة كما تُظهر النسخ القياسيّة النقديّة. أدّت هذه الإشكاليات وغيرها في تفسير النصّ إلى عددٍ من الإدعاءات حُرّفت كلّها، أو الأجزاء الرئيسيّة منها. لكن هنالك أسباباً وجيهة تجعلنا نوافق الغالبية العظمى من الباحثين على أنّ هذا النصّ صحيحٌ بشكلٍ أساسيّ، على الرغم من الإشكاليات الناتجة بشكلٍ كبير عن أسلوب «تاسيتوس» المختصر.

فهذا الفصل عامّةً يحمل نمط «تاسيتوس» من حيث أسلوبه ومحتواه، كما ينسجم النصّ مع سياقه، ويُعتبر الخاتمة اللازمة للنقاش السابق حول حريق روما. وبما أن كتاب التأريخ لـ «سلبيسيوس سيفيروس» يتطابق مع جزءٍ كبيرٍ منه في بداية القرن الخامس، فلا بُدّ أنّ معظم التحريفات المقترحة قد حدثت في الفترة الممتدة بين القرنين الثاني والرابع. وبسرور ظاهر تشير «نورما ميلر» إلى أنّ «مفسّري النصوص القديمة من الوثنيين، ذوي النوايا الحسنة، لا يعبّرون عن أنفسهم بأسلوب »تاسيتوس« اللاتيني»، ويمكن أن يُقال الشيء نفسه عن الكتبة المسيحيين. وأخيراً، لا يمكن أن يكون أيّ من المزورين المسيحيين قد أشار إلى المسيحيّة بهذا الازدراء كما رأينا في

«الحوليات 15.44»، إضافة إلى أنه لم يكن موضوعاً وصفياً فقط عند إضافة معلوماتٍ عن المسيح في «15.44.3».

وتأتي الصعوبة النصيّة الوحيدة ذات الأهمية الخاصّة بدراستنا من الاستخدام الأول والوحيد لكلمة «مسيحيين» في الفصل 44. فمعظم النسخ النقدية القديمة تَقرأ «Christianoi»: «مسيحيين». على أية حال، فإن النصّ الأصليّ لأقدم مخطوطة باقية، من الحقبة الثانية لعائلة «ميديتشي» في القرن الحادي عشر الميلادي، والتي تُعدّ بشكل شبه مؤكّد مصدر كافّة المخطوطات الباقية الأخرى، يَقرأ Chrestianoi: «كريستونيين». ويصححها أحد المفسّرين الثانويين لتُصبح Christianoi، وهي القراءة الأكثر تفضيلاً على أنها الأقدم والأصعب، وتتبناها النسخ النقدية الحالية الثلاث، ويستخدمها الباحثون الحديثون، كما أنها تُعطي معنىً أفضل ضمن سياقها.

ويصحح «تاسيتوس»، بأسلوبٍ مطابقٍ لنمطه الاختزاليّ، الفهم الخاطئ لكلمة «العامّة» بكتابة أنّ موجد هذا الاسم هو «المسيح»، وليس «كريستوس» الاسم الشائع الذي أعطته العامّة ضمنياً. كان يمكن لـ«تاسيتوس» أن يكتب «موجد هذه الخرافات»، أو شيئاً مشابهاً، لكنّه يلفت انتباهنا بعبارته، الغريبة إلى حدّ ما، إلى اسم الحركة من أجل ربطها مباشرةً وبشكلٍ صحيح باسم المسيح. ولا يمكننا التأكد من قراءة «كريستونيين» بسبب النقص في المخطوطات، لكن على العموم فإنها مرجّحة أكثر من «مسيحيين».

أمّا الأدب الثانوي الذي يناقش كتابات «تاسيتوس» فهو شامل. وتتمثل أكبر مشكلةٍ في الدراسة الأكاديمية للفصل 44 في الربط بين الحريق واضطهاد «نيرون» للمسيحيين. هل كان «تاسيتوس» على حقّ في الربط بينهما بهذه القوّة؟ أم هل هما حدثان غير مرتبطين؟ كما يؤكّد كافّة المؤرّخين القدماء الباقين الذين كتبوا عن الحريق، وهل كان «نيرون» من أمر بافتعال الحريق؟ أم أنه كان حادثةً وحسب، أم هل صحيحٌ أنّ المسيحيين هم من أشعل النار؟ وتحت أي سلطةٍ قانونيّة أو حكمٍ قضائيّ تمّ معاقبة المسيحيين؟

ويمكن أن نتناول هذه الإشكاليات ها هنا لأنها تؤثّر على موضوعنا الأساسيّ، من خلال ما يقوله «تاسيتوس» عن المسيح. فمن بين كافّة المؤلفين الرومان، يقدّم لنا «تاسيتوس» أكثر المعلومات دقّة حول المسيح. لكنّ ما يقوله بشكلٍ واضح حول المسيح ينحصر في بداية جملةٍ واحدة في 15.44.3:

«أُعدم موجد هذا الاسم، المسيح، في فترة حكم «تايبريوس» على يد وكيل الإمبراطور «بيلاطس البنطي».

وفيما يلي سوف نتتبع العناصر الأساسيّة الثلاثة لهذه العبارة: «اسم المسيح». والمسيح بوصفه موجد حركة المسيحيين. وإعدامه في فترة حكم «تايبريوس» على يد وكيل الإمبراطور «بيلاطس البنطي».

وكما رأينا، فإن «تاسيتوس» يهجئ كلمة «المسيح» بشكلٍ صحيح، ويستخدم هذه التهجئة ليصحح الخطأ الشائع «كريستوس». ويتسم عمله بالمجمل بالانتباه لدقة التفاصيل. وبالنسبة «لتاسيتوس» فإن المسيحيين، وبالتالي موجدهم، ليسوا بالتأكيد «الكريستونيين»، أي «الجيدين والطيبين». وبالأحرى فهم مكروهون لأعمالهم الشائنة– (15.44.2). إن الكلمة التي يستخدمها «تاسيتوس» لوصف الأعمال الشائنة هي «flagitia»، وهي الكلمة التي استخدمها من قبل في (15.37) عن نيرون. ويقول: إن المسيحيين أصحاب «خرافات مهلكة» – (15.44.3)، ويحملون ذنباً يستحقّ أقسى العقوبات ليكون عبرةً يحتذى بها– (15.44.5).

يستخدم «تاسيتوس» كلمة «مسيح» على أنها اسم شخصيّ. وعلى ضوء الدقة التوثيقيّة التي تميّز عبارات «تاسيتوس» عن المسيح، فلماذا لم يستخدم «تاسيتوس» الاسم الشخصيّ «يسوع»؟ ولا يمكن أن ننتقص من دقّة «تاسيتوس» الكليّة بسبب اعتباره كلمة «مسيح» اسماً شخصياً، وعدم معرفته اسم «يسوع»، وذلك لسببين: أولاً، توجّه العهد الجديد نفسه إلى استخدام كلمة «مسيح» على أنها اسم علم مستقلّ عن «يسوع». ويمكن أن يكون هذا التوجّه قد انعكس في الاستخدام الذي وصل «تاسيتوس»، كما كان الأمر بالتأكيد في الاستخدام المسيحيّ الذي وصل »بليني«– (الرسائل 10.96). ثانياً، وأكثر أهميّة، حتّى لو أن «تاسيتوس» كان يعرف اسم »يسوع« فعلى الأرجح أنه لم يكن ليستخدمه في هذا السياق، لأن ذلك كان ليتداخل مع تفسيره لأصل «المسيحيين» من «المسيح»، مما سيُربك قرّاءه.

يدعو «تاسيتوس» المسيح بموجد هذا الاسم لـ«المسيحيين». ولا يعني هنا أن المسيح قد أسمى حركته تيمناً باسمه، بل إنّ عبارة «موجد هذا الاسم» تعني أن المسيح هو موجد الحركة التي تحمل اسمه، وبذلك يكون هنالك رابطٌ ماديّ بين الاسمين. فهم يُدعون المسيحيين لأنهم ينتمون إلى جماعة المسيح. هذا الرابط مهمّ في كيفيّة ربطه الضمنيّ للعقاب الذي تلقّاه المسيح مع العقاب الذي تلقّاه أتباعه على يد «نيرون». كما أن تصريف كلمة «Christianoi» باللاحقة «ianoi–» التي تدلّ على الازدراء، يتناسب تماماً مع هذا السياق، حيث لا يوجد أي شيء جيّد لدى «تاسيتوس» ليقوله عن المسيحيين.

كان من الممكن أن يكتفي «تاسيتوس» بهذا المقدار من وصفه للمسيح، بعد أن فسّر أصل كلمة «المسيحيين» بنسبها إلى اسمه. لكنّه يتابع بإخبار قرّائه أن المسيح «قد أعدم في فترة حكم

«تايبريوس» على يد وكيل الإمبراطور «بيلاطس البنطي». يقوم العديد من المترجمين الإنكليز بقلب ترتيب العبارتين »في فترة حكم «تايبريوس»« و»على يد وكيل الإمبراطور «بيلاطس البنطي»، إلاّ أنّ «تاسيتوس» وضعها بالترتيب الأمثل الذي يتوجب الحفاظ عليه أثناء الترجمة. أمّا عبارة «قد أُعدم» فالأصل اللاتينيّ لها يطول قليلاً ليعني «إنزال عقوبة» وخاصّةً عندما تكون عقوبة الموت. لتصبح في هذا السياق «إنزال عقوبة الموت على» أي «إعدام». يُعبّر «تاسيتوس» عن فكرة الموت بعدّة طرقٍ، ويتناسب هذا التعبير مع أسلوبه. لكنّه لا يقول صراحةً أنّ يسوع قد صُلب. بل إن إعدام «نيرون» للمسيحيين يربط مصيرهم بمصير المسيح الذي أُعدم في فترة حكم «تايبريوس». وكما يُشير «هاريس» فإن تكرار الفعل الأساسيّ في الأصل اللاتينيّ يربط العبارتين ببعضهما، كان المسيحيون «يُعاقبون بأكثر الطرق غرابةً» على يد «نيرون»، و«أعدم المسيح» على يد «بيلاطس». وتتناسب فكرة حرق بعض، أو كلّ، المسيحيين مع العقوبة الخاصّة بافتعال الحريق في القانون الروماني، على أساس الألواح العشر القديمة. وبذلك، جعل «نيرون» العقوبة مناسبةً للجريمة، لكنّه طبقها بقسوةٍ وهمجيّةٍ أدّت إلى تعاطف الناس
مع المسيحيين.

أخيراً، يُشير «تاسيتوس» إلى أن المسيح قد أُعدم في فترة حكم «تايبريوس» على يد وكيل الإمبراطور «بيلاطس البنطي». (حكم الإمبراطور «تايبريوس» منذ عام 14 وحتّى 37 للميلاد). ولا يذكر «تاسيتوس» العام الذي مات فيه المسيح، أو بالطريقة الأنسب: «صُلب من أجلنا المسيح»، وربّما لم يكن ذلك مهماً، وكأن قُرّاءه قد فهموا أنها جريمةٌ ضدّ روما.

كان «بيلاطس البنطي» الحاكم الروماني على منطقة يهودا من عام 26 إلى عام 36، وهي فترة تقع ضمن حكم «تايبريوس». أُعطي اسم «بيلاطس»، المكان في يهودا، والزمان بشكلٍ دقيق ومتوافق مع الأناجيل الكنسية ومع كتابات فيلون ويوسيفوس. تتفق الأناجيل الكنسية الأربعة أنّ «بيلاطس» هو بالفعل من أعطى الأمر بإعدام يسوع. ويتناسب هنا حكم «بروس»: «يمكن اعتبار أنه من سخرية التاريخ أن الإشارة الوحيدة الباقية إلى بيلاطس، في الكتابات الوثنية، تذكره بسبب حكم الموت الذي أنزله على المسيح».

يُعدّ وصف «تاسيتوس» لـ«بيلاطس» على أنه وكيل الإمبراطور مفارقةً تأريخيّة، فقبل أن يمنح «كلاوديوس» عام 41 للميلاد كلّ حاكم إقليميّ من طبقة الفرسان لقبَ «وكيل الإمبراطور»، كان الحاكم الروماني يُدعى «والي». وقد أُثبت هذا الأمر من خلال الاكتشاف المثير لحجر بيلاطس في مدينة قيصريّة فلسطين عام 1961، وهو أول دليل كتابيّ لبيلاطس يعود لحوالي عام 31 م. ويقرأ: «إن طبرية [قيصريّة][59]، بيلاطس [البنـ]طيّ، [وا]لي يهودا، يمـ[نح]». حتّى بعد هذا

التغيير عام 41م، لا بدّ أنه كان هنالك حرية محددة في استخدام هذين اللقبين، وخاصّة في الكتابات غير الرسميّة. ويتّفق معظم الباحثين أنّ «تاسيتوس»، مثل غيره من الباحثين، قد استخدم لقب «وكيل الإمبراطور» الذي كان شائعاً بشكلٍ أكبر في زمنه، بدلاً من اللقب الأقدم والأصحّ تاريخياً «والي». وكما يشير «ويلز» فبالكاد يؤثِر مثل هذا الخطأ على دقّة عبارات «تاسيتوس» الأخرى عن يسوع. فاسم «بيلاطس البنطيّ» ومكانه وتاريخه معلومات مؤكّدة، كما أنّ الوالي أو وكيل الإمبراطور في يهودا كان يتمتع بصلاحيّة إعدام المجرمين الذين لم يكونوا مواطنين رومانيين.

ولنختم نقاشنا حول مضمون ما قاله «تاسيتوس» عن يسوع، فنجد أنه من الملفت أن معظم ما يقوله «تاسيتوس» عن المسيحيين سلبيٌ بشدّة ويثير أسئلة المؤرّخين، بينما ما قاله بصراحةٍ عن المسيح حياديٌّ ومقبول على أنه دقيق. وتقتصر إشاراته إلى حياة المسيح إلى إيجاده لحركته وموته، ويقدّم موت المسيح على أنه مسألةٌ رومانيّة فقط. وحتّى في حال علم «تاسيتوس» بالأمر فلم يكن لديه أدنى سبب لذكر مشاركة اليهود فيه. إضافة إلى أن «تاسيتوس» لا يأتي على ذكر تعاليم المسيح، ولا يفسّر إعادة انبعاث حركته بعد قيامته، كما أنه لا يذكر أن المسيح كان يُعبد من قبل المسيحيين. أخيراً، لا ينسب «تاسيتوس» أيّاً من «أفعال المسيحيين المشينة» إلى المسيح، ربّما أنه لم يستطع لكن «تاسيتوس» ما زال يرى رابطاً سيئاً بين الاثنين. فالمسيحيون يتبعون رجلاً تمّ إعدامه من قبل روما، وهم يستحقّون الموت بشدّة. لكنّ خطأ «نيرون» كان بعقابه للمسيحيين الذي أثار التعاطف العام مع حركةٍ كانت بحقّ مكروهة، حتّى أن «تاسيتوس» نفسه شاركهم هذا التعاطف.

ما هو مصدر معلومات «تاسيتوس» عن المسيح؟ اقترح المؤرخون عدّة أنواع من المصادر، مكتوبة أو شفهية، مسيحيّة ورومانية. وأن نبيّن من أين لم يستق معلوماته، أسهل بكثير من تبيان من أين حصل عليها. أولاً، بالتأكيد لم يعتمد، بشكل مباشر أو غير مباشر، على أيّ كتابات جاءت من العهد الجديد. ولا يمكن إثبات أي اعتماد كتابي أو شفهي بين وصفه وروايات الأناجيل، فالصياغة مختلفة تماماً، ويتمثّل التقاطع الوحيد بينهما باسم «بيلاطس البنطي»، وهذا أمرٌ يمكن الحصول عليه بسهولة من أيّ مكانٍ آخر. ولم يعتمد «تاسيتوس» في معلوماته على أي وثيقة مسيحيّةٍ أخرى، وذلك بسبب بغضه للمسيحيين.

ثانياً، لا يبدو أن «تاسيتوس» قد اعتمد على أيّ من الشائعات العامّة، لأنه عندها كان سيشير ربّما إلى ذلك بتعبيرٍ مثل «أخبر أو تحدّث»، أو بدعوتها صراحةً بالإشاعات، كما فعل في روايته عن أن «نيرون» قد اعتلى مسرحه الخاصّ ورافق إحراق روما بأغنيةٍ – (15.39)، والتي تحوّلت إلى الفكرة الشعبيّة أنّ «نيرون» كان يعزف على الكمان بينما روما تُحرق. علاوةً على ذلك، فإن الإشاعات لا تؤدّي عادةً إلى دقّةٍ توثيقيّة عن مواضيع جدليّة مثل المسيح والمسيحيّة. ولا يمكننا

أن ننكر إمكانية أن يكون «تاسيتوس» قد وجد هذه المعلومات عن المسيح في تاريخ رومانيّ آخر مفقودٌ الآن، واستخدمها مصدراً له. على أية حال، لا يمكن إثبات هذا الأمر أيضاً، لأن «تاسيتوس» نادراً ما يشير إلى المكان الذي يعتمد فيه على مصادره، أو حتّى يسمّيها.

مصدرٌ آخر محتمل، لكن غير مؤكّد، هو تقريرٌ للشرطة أو القضاء كُتب خلال التحقيقات بعد الحريق، والذي يمكن أن يكون قد ذكر أصل المسيحيّة. هل وجد «تاسيتوس» سجلاً عن المسيح بين السجلات الرومانية عالية المستوى؟ وقد كان هنالك نوعان من هذه السجلات الرومانية، «كومنتاري برينسيبس–

The commentarii principis» و«أكتا سيناتس– The Acta Senatus». تمثّل «كومنتاري برينسيبس» سجلّ المحكمة للأباطرة. وتحتوي على سجلاّت مثل الحملات العسكريّة، المراسيم والقرارات وغيرها من إجراءات الإمبراطور القانونية. ويبيّن «تاسيتوس» أنّ هذه السجلات كانت سريّةً ومصانةً، وبذلك لم يكن باستطاعته الاطلاع عليها. ويُسجّل في كتابه (التاريخ 4.40) توضيحاً للطبيعة السريّة لهذه السجلاّت، ويبيّن أنّ مجلس الشيوخ كان يرغب باستخدام «كومنتاري برينسيبس» عند التحقيق في الجرائم، لكنّ طلبهم في الوصول إليها قد رُفض من قبل الإمبراطور بالإدعاء القديم للامتياز الحصريّ. على الرغم من عدم قدرة «تاسيتوس» على الوصول إلى «كومنتاري برينسيبس»، إلاّ أنّه يحتجّ على الحالة السيئة المُفترضة للسجلات. ومن المحتمل أن نجد إشارةً أخرى إلى حالة هذه السجلات في رسائل «بليني» إلى «تراجان»، حيث أن «بليني» يقدّم النصّ الكامل في كلّ مرّةٍ يُشير فيها إلى إجراءٍ إمبراطوريّ. النوع الآخر من السجلات الرسميّة «أكتا سيناتس»، سجلّ الأعمال والنشاطات الخاصّة لمجلس الشيوخ. هذه السجلات كانت متاحة، ويقرّ «تاسيتوس» أنه كان يستخدمها، لكنّ تقريراً عن يسوع لن يوجد هنا على الأغلب. لن يكون تقريراً من «بيلاطس» أو من أيّ مسؤولٍ رومانيّ في يهودا، لأن منطقة يهودا كانت ولايةً إمبراطورية وليست تابعة لمجلس الشيوخ، وبذلك فإن حكّام هذه المنطقة لن يبعثوا بتقاريرهم إلى مجلس الشيوخ. ولكن من الممكن أن يكون مجلس الشيوخ قد حقق في موضوع الحريق عام 64 وأجرى بحثاً عن المسيح من أجل التوضيح، وانتهى هذا التقرير في أرشيفه. لكن يبقى هذا الأمر مجرّد افتراض، حيث لا يوجد لدينا أيّ إشارة لها من أيّ مصدرٍ باقٍ. علاوةً على ذلك، يستخدم «تاسيتوس» تعبير «وكيل الإمبراطور» في غير مكانه التاريخيّ، وقد يشير ذلك إلى أنه لم يستخدم وثيقةً رسميّة من السجل الإمبراطوريّ ولا من سجلّ مجلس الشيوخ، لأن هكذا وثيقة لن تقوم بمثل هذا الخطأ.

مصدرٌ ممتعٌ لمعلومات «تاسيتوس»، مع أنه غير مرجّح، يمكن أن يُستنتج من القلّة من الكتّاب المسيحيين القدماء. يذكر هؤلاء الكتّاب أنّ «بيلاطس البنطي» كتب تقريراً إلى روما مباشرةً

بعد موت يسوع، أو عندما بدأت حركته بالاتساع بعد موته. ويبيّن «يوستونيوس الشهيد»، عند كتابته «الاعتذار الأول» إلى الإمبراطور حوالي عام 150، أن تقريراً عن محاكمة يسوع ومعاقبته كان يُدعى «سجلات بيلاطس» قد أرسل إلى روما، وأنه كان يحتوي حتّى على دلائل على معجزات يسوع – (الاعتذار الأوّل 35، 48). على الرغم من أن «تيرتولين» يكرر هذا الادعاء ضدّ مارسيون – (4.7، 19/ الاعتذار – 5، 12)، إلاّ أنه يبدو غالباً غير محتمل. فلا يمكن دعم هذا الادعاء، ولا يوجد لدينا أي إشارة إلى أنّ الحكّام الرومان كانوا يكتبون تقارير عن أفراد من غير المواطنين الرومان الذين يُحكم عليهم بالموت. ومن المحتمل أكثر أنّ «يوستونيوس» افترض وجود هذه الوثيقة بمخيّلته الدينيّة لكي يدعم موقف المسيحيّة في أعين الإمبراطور، كما كان يمكن أنّ يدّعي أنّ الإمبراطور يمتلك «سجلاً لإحصاءات السكّان» يُثبت أنّ يسوع ولد في بيت لحم! – (الاعتذار الأول 34). أو أنّ «يوستونيوس» كان يعرف وثيقةً مسيحيّة ملفّقة ويعتبرها موثوقةً، كما فعل «تيرتولين». في العهد الجديد وفي كتابات «فيلون» و«يوسيفوس» اشتهر «بيلاطس» بقسوته وعدم عدله بين رعاياه، ومن غير الممكن تصوّر أنه كان سيبعث تقريراً إلى الإمبراطور يبيّن فيه تفاصيل ما سيصبح أحد أكبر إخفاقاته. حتّى لو أن «بيلاطس» قد نظم تقريراً عن محاكمة يسوع، وهو ما يعتقده قلّة فقط اليوم، فقد كان سيُدرج في الأرشيف الإمبراطوري السريّ ولم يكن ليتوفّر لـ«تاسيتوس» أو غيره من الكتّاب. وإن تسمية «تاسيتوس» لـ«بيلاطس» بوكيل الإمبراطور بدلاً من الوالي هو دليلٌ على أنّ معلوماته لا تعتمد على وثائق من «بيلاطس» نفسه، فما كان «بيلاطس» ليكتب لقبه الخاصّ إلا بشكلٍ صحيح، وعندها كان «تاسيتوس» على الأرجح سينقله بأمانة.

المصدر المرجّح لمعلومات «تاسيتوس» عن المسيح هو تعامله الخاصّ مع مسيحيين، بشكل مباشر أو غير مباشر. وبينما لا يأتي «تاسيتوس» على ذكر أيّ تجربةٍ مع مسيحيين، إلاّ أنه مرّ بفترتين من حياته حيث كان من الممكن أن يكتسب معلومات عنهم. تعود الفترة الثانية إلى كونه حاكم ولاية آسيا. في الوقت ذاته، كان صديقه المقرّب «بليني الأصغر»، حاكم ولاية بيثينيا المجاورة، قد واجه بعض الصعوبات في التعامل مع بعض المسيحيين. وكان من الممكن أن يجري «تاسيتوس» تحقيقاتٍ مشابهةٍ أو محاكماتٍ للمسيحيين، الذين تواجدوا في عدّة مدنٍ من آسيا، أو أنه اكتسب معلوماته من «بليني». أمّا الفترة الأولى التي قد يكون «تاسيتوس» تعلّم فيها عن المسيحيين فغالباً ما تلقى اهتماماً من قبل المؤرخين الذين يحاولون اكتشاف مصادر «تاسيتوس». ففي عام 88 للميلاد، أصبح «تاسيتوس» عضواً في «كويندیسمفيري ساكريس فاسينديس–Quindecimviri Sacris Faciundis»، المنظمة الكهنوتية المكلفّة بعدة أمورٍ ومنها المحافظة على كتب العرافة، والإشراف على ممارسات الطوائف الدخيلة المُجازة رسمياً في المدينة. ويتحدّث «تاسيتوس» في هذا الفصل عن استشارة كتب العرافة، ويعرف التدابير الشعائريّة التي تلت ذلك

بدقّة – (15.44)، وهي أمورٌ كان يمكن أن يعلم عنها عند خدمته في المنظمة الكهنوتية. وعلى الرغم من أنّ المسيحيّة لم تكن أبداً طائفةً مُجازة بشكلٍ رسميّ، فإنه من الطبيعي أن نفترض أن مجمعاً كهنوتياً مكلّفاً بتنظيم الأديان المشروعة سيعرف شيئاً عن الأديان غير المشروعة.نأأأأأ ويصبح هذا الأمر محتملاً أكثر مع ازدياد ضرورة تمييز المسيحيّة غير المشروعة من اليهوديّة المشروعة. وبذلك ربما تكون المعلومات عن طائفة المسيحيين المحظورة قد وصلت إليه في هذا الوقت.

على الرغم من أن ما قاله «تاسيتوس» عن المسيحيّة كان وسيبقى على الأرجح إشكالياً، إلاّ أنّ ما قاله عن المسيح واضحٌ تماماً. ويقدّم «تاسيتوس» في معلوماته المتناثرة لكن الدقيقة أقوى دليل على موت يسوع خارج العهد الجديد. وقد يُعتقد أن ذكره المقتضب للمسيح يدعم بعض العناصر الأساسيّة للعهد الجديد. ولكن هل تؤمّن «شهادة تاسيتوس» هذه دليلاً حاسماً على وجود يسوع؟ إذا استطعنا أن نتأكد أنّ رواية «تاسيتوس» كانت مستندة على مصدرٍ غير مسيحيّ فإن الإجابة ستكون بالإيجاب، لكن وكما رأينا فلا يمكن تأكيد استقلالية مثل هذه المعلومات. وكما يستنتج «ر. ت. فرانس»: بينما يؤيّد دليل «تاسيتوس» روايات العهد الجديد عن موت يسوع، فلا يستطيع لوحده أن يثبت حصول هذه الأحداث كما تمّ إخبار «تاسيتوس»، أو حتّى إثبات وجود يسوع. ويرى «فرانس»، وهو محقّ بذلك، أنه يوجد عدد من الأدلة المقنعه عن وجود يسوع في العهد الجديد. ويفترض «تاسيتوس»، وهو مؤرّخ دقيق، وجود يسوع ولم يكن لديه سبب ليشك بذلك.

مارا بار سيرابيون: الملك اليهوديّ الحكيم

في وقتٍ ما بعد 73 للميلاد، كتب رجلٌ يُدعى «مارا بار سيرابيون» رسالةً بليغةً باللغة السريانية إلى ابنه الذي كان يُدعى «سيرابيون». يعود النصّ الوحيد الباقي، والموجود الآن في المتحف البريطانيّ، إلى القرن السابع عشر. لا نعرف شيئاً آخر عن «مارا» أو «سيرابيون» ماعدا هذه الرسالة. لم يصف الكاتب مدرسته صراحةً، لكن تدلنا رسالته على أنه كان رواقياً[60]. ونستنتج أنه لم يكن مسيحياً بسبب فشله بذكر اسم يسوع أو المسيح صراحةً، وبسبب إعلانه أن خلود يسوع يعود إلى قوانينه الجديدة وليس إلى قيامته. وفي كتابته لـ«سيرابيون» يتحدّث «مارا» عن يسوع على أنه «ملك اليهود الحكيم»، الذي انتقم الله لموته بعدل، حيث تستمر «قوانينه الجديدة».

دُمّرت مدينة «مارا» في حربٍ مع روما، وسيق مارا وآخرون أسرى لدى الرومان. ويشير في نهاية رسالته أنّ الرومان الذين يحتلّون أرضه كطغيانٍ إمبراطوريّ سيلقّون الخزي والعار على أفعالهم. ويضيف: إذا سمح الرومان لنا بالعودة إلى أمّتنا بعدلٍ وإنصاف...، سيعتبرون جيدين وصالحين، وستكون الأمّة التي يعيشون فيها آمنةً أيضاً. ومعظم الرسالة يحمل النصح للبحث عن الحكمة من أجل التعامل مع المصاعب المحتومة للحياة. فالحكمة تساعد الناس على التعامل مع خسارتهم للأماكن والممتلكات والأشخاص، وبذلك يتمكنون من أن يكونوا صالحين وآمنين على الرغم من مصاعبهم. كما تجلب الحكمة خلوداً معيناً. يقول: يا بنيّ، إنّ حياة الناس لن تطول في هذه الدنيا، لكن بالنسبة للحكماء فإنّ فضائلهم وشهرتهم تبقى إلى الأبد. ولتوضيح هذه الفكرة يقول «مارا»، مع الإشارة في البداية إلى مشاكله الخاصّة، أنّه عندما يتم قمع الحكماء فلا تنتصر حكمتهم في النهاية فحسب، بل أنّ الله يعاقب مضطهديهم:

ماذا يمكننا أن نقول أيضاً عندما يُبعد الحكماء بالقوة من قبل المستبدين، وتُحاط حكمتهم بالإهانات، ويضطهدون بدون القدرة على الدفاع؟ ما الفائدة التي حظي بها الأثينيون من قتل سقراط[61]، الأمر الذي عوقبوا عليه بالمجاعة والوباء؟ أو ما الفائدة التي حظي بها الساموسيون من حرق فيثاغورث[62]، حيث غطّيت بلدهم بالرمل في ساعةٍ واحدة؟ أو اليهود من قتل ملكهم الحكيم، حيث أُخذت مملكتهم في ذات الوقت؟ لقد عوّض الله لهؤلاء الحكماء الثلاثة بشكلٍ عادل فقد مات الأثينيون من المجاعة، وغمرت مدينة الساموسيين بالرمل بشكلٍ كامل، أمّا اليهود الذين

أخرجوا من مملكتهم فقد تشتتوا في كلّ الدول. لم يمت سقراط بسبب أفلاطون، وكذلك فيثاغورث، لم يمت بسبب تمثال جونو، ولم يمت الملك الحكيم بسبب القوانين الجديدة التي وضعها.

على الرغم من عدم تسميته، وعلى الرغم من أنّ «الملك الحكيم» ليس لقباً مسيحياً شائعاً على الإطلاق، فإن يسوع من دون أيّ شكّ هو المقصود بعبارة «الملك الحكيم». أولاً، يتحدث «مارا» عن هذا اليهوديّ الحكيم بوصفه ملكاً، ولقب «ملك» يرتبط بشكلٍ جليّ فيما نُقش على صليب يسوع حول محاكمته وموته على وجه الخصوص- (مرقص 15:26). ثانياً، يتماثل ربط «مارا» بين تدمير أمّة اليهود وموت «الملك الحكيم» مع العرف المسيحيّ، حيث يُعتبر تدمير القدس عقاباً لرفض اليهود ليسوع. تشير الأناجيل السينوبتية إلى هذا الربط بشكلٍ ضمنيّ، مثال: متّى (23:37، 24:2، 27:25). ومرقص (13:12)، ولوقا (42:19-44، 5:21-6، 20-24، 23:28) . لكنّ «يوستونيوس» هو أوّل من يصرّح بذلك (الاعتذار الأول: 32:4-6، 47-3، 53:2،49. والحوار: 25:5، 108:3). أمّا لدى كتّاب الكنيسة اللاحقين فقد أصبح هذا موضوعاً شائعاً. ثالثاً، إنّ عبارة: «القوانين الجديدة التي وضعها»، هي على الأرجح إشارةٌ إلى الدين المسيحيّ، وخاصّةً تشريعها الأخلاقيّ، فلا نعرف أيّ شخصٍ آخر غير يسوع في التاريخ القديم كان يماثل هذا الوصف.

على أية حال، إذا كان «مارا» يقصد يسوع فلماذا لم يستخدم اسمه؟ إنّ عدم استخدام «مارا» لكلمة «يسوع» أو «مسيح» أمرٌ لافتٌ، لأنه يدعو إلى شهرة تعاليم الملك الحكيم بشكلٍ ضمنيّ. إن هذا الملك وتعاليمه بمستوى واحد مع سقراط وفيثاغورث اللذين كانا اسمين مشهورين في العالم القديم. ويقترح «جوزيف بلنزر»، وبدون أي حجج داعمة، أنّ: الكاتب لم يكن على معرفةٍ باسم يسوع أو مسيح. وبينما يبدو هذا الاقتراح ممكناً، فمن غير المحتمل أنّ «مارا» يدعو إلى شهرة حركةٍ جديدة، ومع ذلك ليس على علمٍ باسم مؤسسها. والمرجّح أنّه يكتم اسم يسوع للسبب نفسه الذي لا يصرّح من أجله بأن يسوع قد قُتل.

قبل قرنٍ مضى، اقترح «دبليو. كرتن» أنّ اضطهاد الرومان للمسيحيين في الوقت الذي كُتبت فيه هذه الرسالة هو ما دفع «مارا» إلى كتم اسم يسوع، بينما يقوم بإشاراتٍ ضمنيّةٍ إليه لا يمكن إغفالها. وهذا أيضاً أمرٌ محتمل، فعلى الرغم من أن التاريخ غير المؤكّد لهذه الرسالة، والطبيعة المحليّة والمتفرّقة لمعظم ملاحقات المسيحيين، كلها تجعل من الصعب معرفة ذلك بشكلٍ يقينيّ.

الاحتمالُ الثالث يعتمد على الأسلوب الأدبيّ، فسابقاً في الرسالة، يشير «مارا» إلى سقراط وفيثاغورث، لكنه لا يشير إلى يسوع ضمن قائمةٍ تضمّ أسماء مشاهيرٍ من القدماء، ويعقّب: أنّ

فضائلهم وشهرتهم تبقى إلى الأبد. في نصنا هذا يأتي على ذكر هؤلاء الاثنين مرّة أخرى دون ذكر يسوع، ليبقى مطابقاً لعباراته السابقة. إن هذا الاحتمال غير مُرضٍ أيضاً، كما أنه لا يشرح كيف أنّ شخصاً مشهوراً لتعاليمه يكون مجهول الاسم. ربما لا يكمن السبب في وضع المسيحيّة، بل في وضع «مارا»، حيث أنه لا يذكر اسم يسوع لأن الرومانيين هم من دمّر وشتت اليهود، وهو لا يريد أن يُزعج محتليه. كما أنه قد لا يرغب أن يُشير، في ظلّ احتلال بلده، إلى أنّ الرومان كانوا أداة الله في إعادة سيطرتهم على يهودا.

إنّ أولئك الذين درسوا رسالة «مارا» يعطونها عدداً من التواريخ المتنوّعة، لكنّ الغالبية يعودون بها إلى القرن الأول، بعد فترة قصيرة من الغزو الروماني لمملكة «كوماجين»[63] عام 73، وهو فيما يبدو العام الذي يشير إليه الكاتب. يبيّن «بروس» أنّ الرسالة تعود إلى وقت غير محدد بعد عام 73 للميلاد، لكن يبدو أنه يُفضّل تاريخاً غير بعيد عن ذلك العام. «بلينزر» و«إيفانز» أيضاً يعيدان الرسالة إلى القرن الأول. «مورو» ينسب الرسالة إلى الفترة الممتدة بين عامي 73 و399، قائلاً إنّه من المستحيل إعطاء دقّة أكثر من ذلك. يرى «فرانس» أنّها يجب أن تكون بعد تدمير القدس عام 70، ويمكن أن تكون كتبت في القرن الثاني، ويتبع تحليل «براون» التقدير ذاته. أمّا «ليون دوفور» فيؤرّخها أبعد من الباقين، حوالي عام 260.

لكن القرن الثاني هو التاريخ المرجّح، فهو يناسب وضع الكاتب بقدر القرن الأول تماماً، ويناسب وضع الشعب اليهوديّ أكثر. وكما يبيّن «كرتن» في مناقشته لتاريخ منتصف القرن الثاني، يقول: «إنّ المشاكل التي يشير الكاتب إلى وقوعها عليه وعلى مدينته تنطبق على أولئك الذين عانوا على يد الرومان في البلاد التي تقع حول نهري الفرات ودجلة. هذه البلاد كانت متحمّسة للثورة ضدّ الرومان تحت قيادة »لوسيوس فروس« 162–165 للميلاد... حيث نُهبت مدينة سلوقية وأُحرقت من قبل الرومان». والأكثر إقناعاً حيث تشير الطريقة التي يتكلّم بها الكاتب عمّا حدث لأمّة اليهود إلى تاريخ زمانه بعد الثورة اليهودية الثانية– (132–135). يقول «مارا»: أنّ مملكتهم قد سُلبت، وأنهم دُمّروا. وهذه اللغة تتناسب مع الفترة التي أعقبت إمّا الثورة الأولى أو الثانية. لكنّ إشارته إلى أنّ: «اليهود أخرجوا من مملكتهم، وشُتتوا في كلّ الدول»، تنطبق بالأخص على ما بعد الثورة الثانية، فعندها فقط، وبقرارٍ من الإمبراطور «هادريان»[64]، تمّ طرد كافّة اليهود من مدينة القدس وضواحيها، جاعلاً منها مستعمرةً رومانيّة لا يُسمح لأيّ يهوديّ بدخولها. لا شكّ في أن هنالك بعض المبالغة في لغة «مارا»، لكن الأمر أكثر من المبالغة في الكلام. وبذلك يمكننا أن نستنتج ببعض الثقة أنّ تاريخاً في النصف الثاني من القرن الثاني هو المرجّح.

من أين حصل «مارا» على معلوماته عن يسوع؟ لم يذكر «مارا» مصادره، كما العديد من الكتّاب القدماء، وبذلك ينبغي علينا التوصل إليها بأنفسنا. ويُفضّل هنا مصدرٌ غير مسيحيّ لأنّ «مارا» لا يصرّح أنّ موت يسوع كان فداءً للبشرية، ولا أنّه يعيش من خلال إعادة بعثه، وهي عناصر أساسيّة في معظم الطوائف المسيحيّة. استطاع بعض الاعتذاريين[65] المسيحيين أن يُقارنوا يسوع بسقراط وفلاسفةٍ آخرين، لكن برؤية أنّ يسوع كان أرفع مقاماً، وليس مساوياً لهم، كما يشير مارا. ويُرجّح مصدرٌ غير مسيحيّ أيضاً لأنّ «ملك» ليست لقباً مسيحياً تقليدياً في الأدب المسيحيّ المبكّر، كما أن «الملك الحكيم» لم تُثبت أبداً. ومع ذلك، فإنّ موازنة الدليل ترجّح مصدراً مسيحياً. أولاً، يبيّن «مارا» أنّ اليهود قتلوا يسوع ظلماً، قتلوه تماماً كما قتل الأثينيون سقراط ظُلماً، وكما قتل الساموسيون فيثاغورث. وبينما يقرّ العرف اليهوديّ أنّ السلطات اليهوديّة أعدمت يسوع، ومن الجائز أن يكون «مارا» قد علم عن موت يسوع من مصادر يهوديّة، فإن هذا العرف كان على الأرجح نقطة خلاف بين الكنيسة المسيحيّة والكنيس اليهوديّ، لكنّه لم يجد طريقاً ليصبح جدلاً أكبر يمكن لـ«مارا» أن يعلم به. علاوةً على ذلك، يبدو أنّ العرف الذي وصل «مارا» يحتوي حكماً سلبياً فيما يخصّ موت يسوع لم يكن موجوداً في العرف اليهوديّ الذي يبرّر موت يسوع بأنه كان قانونياً. ثانياً، كما رأينا فإن «مارا» يربط موت يسوع بدمار الأمّة اليهوديّة، كما فعل العرف المسيحي فقط. ومع أنّ مصدراً مسيحياً للمعلومات مرجّحٌ أكثر إلاّ أنه لا يمكننا إنكار أنّه كان لـ«مارا» مصدرٌ غير مسيحيّ للمعلومات أيضاً، خاصّةً إن كانت «القوانين الجديدة» لـ«الملك الحكيم» معروفةً أيضاً كما يشير.

إن نتائج دراسة يسوع التاريخي ضئيلةٌ جداً. ورسالة «مارا» ليست شاهداً مستقلاً على وجود يسوع، وذلك لسببين. أولاً، أنّها تربط حياة «الملك الحكيم» بحركته وتعاليمها، بما يجعل من المحتمل أنّ «مارا» عَلِمَ عن الملك الحكيم من مسيحيين. ثانياً، إن تأكيد الرسالة على أنّ اليهود قتلوا يسوع هو أمرٌ مريب. فبناءً على توجهه، سيكون تضمين «مارا» في هذا الأمر مناقضاً لرؤيته الأساسيّة وهي أنّ أولئك الذين يضطهدون رجالهم الحكماء يقومون بذلك على مسؤوليتهم الشخصيّة. بالمجمل، تتحدث رسالة «مارا» عن المسيحيّة أكثر مما تتحدث عن المسيح. والمثير في الأمر أنّ هذا الكاتب الرواقي الذي يعود إلى منطقةٍ خارج الإمبراطورية الرومانية، يرى المسيحيّة بمنظورٍ إيجابيّ، ويقارن مؤسسها بسقراط وفيثاغورث. تظهر رسالة «مارا»، وهي أقدم إشارةٍ فلسفيّة غير مسيحيّة إلى المسيحيّة، الجاذبية التي كانت للمسيحيّة لدى بعض المثقّفين. ولا يجب تفسير إشارة «مارا» إلى المسيح والمسيحيّة على أنها تأييد لها أكثر من اعتبار ذكره لسقراط وفيثاغورث تأييداً لمدارسهم الفلسفية. لكنّه يستخدم مثال يسوع وتعاليمه ليحثّ مواطنيه على التحمّل والرومانيين على الرأفة.

لوقيان السميساطي: السفسطائيّ المصلوب

كان لوقيان السميساطي «حوالي 115–200» هجاءً يونانياً معروفاً، ومُحاضراً متنقلاً، وهنالك أكثر من ثمانين كتاباً تحمل اسمه، معظمها واقعيّ تتعرض لعيوب زمانه ونقاط ضعفه. يصف «لوقيان» في كتابه حياة وموت «بيريغرينوس» المشهور في القرن الثاني، فلم يكن «بيريغرينوس» شخصيّةً ثانويّةً قام لوقيان بانتشاله من الغموض ليصبح هدفاً للسخرية، بل كان كلبياً، لم يكن أيّ رجلٍ مثقّف ليكفّ عن التفكير في آرائه الفلسفية والسياسية والدينيّة. فبعد أن نفي من مدينته لقتله والده، تحوّل «بيريغرينوس» إلى المسيحيّة، وأحرز تقدّماً فيها، ومن ثمّ تحوّل عنها إلى المذهب الكلبيّ والثورة السياسية، وأخيراً أنهى حياته على محرقةٍ قرب الألعاب الأولمبية عام 165. يهدف «لوقيان» إلى تحذير قرّائه من نمط الحياة التي يقودها «بيريغرينوس» ومن انفعاليته وتكلّفه المناقضين للتوجه العقلانيّ الذي يؤيده «لوقيان».

إن الجزء المتعلّق بالمسيحيين من كتاب «بيريغرينوس» يهزأ من أتباع تلك العقيدة، بسبب جهلهم وسذاجتهم، على الرغم من أنه يمنح المسيحيين مستوى معيّناً من الفضيلة. وفي سياق وصفه لمدى سهولة أن يخدعهم مشعوذٌ مثل «بيريغرينوس»، يعقّب «لوقيان» على مؤسس المسيحية وتعاليمه:

خلال هذه الفترة ربط «بيريغرينوس» نفسه بكهنة وكتبة المسيحيين في فلسطين، وتعلّم حكمتهم المذهلة. بالتأكيد، جعلهم يبدون بوقتٍ قصير مثل الأطفال، كان نبيّهم وقائدهم ورئيس كنيسهم، وكلّ شيء بالنسبة لهم. قام بشرح بعض من كتاباتهم المقدّسة والتعليق عليها، وحتّى أنه كتب البعض منها بنفسه. تطلعوا إليه كأنه إله، وجعلوه مشرّعهم واختاروه الراعي الرسميّ لمجموعتهم، أو على الأقل نائبه. لقد كان الثاني فقط بعد ذلك الذي مازالوا يعبدونه اليوم، ذلك الرجل الفلسطيني الذي صُلب لأنه أحضر هذه الصيغة الجديدة من الشعائر إلى العالم (11§).

سُجن «بيريغرينوس» وذهب المسيحيون لمساعدته، محضرين له وجبات الطعام والنقود. ومن ثمّ يشرح «لوقيان» لما قاموا بذلك: احتقر هؤلاء الفقراء البائسون الموتَ، وقدّموا أنفسهم إليه طواعيةً، حيث أنهم أقنعوا أنفسهم أنهم خالدون وسيحيون للأبد. علاوةً على ذلك، أقنعهم ذلك المشرّع الأوّل أنهم جميعاً يصبحون إخوةً في اللحظة التي ينكرون فيها الآلهة اليونانية، ويبدؤون عبادة ذلك السفسطائي المصلوب، ويعيشون بناءً على قوانينه. فهم يحتقرون كلّ الملكيات دونما

تمييز ويعتبرونها ملكيات شائعة، ويتقّبلون كلّ هذه الأشياء على أساس العقيدة فقط دون أي دليل. وبالتالي إذا جاءهم شخصٌ محتال ومخادع يعلم كيف يستغلّ الوضع، سيستطيع أن يجعل من نفسه غنياً في وقتٍ قصير، بينما هو يضحك على هؤلاء الناس الحمقى (13§).

بعد ذلك حُرر «بيريغرينوس» من السجن من قبل حاكم سوريا الروماني، الذي لم يُرد تحقيق رغبة «بيريغرينوس» بأن يُصبح شهيداً. عاد «بيريغرينوس» إلى منزله ليجد تُهماً بالقتل مازالت تحاصره. وتتابع القصّة بدون أي إشارة إلى المسيح ومع إشارةٍ ضمنيّةٍ واحدة إلى المسيحيين، حيث يوقفون دعمهم الماليّ لـ«بيريغرينوس» لأنهم أمسكوا به يأكل بعضاً من الفاكهة المحرّمة (16§).

إنّ النصّ الذي يحمل إشارات إلى يسوع نصّ متوازن، وبذلك يمكننا الانتقال مباشرةً إلى التفسير. يتحدّث «لوقيان» عن المسيح في سياق هجومه على المسيحيّة، ويقدّم عدّة أمور بدقّة عن مسيحيّة القرن الثاني. فهو يعلم أنّ المسيحيين يعبدون إلهاً كان رجلاً من قبل، صُلب في فلسطين. ويؤمنون بقوّة بالحياة بعد الموت بشكلٍ يؤثّر على حياتهم الحاليّة. «يعيش المسيحيون تبعاً لقوانينه، أي قوانين المسيح»، خاصّةً الحبّ الأخويّ (قارن: مثال على ذلك، متّى– 23:8، حيث يقول: كلّكم إخوة). لدى المسيحيين نصوصهم المقدّسة يقرؤونها بانتظام ويفسّرونها. يزورون ويساعدون رفاقهم المؤمنين المسجونين (قارن: متّى– 25:35). ويتواصلون مع بعضهم بشكلٍ كبير. يقبل المسيحيون تعاليمهم الأساسيّة على أساس العقيدة وليس الاستدلال الفلسفيّ.

على الرغم من أنّ معرفته هذه مؤثرة، إلاّ أنّ أموراً أخرى يذكرها «لوقيان» تجعلنا نشكك بدقّته: فهو يقول إنّ المسيحيين في فلسطين لديهم «كهنة– priests». ولم يُثبت هذا التعبير عن قادة المسيحيين حتّى القرن الثاني (مخطوطة الديداخي -13:3، كليمنتس الأول– 40، تيرتولين، المعمودية– 17). فقد كان هنالك تعبير أكثر شيوعاً للدلالة على «الكهنة - presbyters». أمّا تعبير «الكتبة» فقد يحمل دعماً ضمنياً في العهد الجديد كتسمية القادة في متّى (13:51–53 و23:34). على أية حال، فإن ارتباطها السلبيّ الأعم في العرف الإنجيلي مع اليهوديّة جعلها غير محبّذة كلقبٍ للقادة المسيحيين. ولم يُثبت بشكلٍ واضح في أي مكان على أنه لقب رسميّ للقادة الدينين المسيحيين. والمرجّح أنّ «لوقيان» استعار هذه التعابير من اليهودية وطبّقها على الفلسطينيين المسيحيين بغير تناسبٍ تاريخيّ، معتقداً أنها ستتوافق معها. كما أنّ وصف المسيحيّة بـ«صيغة جديدة من الشعائر الغامضة» هو وصفٌ غير مناسب. من غير المحتمل أن يكون «بيريغرينوس» قد أصبح نبياً أو قائداً في كنيسة القرن الثاني أو حتّى «الراعي والحامي». أخيراً، يقول «لوقيان» أنّ «بيريغرينوس» أصبح رئيس الكنيس اليهوديّ، وهذا ليس نوع القائد لمجموعة كبيرة كما تصوّرها «لوقيان».

تُظهر هذه الأخطاء أنّ «لوقيان»، كغيره من الكتّاب الكلاسيكيين، خلط بين اليهودية والمسيحية في بعض الجوانب، كما أنه فهم المسيحيّة على أنها دينٌ غامضٌ سواء كان ذلك مناسباً أم لم يكن. فيهاجم «لوقيان» المسيح بغرض مهاجمة المسيحيين، فهو يعتبر المسيحيّة مجرّد طائفةٍ خرافيّةٍ في زمنٍ تغلبه السذاجة. ويشير «لوقيان» إلى المسيحيين في عملٍ آخر له: ألكسندر، أو النبيّ الزائف (§25 و§38)، لكنّه لا يذكر المسيح هناك أو في أي عمل خلاف «بيريغرينوس». وتتناسب المعلومات التي يقدّمها «لوقيان» مع موضوع هذا العمل. يتطلّع «بيريغرينوس»، كما المسيحيين وموجدهم، إلى أن يُصبح شهيداً. وعندما يدعو المسيحيون «بيريغرينوس» المسجون بـ«سقراط الجديد» (§12)، لا يشير ذلك إلى مكانته بينهم بوصفه معلّماً وقائداً، لكنّه يلمّح إلى موته انتحاراً. وسابقاً في– §5، يقوم أحد الذين يثنون على «بيريغرينوس» في خطبةٍ قبل تضحيته بنفسه بمقارنته... حتّى بسقراط نفسه.

ماذا يقول «لوقيان» عن موجد هذه الطائفة؟ تمتلئ كلّ إشارة يقوم بها «لوقيان» إليه بالبغض، أولاً، نلاحظ أنه لا يعطي اسماً لموجد الطائفة، بل يستخدم تعبير الازدراء «ذلك» يقول: «ذلك الذي مازالوا يعبدونه اليوم (§11)، و«ذلك المشرّع الأوّل (§13)، و«ذلك السفسطائي المصلوب (§13). فمن الواضح أنّ «لوقيان» يقصد يسوع بهذا الأمر، وذلك اعتماداً على الأمور الأخرى التي قيلت عنه في هذه الأقسام. يدعوه «لوقيان» بشكلٍ ضمنيّ «الراعي» أو «الحامي»، و«المشرّع» و«ذلك السفسطائيّ المصلوب». إنّ تسمية يسوع بـ«الراعي، الحامي»هي طريقةٌ أخرى للقول إنه قائد المجموعة. ويرى «لوقيان» أنّ هذه القيادة هي مسألة اتّباع قوانينه. عندما يشير «لوقيان» مرّتين إلى يسوع بأنه «مشرّع»، فإنّه يشير إلى «قوانين» طريقة الحياة التي وضعها يسوع لأتباعه. ويرى أنّ طريقة حياة المسيحية صادرة من المسيح نفسه. كما أنّ كلمة «المشرّع» لا توجد مشيرةً إلى يسوع في الأدب المسيحيّ الأول، على الرغم من أن تعاليم يسوع يمكن أن تُسمّى قوانين (غلاطية 6:2، ورومية– 3:27، ويعقوب– 2:8،12). وفي بعض الأحيان تُدعى المسيحيّة بـ«القانون الجديد»، مثال: (برنابا– 2:6، إغناطيوس– 2). لقد كان موسى، موجد اليهوديّة، يُدعى المشرّع، كما يوجد مثال ذلك لدى الرومان اليونانيين. وبذلك ليس من الصعب أن نرى كيف تمّ إظهار يسوع على أنه «مشرّع».

كما أنّ «لوقيان» يدعو يسوع بـ«السفسطائي»، لا تعتمد هذه التسمية على العهد الجديد أو أي من الكتابات المسيحيّة القديمة، بل على التعابير الجدلية المعاصرة في الفلسفة اليونانية. في القرن الثاني، كان اللقب الساخر «سفسطائي» موجهاً إلى الشخص الذي يُعلّم من أجل النقود فقط، والذي يمكن أن يُدعى أحياناً، كما «بيريغرينوس»، «المخادع». قدّم «لوقيان» المسيحيّة بشكلٍ

تهكميّ على أنها «حكمة»، وأنّ مؤسسها كان سفسطائياً. وقام المشرّع الثاني بالاحتيال عليهم تماماً كما فعل الأول. إن هذا المفهوم مُتضمّن لكنّه لا يُفصّل عند استعمال تعبير «السفسطائيّ».

ويخصصّ «لوقيان» بشكلٍ أكبر بدعوة المسيح «ذلك السفسطائيّ المصلوب– §13»، حيث كان قد بيّن مُسبقاً أن المؤسس الأصليّ كان الرجل من فلسطين الذي صُلب لأنه أحضر هذه الصيغة الجديدة من الشعائر إلى العالم (§11). إنّ الفعل الذي يستخدمه للدلالة على الصلب في الحالتين فعلٌ قليل الاستخدام، وغالباً ما استُخدم من قبل الكتّاب القدماء ويُستخدم دائماً في العهد الجديد وكتابات مسيحيّة أخرى قديمة. المعنى الأصلي لهذا الفعل «يقيد شخصاً إلى عمود»، لكن من دون شكّ فإنه يُشير هنا إلى الصلب. ويستخدم هذا الفعل بشكلٍ حصريّ للدلالة على الصلب. كما أنه يظهر في (بروميثوس– 2، 7، 10، وفي إديسيوم فوكاليوم – 12). وسبب هذا الصلب: «أنه أحضر هذه الصيغة من الشعائر إلى العالم». يبدو القصد الأساسيّ لـ«لوقيان» أنّ المسيحيّة كانت من البدء حركةً مذمومة. ويؤكّد تكراره لكلمة «المصلوب» وهو الشيء الوحيد الذي يكرره عن المسيح، الأصل المشين للمسيحيّة وذلك أنها أُوجدت من قبل مجرم أعدم.

في القسم 13، يلخّص «لوقيان» تعاليم يسوع. فيفسّر تعاليمه على أنها: «قوانين»، ويسوع هو «المشرّع الأول» للمسيحيين. كما رأينا، يتماشى هذا التفسير مع بعض الآراء المسيحيّة القديمة. ومن ثمّ يبيّن «لوقيان» أنّ يسوع علّم أتباعه: أن «ينكروا الآلهة اليونانيين»، ويربط ذلك بانتهاك القانون الرومانيّ على الأرجح. وبالاعتماد على دلائل العهد الجديد، فإن يسوع لم يُعلّم ذلك أبداً، باستثناء تأكيده على صلاة الشِماع التي تنكر الآلهة الآخرين بشكلٍ ضمنيّ، وإن لم تنكر وجود الآلهة لكنّها تنكر الولاء لهم. وفي السياق اليهوديّ الداخليّ المرجّح لدعوته لم يكن هنالك سبب لعرض مثل هذه التعاليم. فقد كان على المسيحيين الذين نشروا الأناجيل بين غير اليهود أن يتعاملوا مع معتقد وجود آلهة آخرين، مثال: (تسالونكي الأولى– 1:9، وكورونثوس الأولى– 4:8–6)، لكنّ الأناجيل الكنسيّة لا تنسب هذا الموضوع إلى تعاليم يسوع. علاوةً على ذلك، لم يُثبت ربط يسوع للأخوّة بين المسيحيين بإنكارهم الآلهة اليونانية في العرف الإنجيليّ، الكنسيّ أو غير الكنسيّ.

هلّ علّم يسوع أتباعه أن يعبدوه كما يدّعي «لوقيان»؟ هنا أيضاً، يُسقط «لوقيان» «في هذه النقطة» معلوماته الدقيقة عن المسيحيين على حياة يسوع. ومع أنّ يسوع ربّما تلقّى شعائر عبادة خلال دعوته، إلاّ أنه لا يوجد في أيّ مكانٍ من العهد الجديد أنه علّم ذلك. أخيراً، يبيّن «لوقيان» أنّ المشاركة المتطرفة للممتلكات بين أتباعه كانت مما علمه يسوع بنفسه. مرّةً أخرى، بالتأكيد علّم يسوع أتباعه سلوكاً متطرفاً تجاه الملكيات والحاجة للمشاركة، وهو موقف كان يُمكن أن يُعكس في إشارة «لوقيان» إلى أنّ المسيحيين «يبغضون كلّ أنواع الملكيات دونما تمييز»، إلاّ أنّ معاملة

الممتلكات على أنها ممتلكات شائعة لم يُثبت في دعوة يسوع أو تعاليمه، بل في الجزء الأول من الأعمال (الفصول: 4–5). ومن وجهة نظر «لوقيان» فإن هذا الموقف تجاه الملكيات مصحوباً بالسذاجة المزعومة والطيبة غير المناسبة للمسيحيين يجعل منهم فريسةً سهلةً لمحتالٍ مثل «بيريغرينوس».

ما هو مصدر معلومات «لوقيان» عن يسوع؟ يعلم «لوقيان» أنّ المسيحيين يمتلكون كتباً مقدّسةً، وهذا يزيد من احتمالية أنه استقى معلوماته منها. لكن بالحكم على ما يقوله هنا فمن غير المحتمل أن يكون قد قرأها. ومعظم المعلومات الصحيحة التي يسردها عن المسيحية كانت معلومات شائعة في زمنه. علاوةً على ذلك، كانت قراءته للأناجيل لتصحح بعضاً من مفاهيمه الخاطئة، خاصّةً مفاهيمه أنّ يسوع علّم أتباعه بنفسه أن ينكروا آلهة اليونانيين، وأنّ القادة المسيحيين الأوائل كانوا يُدعون «كهنة». كما أن استخدامه لكلمات لا تنتمي للعهد الجديد مثل «الراعي» و«المشرّع» وبالأخصّ كلمته المميزة لـ«المصلوب» يدحض بشكلٍ قويّ أن يكون العهد الجديد مصدراً للمعلومات. وبذلك، ليس هنالك أيّ رابط كتابيّ أو شفهيّ بين «لوقيان» والعهد الجديد والكتابات المسيحيّة الأولى فيما يخصّ شخصيّة يسوع.

بالمجمل، فإن جوهر كتاب «لوقيان» «موت بيريغرينوس»، بما فيه ربط «بيريغرينوس» مع المسيحيين، صحيح على الأرجح، لكنّ «لوقيان» يغيّر فيه الكثير من أجل التأثير التهكميّ. إذاً من المحتمل أن بعض المعلومات عن يسوع ترافقت مع قصّة «بيريغرينوس» ولكنّها غُيّرت من قبل «لوقيان» لأغراضه الخاصّة، إلاّ أنّ هذا غير قابل للإثبات.

سيلسوس: المسيح الساحر

في وقتٍ ما حوالي عام 175 للميلاد، وبعد فترةٍ قصيرةٍ من كتاب «لوقيان» «بيريغرينوس»، كتب «سيلسوس»، وهو مفكّر من أتباع الأفلاطونية المحدثة، هجوماً على المسيحيّة تحت عنوان «العقيدة الحقّة– True Doctrine»، وهذا العمل هو أقدم هجوم شامل معروف على المسيحيين. فقد تبنّى «سيلسوس» هجوماً شاملاً: ضدّ الأصل اليهوديّ للمسيحيّة، وقادتها الأوائل، وتعاليمها وممارساتها.

مع أنّ كتاب العقيدة الحقّة فُقِد إلاّ أن جزءاً كبيراً منه، يُقدّر من 60 إلى 90% موجود ضمن ردّ «أورجين»، الشديد والمطوّل، على «سيلسوس»، الذي كتب حوالي 250 للميلاد. وبالنظر إلى الفاصل الزمني الطويل بين عمل «سيلسوس» وردّ «أورجين»، أي حوالي 70 عاماً، نجد أنّ كتاب العقيدة الحقّة تمتّع بأثر طويل. ولا يجب علينا التركيز على الصياغة والكلمات بشكلٍ كبير لأننا لا نملك كلمات «سيلسوس» الدقيقة، بل لدينا ما ينقله عنه خصمه الأدبيّ «أورجين». ومع أنّ «أورجين» ينقل معظم المقتطفات من «سيلسوس» بشكلٍ اقتباسات مباشرة إلاّ أنّ الحذر مطلوبٌ هنا. برغم ذلك، فإن معظم الباحثين يعتقدون أن «أورجين» نقل ملاحظات «سيلسوس» عن المسيحيّة بدرجةٍ كبيرةٍ من الدقّة.

يقدّم لنا كتاب «سيلسوس» منظوراً قيّماً عن المسيحيّة من قبل واحدٍ من أكثر مبغضيها المثقفين وضوحاً. كما أننا نحصل على معلومات عن ردود الفعل اليهوديّة تجاه المسيحيّة في القرن الثاني، وذلك لأن «سيلسوس» استفاد بشكلٍ كبير من الجدلية اليهوديّة المعاصرة ضدّ المسيحيين. وستكون هذه الجدلية ذات أهميّة عندما ندرس الروايات اليهودية الأولى عن يسوع في الفصل القادم.

يستهلّ «سيلسوس» عمله بمقدّمة. أمّا الجزء الأساسيّ الأول من عمله، والذي أعيد سرده في الكتاب الأول من عمل «أورجين» المسمى «ضدّ سيلسوس»، فهو بحث في عدم أصالة العقيدة المسيحيّة. وهنا لا يظهر إلاّ عدد قليل من الإشارات إلى يسوع التاريخيّ، والتي ستُكرر وتفصّل بشكلٍ أوسع لاحقاً، (الجزء الأساسيّ الثاني– 1.28–1.79)، فهو يتضمن جدليّة ضدّ اليهود الذين أصبحوا مسيحيين، على لسان أحد اليهود. يحتوي هذا الجزء الإشارة الأشمل ليسوع. بينما الجزء الثالث هو مقارنة بين المسيحيّة والفلسفة والدين الروماني اليوناني. والجزء الرابع هو نقد للعقيدة المسيحيّة وخاصةً النبوءات المسيحية، مع إشارةٍ بسيطةٍ إلى يسوع. والجزء الخامس هو مقارنة غير

إطرائية للمسيحية واليهودية، أما الجزء السادس فيمثّل هجوماً آخر على العقيدة المسيحية، مع إشارةٍ ضئيلة إلى يسوع. ويلي ذلك مناقشة للتعاليم المسيحيّة حول الله، ومن ثمّ جزء حول تعاليم إعادة البعث، وأخيراً هجوم على الحصريّة المسيحيّة.

يشنّ «سيلسوس» هجوماً واسعاً ضدّ يسوع بوصفه موجد هذه العقيدة. ويقوم بانتقاص وذمّ نسب يسوع وحبل أمّه به وولادته وطفولته، ودعوته، وموته، وإعادة بعثه وتأثيره المستمرّ. ووفقاً لـ«سيلسوس» فإن نسب يسوع يعود إلى قريةٍ يهوديّة (ضدّ سيلسوس- 1.28)، وكانت أمّه امرأةً قرويّةً اكتسبت عيشها عن طريق غزل الملابس (1.28). وقام بمعجزاته عن طريق الشعوذة (1.28، 2.32، 2.49، 8.41). كان يبدو قبيحاً وصغيراً (6.75). وقد أبقى يسوع على جميع التقاليد اليهودية، بما فيها التضحية في المعبد (2.6). وجمع حوله عشرة أتباعٍ فقط، وعلّمهم أسوأ عاداته، بما فيها التسوّل والسرقة (1.62، 2.44). كان هؤلاء الأتباع، العشرة من البحارة وجامعي الضرائب، الوحيدين الذين استطاع إقناعهم بإلوهيته، لكن الآن يقوم أتباعه بإقناع العديد من الناس (2.46). أتت أنباء إعادة بعثه من امرأة مخبولة، وكان التصديق بإعادة البعث نتيجة شعوذات يسوع، وتفكير أتباعه التوّاق، أو الهلوسات المنتشرة بينهم على نطاق واسع، كلّ ذلك كان من أجل إبهار الآخرين وزيادة احتمال أن يصبحوا متسوّلين (2.55).

تأتي إشارة «سيلسوس» الأشمل إلى يسوع في: (1.28)، حيث يلخّص «أورجين» هجوم «سيلسوس» على يسوع، والكلمات التي يُرجّح أنها مقتبسة من «سيلسوس» وضعنا تحتها **خطّاً**:

يقوم بتصوير اليهود يتحدّثون مع يسوع نفسه، ويواجهونه بعدّة تهم: أولاً، أنه **لفّق قصّة ولادته من عذراء**. وقام «سيلسوس» بتعبيره لأنه **أتى من قريةٍ يهوديّةٍ، ومن امراةٍ ريفيّةٍ فقيرة كانت تكسب عيشها من الغزل**. ويقول: إن **زوجها، الذي كان يحترف النجارة، طردها عندما أُدينت بالزنا**. ومن ثمّ يقول: إنه **بعد أن طردها زوجها، وبينما كانت تجول بخزي، ولدت يسوع سراً**. ثم يقول: إن «يسوع» **عمل أجيراً في مصر لأنه كان فقيراً، وهناك تعلّم بعض الحيل السحريّة التي افتخر المصريون بامتلاكها. ومن ثمّ عاد مفتخراً بهذه القوى، وأعطى نفسه لقب إله**. (ضدّ سيلسوس- 1.28).

وبعد ذلك يتوسّع «سيلسوس» في تهمة عدم الشرعية، فيقول: على أية حال، دعنا نعد إلى الكلمات على لسان اليهوديّ التي وصفت **والدة يسوع على أنها طُردت من قبل النجّار الذي كان مخطوباً لها، لأنها أدينت بالزنا، وكان لها طفلٌ من جنديّ يُدعى «بانتيرا»**. (ضدّ سيلسوس- 1.32)

وأخيراً، يقول «سيلسوس»:

هل كانت والدة يسوع جميلة؟ هل أقام الله علاقة معها لأنها كانت جميلة، على الرغم من أنه لا يستطيع أن يُحبّ جسداً فانياً بطبيعته؟ من غير المحتمل أن يكون الله قد وقع في حبها، حيث أنها لم تكن غنيّةً ولا من أصلٍ ملكيّ. بالفعل، لم تكن معروفةً حتّى لجيرانها. ويهزأ عندما يقول: **عندما كرهها النجّار وطردها لم تستطع القوّة الإلهية ولا موهبة الإقناع بتخليصها.** ويعلل ذلك بقوله: إنّ **هذه الأشياء ليس لها علاقة بمملكة الله.** (ضدّ سيلسوس– 1.39).

تُعدّ هذه التهمة «بغير الشرعية» أقدم عبارات مؤرّخة من التهم اليهودية بأنّ ولادة يسوع كانت نتيجة زنا، وأنّ والده الحقيقيّ كان جندياً رومانياً يُدعى «بانتيرا». كان اسم «بانتيرا» شائعاً بين الجنود الرومان في تلك الفترة، لكنّ معظم المحللين يعتقدون أنّ بعض اليهود استخدموا هذا الاسم بسبب تشابهه مع الأصل اليوناني لكلمة «عذراء». في هذه الحالة، سيعني هذا أنّ الأمر مجرّد ردّ فعل يهوديّ لعقيدة الحبل بلا دنس المسيحيّة، والتي لم تُصبح موضوعاً مسيحياً رئيسياً حتّى قرابة نهاية القرن الأول. كما نجد أن «سيلسوس» يقدم يسوع الذي يعلن ولادته من عذراء، وهو ما لم يظهر في الكتابات المسيحيّة بالتأكيد، لكنه أثبت في مناقشات يهوديّة لاحقة.

تتنوع المصادر التي استخدمها «سيلسوس»، لأنه ثقف نفسه حول المسيحيّة إلى حدّ كبير، وذلك من خلال الكتابات المسيحيّة، والتواصل الشخصيّ مع مسيحيين. فقد قرأ في إنجيل متّى كثيراً، وفي إنجيل لوقا وفي الرسالة الأولى إلى كورونثوس، كما كان مطّلعاً على كتبٍ مسيحيّةٍ أخرى. وقد علم برواية متّى عن موت يسوع وإعادة بعثه ببعض تفاصيلها. ويبدو أنه قرأ كتابات بعض الاعتذاريين المسيحيين الأوائل غير المعروفين لنا الآن. كما عرف «سيلسوس» عن المسيحيّة المارسونيّة[66] والطوائف الغنوصيّة، ولا نستطيع الجزم إن كانت معرفته هذه من خلال كتاباتهم أو من طرقٍ أخرى. يقدّم كتاب «سيلسوس» للجدلية اليهوديّة عن يسوع على أنها جدلية معاصرة. لكن«أورجين» يشكك بهذا، ويرى الباحثون المحدثون أنها أداةً أدبيّةً وظّفها «سيلسوس» ليعطي وحدةً لمعلومات متفرقة انتقاها من عدّة أدبيات يهوديّة.

إن قيمة تعليقات «سيلسوس» حول يسوع التاريخيّ محدّدة، لكن يجب أن لا تكون استنتاجاتنا نهائيّة لأننا لا نملك الكلمات الدقيقة من العقيدة الحقيقة، ولا يمكن التاكد من أنّ «أورجين» قدّم لنا الترتيب الدقيق لكتاب «سيلسوس». على أية حال، فإن هجوم «سيلسوس» على المسيحيّة كان هجوماً فلسفياً وليس تاريخياً. إن معلوماته الأكثر تفصيلاً عن يسوع قد شوّهت بجدليّته الحادّة، التي يشكّل الهجاء جزءاً منها. على أية حال، من الواضح أنّ «سيلسوس» مصدر

غنيّ للجدليّة اليهوديّة والوثنيّة ضدّ المسيحيّة، وبدرجةٍ أقلّ، ضدّ مسيحها. وبالفعل يتفرّد «سيلسوس» بين الكتّاب الوثنيين في نسب الاعتراضات اليهوديّة والرومانية اليونانية إلى المسيحيّة. ويُعدّ شاهده على العرف اليهوديّ قيماً جداً وسنتطرق له لاحقاً في الفصل الثالث. لكنّ تناوله للمسيح لا يحمل قيمةً كبيرةً في بحثنا عن يسوع التاريخيّ وذلك بسبب جدليته وتحيّزه.

النتيجة

يمكننا الآن أن نجمع خيوط هذا الفصل في عدّة نتائج أساسية: أولاً، نلاحظ تنوعاً كبيراً للشواهد على يسوع لدى الكتّاب الكلاسيكيين، فقد حظي الكتّاب الرومانيون المشهورون في مجال التاريخ والشؤون الإمبراطورية بالأهمية الكبرى هنا مثل: «سوتونيوس» و«تاسيتوس» و«بليني الأصغر». في الطرف الآخر من المشهد، أسهم الكتّاب غير المعروفين لدرجةٍ كبيرة، مثل: «مارا» و«ثالوس» بأصواتهم أيضاً. أما الفلاسفة المعارضون للمسيحيّة، مثل: «لوقيان» و«سيلسوس»، فقد كتبوا أيضاً عن المسيح. لقد تنوّعت آراء هؤلاء الكتّاب: فمنهم «مارا» الذي ربّما كان متعاطفاً مع المسيح، ومنهم «بليني» الذي كان عدائياً إلى حدّ ما، وآخرون كانوا عدائين تماماً، لكنهم كانوا وصفيين مثل: «تاسيتوس» و«سيلسوس». ونلاحظ أيضاً تنوعاً في اللغات المستخدمة، مثل: اللاتينية، وهي اللغة الرسمية لروما، واليونانية، وهي اللغة الأدبية الشائعة ولغة التجارة، والسريانية، اللغة الرئيسية لشرق حوض المتوسط. وقد قدّموا معاً مجموعةً من المواضيع عن تعاليم يسوع، وحركته، وموته. وكانوا يعلمون أنّ يسوع يُبجّل من قبل المسيحيين، الأمر الذي نسبوه إلى أنه موجد هذه الحركة.

ثانياً، حتّى مع إشارتنا إلى هذه الشواهد المتنوعة على يسوع، يظهر السؤال المضادّ: لماذا لا يوجد المزيد من الإشارات الكلاسيكية عن يسوع؟ وخاصّةً بين الكتّاب الرومان؟ فغالباً ما يشتكي الكتّاب عن موضوع يسوع خارج العهد الجديد من قلّة الإشارات إلى يسوع في الأدب الكلاسيكيّ. على الرغم من أنّ تفسير «خلو الذكر» غالباً ما يكون أمراً صعباً، إلاّ أنّه يمكن الوصول إلى جواب محتمل لهذا الأمر. فبالنظر إلى العهد الجديد والكتابات المسيحيّة الأولى فعلاقة المسيح مع الدولة الرومانية كانت أمراً مهماً بالنسبة للمسيحية على نحوٍ دائم. إلاّ أنّ المسيح لم يكن بذات الأهمية بالنسبة لروما، وذلك بالنظر إلى الكتابات الرومانية. فقد كانت الإمبراطورية والحكومة مشغولةً بأمورٍ أخرى بدت أكثر أهمية بالنسبة لهم، كما يشير تناول «تاسيتوس» و«سوتونيوس» و«بليني» للمسيح بشكلٍ جزئيّ فقط. وقد رأينا أنّ المسيحيّة لقيت بعض الاهتمام، بينما لقي المسيح القليل من الاهتمام، أمّا «يسوع التاريخيّ» فلم يلق إلاّ مقداراً قليلاً جداً من الاهتمام. وتعكس النسخ الرسمية الثلاث من قاموس أوكسفورد الكلاسيكي اهتمام العالم الكلاسيكيّ المتزايد بالمسيحيّة، لكنه يظهر عدم الاهتمام النسبيّ بيسوع، حيث يوجد في هذه النسخ مقال أساسيّ حول «المسيحيّة» لكن لا يوجد أيّ مقال حول «يسوع».

ويمكن تحديد الموضوع بشكلٍ أوضح من خلال السؤال: لماذا لم تكن الإشارات الكلاسيكية إلى يسوع أكثر معاصرةً له؟ حيث أنه كلما كان الشاهد على يسوع أقدم كلّما كان أكثر قيمةً. لقد كان المعاصر الأقرب ليسوع هو «ثالوس»، لكنّ شهادته بسيطة وغير مؤكّدة. وجاءت كتابات «تاسيتوس» و«سوتونيوس» و«بليني الأصغر» بعد قرنٍ تقريباً من موت يسوع. أمّا كتابات «مارا» و«لوقيان» و«سيلسوس» فإنها على فترةٍ أبعد. وقد احتجّ أولئك الذين شككوا بوجود يسوع على مرّ القرنين الماضيين بأنّ نقص الإثباتات المعاصرة ليسوع من قبل كتّابٍ كلاسيكيين هو دلالةٌ واضحةٌ على عدم وجوده. إنّ هذا النقص في الدليل الروماني المعاصر قد يبدو أمراً غريباً لكلّ من الباحثين من أصلٍ مسيحيّ وللمسيحيين العاديين اليوم، حتّى ولو أنهم لم يكونوا ميّالين إلى الشكّ بوجود يسوع، فهم يعلمون من الأناجيل الكنسية عن شهرة يسوع في أرجاء الجليل وما بعده. (متّى 4:24، 9:31، 14:1، مرقص 1:28، لوقا 4:37، يوحنا 12:19). وقد افترضوا أنّ شهرته هذه كانت لتثير الاهتمام الرومانيّ، إن كان بشكلٍ محتمل أثناء حياته، لكن بالتأكيد في الجيل التالي. كما أنهم يفترضون إمكانية وجود سجلّ رسميّ عن محاكمته ومعاقبته. كما أنّ النموّ الأوليّ السريع للمسيحيّة، ومواجهاتها الأولى مع السلطات الرومانية أثار بعض الاهتمام الأدبيّ بالمسيحيّة. ومما يُنقل: أنّ «بولس الرسول» قد قال للحاكم الرومانيّ «فيستوس» عن نشاطاته الخاصّة: «لم تحدث هذه الأمور في الزاوية». (الأعمال– 26:26)، يمكن أن يُقال بالمثل حول أحداث حياة يسوع.

تجتمع العديد من العوامل لتفسّر لماذا ليس لدينا شواهد رومانية معاصرة ليسوع. أولاً، لقد ضاعت تقريباً كافّة أعمال المؤرخين الرومانيين الذين عاصروا يسوع، أو عاشوا في فترة خمس وثمانين عاماً بعده. فقد طمست كتابات قرنٍ من التاريخ اللاتينيّ، كل أعمال الكتّاب من «ليفي»، المتوفي عام 17 للميلاد، وحتّى «تاسيتوس». والاستثناء الوحيد هو المدائحّ غير المترابطة لـ«فيليوس باتريكولوس». لكن لا يمكننا أن نفترض أنه ذكر يسوع، وذلك لأنّه ما تناوله كان حتّى عام 29 للميلاد فقط، ومن المرجّح أنه كُتب عام 30 عن أحداثٍ جرى معظمها في روما. وبالتأكيد لا يجب أن نفترض أنّ الأعمال التي ضاعت في غياهب الزمن قد احتوت إشارات إلى يسوع. فكلّما كان العمل أقرب زمنياً إلى يسوع، كلّما قلّ احتمال احتوائه أيّ إشارةٍ إليه.

ثانياً، يفسّر التأخر الزمنيّ النمطيّ للعالم القديم عدم إتيان الكتّاب الآخرين المعاصرين ليسوع على ذكره. فالتأويل التاريخيّ للأحداث لم يكن مثل «التحليل الفوريّ» الذي اعتدنا عليه في وقتنا الراهن. كما أنّ معظم أعمال الكتّاب الأساسيين، خاصّة المؤرّخين الذين يتمتعون باحترام الذات، كانت تُبنى على مصادر أدبيّة معروفة من كتّاب أقدم وأقلّ شأناً. وقد بدا هؤلاء غير راغبين أن يكونوا أول من يكتب عن أحداث جديدة نسبيّاً. على سبيل المثال، كان على «يوسيفوس»،

المؤرّخ اليهوديّ من القرن الأول، في مقدّمة كتابه الحرب اليهودية، أن يبرّر كتابته عن أحداث لم يُسبق أن سُجّلت من قبل. (مقدّمة الحرب اليهودية– 5 §15).

ثالثاً، يبدو أنّ الكتّاب الرومانيين لم يعتبروا المسيحيّة موضوعاً مهماً للكتابة عنه إلاّ عندما أصبحت تُرى خطراً على روما. ونعلم من العهد الجديد ومن «يوسيفوس» عن عدّة حركات مسيحيّة فاشلة في فلسطين خلال القرن الأول، لكنّ المؤرخين الرومان لا يتناولون أياً منها. ولم يكونوا ليتناولوا المسيحيّة «اليسوعيّة» ما لم تصبح قضيّةً سياسيّةً واجتماعيّةً مهمّةً بالنسبة لروما، كما تشير رسائل «بليني» إلى «تراجان»، وحتّى هنا لا يوجد سوى رسالة واحدة تتعامل مع المسيحيّة وتأتي على ذكر المسيح. إضافةً لذلك، في حال لم تُرَ المسيحيّة على أنها تهديد للقوّة الرومانيّة، فلم تكُن على الأرجح لتُذكر من قبل كتّاب رسميين مثل: «تاسيتوس» و«سوتونيوس» و«بليني». ولو أنها لم تُصبح حركةً دينيّةً مهمّةً، لم تكن لتُهاجم من قبل فلاسفة مثل: «لوقيان» و«سيلسوس». وبوضعها هذا، نظر إليها مؤرخون مثل: «تاسيتوس» و«سوتونيوس» بازدراء، ويبدو أنهم كتبوا عن موجدها على مضض.

سبب رابع يقف خلف النقص في الشواهد الرومانية المعاصرة ليسوع، فلم يكن لدى الرومان اهتمام كبير بالأصول التاريخيّة للمجموعات الأخرى، وخاصّة «الشعوذية» منها. فقد عد الرومان الفصل الذي أثنى عليه المفكرون اليونانيون أمراً غير عمليّ، وهو في الأغلب ما أبعدهم عن الاهتمام بأصول الآخرين. ويتضّح هذا التوجّه العمليّ في كيفيّة معاملة «تاسيتوس» للديانة الدروديّة[67] واليهوديّة. يصف «تاسيتوس» الديانة الدروديّة في كتابه «جيرمانيكا»، لكنّه لا يأخذ بالاعتبار أصولها أو تاريخها. وعندما يتناول اليهوديّة في كتبه الأخرى فإنه لا يتطرّق إلى تاريخها، ولا يأتي على ذكر حتّى أبرز شخصياتها مثل: موسى وإبراهيم وداود أو المكابيين. وأدى المنهج العملي بالرومان إلى النظر إلى الديانات الأجنبية بما هي عليه آنذاك، وإلى ما قد تعنيه للحكم الروماني بغض النظر عن أصولها.

أخيراً، عندما نُدرك أنه لا يوجد أيّ من الكتابات المسيحيّة حول يسوع معاصرةً له، فالإنجيل الأول ربما لم يُكتب حتّى عام 70 للميلاد، عندها يُصبح من غير المنطقيّ أن نتوقّع أيّ كتاباتٍ رومانيّة معاصرة تتناوله. ولا يمكننا في ضوء هذه العوامل أن نتوقّع أن يكون هنالك العديد من الكتّاب الكلاسيكيين الذين يكتبون عن يسوع. وبالفعل، إنّ ما لدينا من إشارات إلى يسوع في كتابات الكتّاب الأساسيين لبداية القرن الثاني، مثل: «سوتونيوس» و«تاسيتوس» و«بليني الأصغر»، هو بالضبط ما يجب أن نتوقّعه، وذلك باعتبار طبيعة الكتابات التاريخيّة والنظرة الرومانية تجاه المسيحيّة. ومن منظورٍ رومانيّ من القرن الأول كان يسوع بالفعل، ونستخدم هنا عبارة «جون

مئير» الشهيرة، «يهودياً هامشياً»، لكنّه انتقل مع بداية القرن الثاني بشكلٍ مذهل من «الهامش» إلى «المتن الأساسيّ».

النتيجة الثالثة الرئيسة التي يمكننا استخلاصها من دراسة الكُتّاب الكلاسيكيين في هذا الفصل هي أنهم يرون المسيح من خلال المسيحيّة. فالمسيحيّة كحركة كانت اهتمامهم الأساسيّ، وربّما الوحيد. وغالباً ما كانوا يذكرون المسيح بوصفه موجد هذه الحركة وقائدها ومعلّمها، وذلك إمّا من أجل تفسير اسمها، مثلما فعل «تاسيتوس»، أو لتفسير مدحه أو لعنه بوصفه القائد الإلهي للحركة، مثلما فعل «بليني»، أو من أجل تضمين كون المسيحيين شراً، مثلما فعل «سيلسوس ولوقيان». وحده «مارا» كان يتعامل مع الملك اليهوديّ الحكيم بشكلٍ أساسيّ، ومع حركته بشكلٍ ثانويّ. إنّ هذا الترابط القوي بين المسيح والمسيحيّة في أذهان الكتّاب الكلاسيكيين يُساعد في تفسير تسميتهم له «المسيح» وليس «يسوع»، حتّى في حال أشارت معرفتهم للمسيحيّة بأنهم قد يعلمون الاسم الثاني مثلما كان: «تاسيتوس» و«بليني» و«لوقيان».

النتيجة الرابعة الرئيسيّة هي بأنّ المعالجة التي تلقاها يسوع في هذه الكتابات كانت سطحيّةً جداً. فالمعالجة التي رأيناها في هذا الفصل تنوّعت بين عدّة كلمات، كما عند «سوتونيوس»، إلى ما هو أكثر من جملة واحدة بقليل، كما عند «تاسيتوس ومارا»، لكن ليس أكثر من ذلك. بالنسبة لأولئك المهتمّين بالأصول المسيحيّة فإن هذا يبدو ضئيلاً وسطحياً بشكلٍ ملحوظ. مرّةً أخرى علينا أن نتذكر أنه في هذا الوقت، ما بين 50–150 للميلاد، لم تكن المسيحيّة تعني شيئاً لمعظم الرومانيين إلاّ في مناسبات معيّنة. علاوةً على ذلك، فقد عرفوها على أنها «خرافات»، وهو مصطلحٌ ورثته المسيحيّة عن المنظور الروماني تجاه اليهوديّة. وربما تكون هذه التسمية، وهي توازي استخدامنا الإزدرائي لكلمة «طائفة» حديثاً، كل ذلك ساعد في إخماد أي اهتمام صغير بموجد المسيحيّة. وكما أشرنا سابقاً، لم يكن الرومان يهتمون بكيفيّة نشوء الطوائف الدخيلة. وفي الوقت الذي كان يُكتب فيه عن المسيحيّة، كانت حركةً مرفوضةً بشكلٍ كبير ومضطهدةً غالباً. وبذلك فإن «بليني» يذكر المسيح بشكلٍ مختصر ليشرح العبادة المسيحية، وكيفيّة استعمال اسم المسيح في جعل المسيحيين يتوبون عن حماقتهم. ملاحظات «تاسيتوس» هي الأشمل مما لدينا، لكنّها تبقى أقلّ من جملة، وهي شبه اعتراضيّة. يذكر «ثالوس» يسوع بشكلٍ مختصرٍ فقط لأسبابٍ زمنيّة، ولا يذكر «سوتونيوس» اسمه ومكانه وتاريخه بشكلٍ صحيح.

النتيجة الخامسة، إنّ ما يعرفه الكتّاب الكلاسيكيون عن يسوع يأتي من المسيحيين بشكلٍ كاملٍ تقريباً. حيث يبدو واضحاً أنهم لا يعرفون عنه إلاّ القليل من مصادر بعيدة عن المسيحيّة. وبالنظر إلى العوامل المقدّمة مُسبقاً، لا يجب أن نتوقع مثل هذه المعلومات ولا نُفاجَأ لغيابها.

الاستثناء الوحيد المحتمل هو «تاسيتوس»، لكن حتّى هنا من المرجّح أنه استقى معلوماته من مسيحيين، إمّا بشكلٍ مباشر أو عن طريق صديقه «بليني الأصغر». وبالنتيجة، لا نحصل على أي معلومات موثقة عن يسوع من الكتّاب الكلاسيكيين غير المعلومات التي لدينا من الكتابات المسيحيّة في هذه الفترة. ويبدو أنّ المعارف الأولى عن يسوع لم تنتقل بشكلٍ مستقلّ عن المسيحيّة عبر العالم الروماني الكلاسيكيّ والمناطق المحيطة. والمرجّح أنّ «بيلاطس» لم يبعث بأي تقرير إلى روما عن يسوع، كما أنه لم يكن هنالك أي تقرير سابق عنه إلى الأباطرة. وبالحكم من طريقة كتابة «تاسيتوس» و«بليني» فإن المسيحيّة لم تكن معروفة بشكلٍ جيّد بين الرومانيين عند منعطف القرن. وغالباً ما يخلص أولئك الذين يكتبون اليوم عن موضوع المسيح ضمن الكتابات الكلاسيكيّة إلى العبارة المتكررة: «لم نحصل على شيء جديد عن يسوع من هذا الكاتب». وقد يعود هذا إلى التوقع غير العقلانيّ بأنّ شيئاً جديداً عن يسوع يجب أن يصدر عنهم.

تتعلق النتيجة ما قبل الأخيرة بأولئك الذين ما زالوا يرون أن يسوع لم يوجد أبداً. وبما أن الكتابات الكلاسيكيّة لا تحتوي أي شواهد مستقلّة مؤكّدة عن يسوع، وعلى أساس المقاييس الأكثر تشدداً للإثبات التاريخيّ، لا يمكننا أن نستخدمها لإثبات وجود يسوع. من الناحية الأخرى، وبالنظر إلى طبيعة الدلائل على يسوع من الكتابات الكلاسيكيّة، لا يمكننا أيضاً أن نستخدمها دليلاً حاسماً لدحض وجود يسوع. وللأفضل أو للأسوأ يجب أن يُحدد هذا النقاش بالعهد الجديد، وبمصادر مسيحيّة مبكّرة أخرى. فعلى الرغم من أنّ الإثبات المستقلّ من قبل الكتّاب الكلاسيكيين المعاصرين هو أمرٌ مستبعد، إلاّ أننا نحصل على تأكيد لبعض النقاط الأساسيّة في حياة يسوع. إن تأكيد المعلومات هو أمرٌ مهم في علم التأريخ كما في العلوم الطبيعية. وإذا كان الكتّاب الكلاسيكيون لم يذكروا يسوع أبداً، أو بالأخصّ إذا كانوا قد ارتأوا أنه خلاصة صناعة الأسطورة المسيحيّة، عندها سيكون الأمر مختلفاً. فقد عاملوا يسوع على أنه شخصيّة تاريخيّة، موجد حركة، ولم يكن لديهم أي سبب للشك بتاريخيته. وكان من الأسهل «في حال لم يوجد يسوع» تسديد ضربة قويّة للمسيحيّة من خلال إظهار أنها مبنيّة على أسطورة بينما تدعي أنها على أسس تاريخيّة. إلاّ أنّ هؤلاء الكتّاب قبلوا يسوع بوصفه شخصيّةً تاريخيّة، جميعهم ماعدا واحد فقط استخدموا أحداث حياته لتكون حججاً ضدّ المسيحيّة، فقد بدأ حركةً كانوا يدعونها بالخرافات المهلكة، ومن ثمّ أعدم لأنه مجرم.

أخيراً، أصبح من الشائع في البحث الأخير حول يسوع التاريخيّ اختزال شخصيّته وعمله في كلمة أو عبارةٍ واحدة. فيسوع هو: الحكيم، اليهوديّ الهامشيّ، ساحرٌ يهوديّ قرويّ، ساحر، مشعوذ، البشير المسيحيّ، وهكذا. ولكن ماذا دعاه هؤلاء الكتّاب الكلاسيكيون؟ إن كان بإمكاننا استنتاج ذلك من كتاباتهم؟ في عيون معظم الكتّاب الكلاسيكيين نجد أن يسوع يكون بكلمةٍ واحدة، صانع

المشاكل. فقد أوجد وقاد حركةً شعوذة، وربّما كانت تحريضيّة. ويقدّمه «تاسيتوس» على أنه مجرم أُعدم، ويستحقّ أتباعه العقوبة ذاتها. ويراه «بليني» شخصيّةً طائفيّةً تحمل خرافات خطيرة، وتؤكّد نظرته هذه السياسة التي يفرضها «تراجان». لكن على الرغم من إمكانية حصوله على معلوماته بطريقةٍ خاطئة، إلّا أنّ نظرة «سوتونيوس» إلى المسيح على أنه محرّض تناسب النظرة العامّة «ليسوع صانع المشاكل». بينما يرى «لوقيان» المسيحيّة على أنها حركة خطيرة فلسفياً ودينياً، ويعود ذلك جزئياً إلى أن يسوع كان «السفسطائيّ المصلوب». وعندما يدعو «سيلسوس» يسوع بالساحر، معتمداً على الجدلية اليهوديّة والوثنية، فإنه يحرّك مخاوف كامنة من حركاتٍ دينيّة. يرى هؤلاء الكتّاب الكلاسيكيون المسيح من خلال المسيحيّة، ولذلك فإنهم لا يحبّون ما يرونه. «مارا» فقط، وهو الكاتب غير الرومانيّ الوحيد هنا، يرى ملك اليهود الحكيم شخصاً طيباً، شخصاً تستمر حركته بشكلٍ جيّد. لكنّ لا يمكن أن تكون مجرّد مصادفه أنّ المعارض الوحيد للإمبراطورية هو الوحيد بين مصادرنا الكلاسيكيّة الباقية ليكون إيجابياً حيال يسوع.

الفصل الثالث

يسوع في الكتابات اليهوديّة

هل ذُكر يسوع في مخطوطات البحر الميّت؟

منذ عام 1947 وحتّى عام 1956 تمّ اكتشاف كنز دفين من الكتابات في كهوفٍ بالقرب من موقع قمران [68] على الساحل الشمالي الغربي للبحر الميّت. يُعدّ هذا الاكتشاف بشكلٍ جدليّ الاكتشاف الأثريّ الأهم لدارسيّ الإنجيل واليهوديّة والمسيحيّة الأولى. فهنالك أكثر من 800 مخطوطة، بعضها كامل ومعظمها أجزاء، وهي تُقسم إلى ثلاث مجموعات: نسخ من كتب الإنجيل العبريّ، وهي هامّة بشكل كبير في النقد النصيّ للإنجيل، كتب منتحلة، وسير ذاتية زائفة، توضّح التنوّع في اليهوديّة المعاصرة، ومن ثم الكتابات الأصلية للمجتمع القمراني، وهي مهمّة لفهم تاريخه وعلم اللاهوت لديه.

لقد نشأ إجماع واضح بين الباحثين بأن هذه الوثائق كانت تشكّل مكتبة المجتمع الأسينيّ [69] الطائفيّ الذي وُجد قرب قمران، وقد أُلفت معظم هذه الوثائق في القرن الثالث وحتّى القرن الأول قبل الميلاد، ولا ترتبط بشكلٍ مباشر بيسوع أو بالمسيحيّة الأولى.

وبشكلٍ شبه مستمرّ كانت تظهر تفسيرات جدليّة لمخطوطات البحر الميّت تُناقض هذا الإجماع، كان بعضها جدّياً وبعضها مبالغٌ به. وخشية الاعتقاد أن التقارير التهويليّة عن قمران هي ظاهرة حديثة نقدّم مثالاً عن هذا الأمر من الوصف الأقدم الباقي لمجتمع قمران في كتاب بليني الأكبر [70] «التاريخ الطبيعيّ» حوالي 77 للميلاد. وفيما عدا وصفه لجغرافية المنطقة ونباتها وحيوانها، يروي «بليني» بحماس: في الجانب الغربيّ من البحر الميّت، وبعيداً عن البخار السام على طول شواطئه، توجد قبيلة الأسينيين المنعزلة، لقد كانت القبيلة الأكثر تميّزاً في العالم كلّه، فلم يكن فيها أيّ نساء، وقد تخلت عن كلّ الرغبات الجنسية، ولم يكن لديهم سوى شجر النخيل. يومياً كانوا يُجنّدون عدداً كبيراً من المشردين المتعبين من الحياة، وبأعداد متقاربة، كانوا يقودونهم إلى هناك كأمواج سعيدة من الرجال ليختاروا طريقة حياتهم. ولذلك، وعبر آلاف السنوات، لا يُصدّق أنهم كانوا سلالةً لا يولد فيها أحد، بل يعيشون للأبد، ووسيلة الإنتاج لهم هي توبة الرجال عن حياتهم. (التاريخ الطبيعيّ– 5.15 §73).

تمّ تقديم تفسيرات مثيرة حديثة عن مخطوطات البحر الميّت من قبل بعض الباحثين والكتّاب، وكانت المخطوطات محاطة بالجدل من البداية تقريباً، وذلك فيما يخصّ اكتشافها

والحصول عليها، والبطء غير المعقول في عملية نشرها، وتأويلها. وفي خضم الخلافات على تفسيرها، كانت النتائج المُستخلصة من قبل بعض الكتّاب هي الأكثر جدليّة. ففي عام 1952 رأى «أندريه دوبو سوميه» أنّ «المعلّم الصالح»، وهو القائد الأول لمجتمع قمران، كان نموذجاً مُسبقاً ليسوع، حيث أنه عُذّب وحُكم بالموت ومن ثمّ ظهر من جديد. وعلى أساس تفسير فصل واحد من: سفر حبقوق– 2:15، تمّ دحض وجهة النظر هذه بشكلٍ فعّال من قبل: «ثيدور غاستر» و«غيزا فيرمز». في الواقع لم يقل «دوبو سوميه» أن المعلّم الصالح هو يسوع، بل مجرّد نموذج مسبق عنه، وقام لاحقاً بتعديل آرائه رداً على النقد الموجّه له. لكن تمّ اتّباع رأيه الأول من قبل الناقد الأدبي والكاتب الشهير «إدموند ويلسون» الذي ارتأى في كتابه الجدليّ «مخطوطات البحر الميّت» المنشور عام 1955، أنّ يسوع ربمّا أمضى بعضاً من سنوات حياته المبكّرة بين الأسينيين وتأثر بهم. أمّا الباحث البريطانيّ «جون إم. آليغرو» فقد رأى من خلال تفسيره لسفر ناحوم أنّ قصّة يسوع كانت مُفبركةً بالكامل، على أساس حياة وصلب المعلّم الصالح. وفي كتابه «الفطر المقدّس والصليب»، الذي هو بالتأكيد واحدٌ من أكثر الكتب المدهشة الحديثة عن يسوع، يرى «آليغرو» أنّ المسيحيّة الأولى كانت واحدة من طوائف الخصْب، وأنها لم تتمركز على مسيحٍ تاريخيّ، بل على فطرِ هلوسةٍ. وقد استطاعت هذه القراءات المبالغ بها والتهويليّة أن تأسر انتباه العامّة، حتّى أنّ الكوميديّ «وودي آلن» هزئ من تلك التفسيرات المغالية.

شهدت السنوات الأخيرة موجة جدلٍ أخرى حول المخطوطات ويسوع، فرأى «روبرت إسينمان» في مقالةٍ قصيرة له عن «يعقوب» شقيق يسوع نُشرت عام 1986، تلاها عام 1997 عملٌ ضخم يُظهر نفس النتائج، أنّ حركةً صدوقيّة[71] امتدّت من عزرا إلى يهوذا المكابيّ[72] ويوحنا المعمدان[73] ويعقوب وحتّى يسوع نفسه، وأن يعقوب كان المعلم الصالح لقمران. وفي بيانٍ صحفيّ نُشر عام 1991 وتلقّى اهتماماً عالمياً، يدّعي كلّ من «إسينمان» و«ميشيل وايز» أنّ جزءاً من مخطوطة من الكهف الرابع (Q-2854) غالباً ما كان يُعتقد أنها جزء من «مخطوطة الحرب» تتحدث عن «مسيحٍ مطعون». فهم يقرؤون الفعل الأساسيّ على أنه: «hamitu– سوف يقتلون» أمير الجماعة. وبينما يرى «إسينمان» أنّ هذه القراءة تدعم رأيه بأن المسيحيين اليهود الأوائل كتبوا المخطوطات، يرى خبراء آخرون، وخاصّة «فيرمز»، أنّ هذا الفعل يُقرأ: hemito، وبذلك تعني الجملة: «أمير الجماعة سيقتل» الأمير الشرير. من ناحيةٍ أخرى تتحدث مخطوطة الحرب عن مسيحٍ منتصر وليس مسيحٍ مقهور. ولذلك لم تلق آراء «إسينمان» حول المخطوطات إلاّ القليل من الدعم.

إذا كانت كُتب «إسينمان» قد عانت من عدم الاهتمام، فإن منشوراتٍ أخرى مبنيّة على آرائه لم تعانِ مثلها، فالكتاب الذي حقق أفضل المبيعات «خديعة مخطوطات البحر الميّت» بقلم الصحفيين «ميشيل بيجنت» و«ريتشارد لي» يتبع بدقّة أفكار «إسينمان» حول المسيحيّة في المخطوطات. لكنّه يتجاوز «إسينمان» في الإدعاء أنّ التأخير في نشر مخطوطات قمران الباقية كان نتيجةً لمؤامرةٍ من المسيحيين الكاثوليك لإخماد شيء يمكن بالتصوّر أن يدمّر كامل صرح التعاليم والمعتقدات المسيحيّة. كما شهدت السنوات الأخيرة تدفقاً ملحوظاً من الكتب التهويليّة حول قمران ويسوع، فيدّعي كلّ من «إلمار غروبر» و«هولغر كيرستن» في كتابهما «يسوع الحقيقي»، أنّ قمران أطلقت أسطورة يسوع من خلال توليفة من الديانتين اليهوديّة والبوذيّة، ويقولان: «إذا أزلنا عناصر من تعاليم قمران والتعاليم المعمودية، سيظهر يسوع الأصليّ من جديد إنه: بوذا المحبة العالمية».

ويظهر أصلٌ قمرانيّ آخر ليسوع في كتاب «يسوع الناصريّ» لمؤلفه «ك. ف. هوسكينغ»: فيسوع المعلم الصالح تبعاً لهذا الكاتب عانى من رهابٍ شديد، ففقد الوعي فقط ولم يمت على صليبه، ولاحقاً قاد القوى اليهوديّة في مسعدة[74].

الباحثة الإنجيليّة الأسترالية «باربرا ثيرينغ» وقفت ضدّ الإجماع حول العلاقة بين المخطوطات والمسيحيّة الأولى، فهي تدّعي في كتابها «إعادة تأريخ المعلم الصالح»، الصادر عام1979، أنّه تمّ تشكيل مجتمع قمران حوالي عام 6 بعد الميلاد، وأنّ المعلم الصالح الذي ظهر بعد عشرين عاماً كان على الأرجح يوحنا المعمدان. وفي كتابها الأشهر «يسوع وأحجية مخطوطات البحر الميّت»، الصادر عام 1992، تستنتج من المخطوطات أنّ يسوع هو بالفعل «الكاهن الشرير»، فقد وُلد من امرأةٍ من سلالة قمران الملكيّة الكهنوتيّة، وصادق المنبوذين ولم يقم بأي معجزات، وتمّ صلبه مع «سيمون المجوسي[75]» و«يهوذا الإسخريوطي[76]» في قمران، لكنّه نجا بسبب سمّ أفعى أفقده وعيه. بعد ذلك، تزوّج يسوع مرّتين: «مريم المجدلية[77]» و«ليديا من فيليبي[78]»، وكان له ثلاثة أولاد. وبعد أن طاف في حوض المتوسّط، مات بشكلٍ غامض في روما.

إنّ «ثيرينغ» تقرأ المخطوطات وتفسرها كأنها رموز أحجية، فبينما يبدو أنّ الأحداث وأسماء الأماكن وأسماء الأشخاص ترمز إلى التاريخ الأول والمستقلّ للمجتمع الأسينيّ، فإنها في الواقع تُشير إلى قصّة يسوع. ولذلك تمّ تجاهل آراء «ثيرينغ» من قبل الباحثين الآخرين بشكلٍ كبير، مع

أنّ الإعلام أولاها بعض الاهتمام، وبالأخص أحد أكثر البرامج التلفزيونية جدلاً: «أحجية مخطوطات البحر الميّت» الذي تبنّى آراءها.

أخيراً، سبّب نوع مختلف من الاقتراحات المتعلقة بقمران والمسيحيّة ضجّةً في فترة السبعينات من القرن الماضي والتي عادت للظهور في تسعينيات القرن، ففي عام 1972 رأى الباحث الإسبانيّ «خوسيه أوكالجان» أنّ أجزاء المخطوطات الباقية من مرقص والأعمال ورومّية وتيموثاوس ويعقوب وبطرس الثانية كانت بين الأجزاء اليونانية لكهف قمران رقم 7. وقد نسب أجزاء مخطوطة إنجيل مرقص إلى حوالي عام 50 للميلاد. وفي حال تمّ قبول أفكار «أوكالجان» هذه، فإن تأريخ إنجيليّ متّى ولوقا سيتغيران، وسيتم إعادة المسيحيّة الأولى إلى فترة المجتمع القمراني، في مرحلته الأخيرة على الأقل. إن وجوداً مسيحياً في قمران ربّما سيفتح الباب على تأثيرٍ مسيحيّ أكبر على المجتمع القمرانيّ والمخطوطات.

بينما رحّب قلّةٌ من الباحثين باقتراح «أوكالجان» معتقدين أنه سيؤدي إلى جعل تأريخ جزء كبير من العهد الجديد أبكر، نجد أنّ معظم المختصّين يرفضون أفكاره. وفي السنوات الأخيرة تلقّت آراؤه دعماً كبيراً من الباحث الألمانيّ «غارستن ثيد»، لكنّ صوته بقي ثانوياً في هذه الضجّة. إن هذه الأجزاء صغيرة وتحتوي العديد من الثغرات، ويمكن لها أن تُلائم عدة مصادر يونانية مختلفة، وفي بعض المواضع لا بُدّ من تصحيحها لتناسب أصل العهد الجديد. وبالاستناد إلى أصول النقد النصيّ، فإن كون أصول هذه الأجزاء من العهد الجديد غير مؤكّد، فهي بالتالي ليست شاهداً محتملاً ليسوع في المخطوطات.

بالنتيجة، لا يمكن لمخطوطات البحر الميّت أن تؤكّد لنا التفسيرات التي تتعمد محاولة وضع يسوع في قمران، فهذه التفسيرات تتجاهل الدلائل المثبتة المتعلّقة بعلم الآثار وبعلم دراسة الكتابات القديمة، بما فيها التأريخ عن طريق اختبار نظائر الكربون المشعّ الذي يعيد معظم المخطوطات إلى ما قبل تاريخ يسوع.

إنّ إعادة تفسير الديانتين اليهوديّة والمسيحيّة بشكلٍ كامل يفتقر إلى وجود دلائل إثبات خارج المخطوطات، وإن وجود أيّ منها هو قليلٌ جداً، فالأدب القمراني لا يذكر يسوع، ليس صراحةً بالتأكيد ولا بالرمز على الأرجح. وقد بلغت معظم الدراسات الأكاديمية حول العلاقة بين قمران والعهد الجديد موقفاً معتدلاً مفاده أنّ المخطوطات شديدة الأهمية من أجل فهم العهد الجديد، لكن نسب أحدهما إلى الآخر هو أمرٌ غير محتملٍ إلى حدٍ كبير. ومع أنه يوجد نقاط تَشابه ملحوظة في بعض الأوجه العقائدية والتنظيميّة بين قمران والكنيسة الأولى، إلاّ أن الاختلافات أشدّ تأثيراً. وفوق هذا كلّه فإن الحركتين مختلفتان كفاية في آرائهما المسيحيّة. وبذلك نخلص مطمئنين إلى أنّ

المخطوطات لا تُظهر أيّ معرفةٍ بيسوع، وأنّ أعراف العهد الجديد حول شخص يسوع وتعاليمه ليست مبنية على المخطوطات. وكما كتب «جيمس فانديركام»: فإن تفرّد المسيحيّة الأولى مقابل قمران يكمن في إيمانها العميق أنّ يسوع كان بالفعل المسيح المنتظر، وابن الله الذي علّم وشفى وعانى ومات وقام وصعد ووعد بأن يعود ممجداً ليحاسب الأحياء والموتى.

وعلى الرغم من أنّ الآراء السابقة تحظى باهتمامٍ قليلٍ الآن إلاّ أنّ الكتب التي تضخّم أمر المخطوطات يمكنها أن تفصل بين السذج وأموالهم، وهؤلاء يمكننا توقع وجود المزيد منهم. وعلى الرغم من أنها تزوّد قرّاءها بمعلومات مغلوطة إلا أنها تثير اهتماماً أعظم بيسوع والدين اليهودي الأمر الذي يمكن للدراسات الواقعية التصدي له.

يوسيفوس: يسوع إنسان حكيم يدعى المسيح

ولد المؤرخ اليهودي «يوسيفوس» ما بين 37–100 للميلاد في عائلة كهنوتية نبيلة، واسمه العبريّ الأصليّ «يوسف بن ماتيتياهو». ترأس في عام 67 للميلاد وفداً دبلوماسياً خاصاً إلى «نيرون [79]» وهو ما يزال شاباً في عمر 27. وبعد سنتين، عند اندلاع ثورة اليهود ضد روما، أصبح قائداً لقوات اليهود في الجليل. لكنّه استسلم أثناء الحرب ليعتنق معتقدات الرومان بعد ذلك. وبعد الحرب أصبح «يوسيفوس» مواطناً رومانياً، وكاتباً في خدمة الأباطرة من سلالة فلافيان: «فسبازيان»، و«تيتوس»، و«دومتيان»، وعاش في قصورهم وأطلق على نفسه اسماً رومانياً تكريماً لأسياده، وعرفه التاريخ بعد ذلك باسم «فلافيوس يوسيفوس».

ألّف «يوسيفوس» أعمالاً عدّة كرسها لشرح وتبرير ما قامت به كلّ من روما واليهود ضد بعضهم البعض، ومع ذلك فإن معظم كتابيه الرئيسيين يدوران حول الدفاع عن الرومان، بالإضافة إلى توجيه نصائح للشعب اليهودي من أجل العيش بسلام تحت قيادتهم. ويعتبر هذا الهدف هاماً بالنسبة لموضوعنا لأنه سيؤثر في كيفية كتابة «يوسيفوس» عن الحركات اليهودية، بما فيها الحركة التي أسسها الزعيم اليهودي المتديّن الذي قامت روما بإعدامه.

يحكي «يوسيفوس» في كتابه «حرب اليهود» قصة ثورة اليهود 66–70 للميلاد، وقد ألّفه بين عامي 75–80 للميلاد، واعتمد في كتابته على تجربته الخاصّة. وكتب عمله الهامّ الثاني «تاريخ اليهود» في مطلع التسعينيات، حيث يسرد في عشرين مجلداً تاريخ الشعب اليهودي من بدء تشكلهم وحتى ثورة اليهود. يعدّ هذان العملان مصدرين هامين لمعرفتنا بالتاريخ الإنجيلي، وعلى وجه الخصوص بالسياسة والحرب في فلسطين في القرن الأول الميلادي. وعلى الرغم من أن «يوسيفوس» عد نفسه يهودياً مخلصاً طوال حياته، إلا أن اليهود الآخرين يرون أنه خائن يخدم مصالحه الشخصية فقط.

كانت رعاية الفلافيين تضمن لـ«يوسيفوس» أن كتبه ستنسخ في الدار العامة للمخطوطات الكنسية، لكن بعد سقوط روما لم يحفظ كتبه إلا المسيحيون. وبالحكم من خلال الأدلة المتبقية، لم يقرأ اليهود كتبه ولم ينسخوها، كما أن الكتّاب اليهود القدماء لم يأتوا على ذكرها. على سبيل المثال لم يشر الأدب الحاخامي الهائل إليه ولم يستخدم كتاباته، بغض النظر عن منفعتها الواضحة.

واستمر هذا التجاهل المتعمَّد في العصور الوسطى والحديثة، وحتى مؤخراً قام معظم الباحثين اليهود بتهميش أعمال «يوسيفوس».[80]

أحد الأسباب التي دعت المسيحيين لنسخ أعمال «يوسيفوس» أنها كانت تقدم معلومات غنية عن بعض الشخصيات في العهد الجديد إلى جانب يسوع، وعلى وجه الخصوص «يوحنا المعمدان»، و«يعقوب» زعيم كنيسة أورشليم الأولى. لقد حظي «يوحنا» بكثير من المعلومات والتفاصيل الموسعة في تاريخ اليهود (18. 5 .2 §116–19)، لكن «يوسيفوس» لم يذكر يسوع في هذا الموضع. وعندما يروي موت «يعقوب» في تاريخ اليهود (20. 9 .1 §200)، نراه يذكر يسوع باقتضاب. ولأن هذا الذكر ليسوع يتصف بأنه قصير، مقارنة بفقرات ليوسيفوس عن يسوع، وغير معقد على نحو مفاجئ، سنقوم بمناقشته:

يتصرف «حنانيا» الكاهن الأكبر بتهور وغضب وجرأة غير معتادة أثناء عدم وجود الحاكم من قبل السلطة الرومانية، يجمع المجلس القضائي اليهودي «السنهدرين»، ويحضر أمامهم أخ يسوع الذي يُدعى المسيح، الذي كان اسمه «يعقوب»، وبعض الآخرين. عندها قام باتهامهم بعصيان الهالاخاه[81]، وأتى عليهم بأن يُرجَموا.

تَعتبر الغالبية العظمى من الباحثين أن جملة: «أخ يسوع الذي يدعى المسيح، صحيحة، حالها حال الفقرة الموجودة فيها، فالفقرة تناسب السياق تماماً. أما بالنسبة للمحتوى فأي مسيحي يريد التحريف كان سيستخدم لغة تمجيدية لوصف «يعقوب»، ولوصف «يسوع» على وجه الخصوص، فيصفه بـ«الرب»، أو أي شيء آخر. وعلى الأقل فإنه كان سيستخدم كلمة «المسيح» بمعناها الإلهيّ كما في الفقرة التي سنتعرض لها تالياً. إن كلمة «يوسيفوس»: «يدعى المسيح» كلمة حيادية ووصفية لا تهدف للاعتراف بيسوع أو لإنكاره بكونه «المسيح». هكذا يميّز «يوسيفوس» يسوع هذا عن العديد من الآخرين الذين ذكرهم وكان لهم هذا الاسم الشائع ذاته[82]. علاوة على ذلك، فإن السبب المحدد لظهور هذه العبارة التعريفية: «أخ يسوع الذي يدعى المسيح»، هو التعريف الإضافي بـ «يعقوب»، الذي كان اسمه شائعاً أيضاً. إن استخدام كلمة «المسيح» كلقب هنا يعكس الاستخدام اليهودي، وهو ليس استخداماً مسيحياً تقليدياً[83]، وليس استخداماً رومانياً أيضاً، لأنه كما رأينا في الفصل السابق فإن الرومان قد استخدموا كلمة المسيح على أنها اسمٌ شخصي. إن ترجمة العبارة بـ: «المزعوم» أو «المدعو المسيح»، قد يعطي دلالةً سلبية، لكن «يوسيفوس» لا يستخدم عادة كلمة «المدعو» بأسلوب سلبي. ويوجد ترجمة أخرى محتملة هي: «المسيح المذكور سابقاً». في جميع الأحوال، لا يستخدمها «يوسيفوس» هنا بهذه الطريقة أيضاً. وهذا يرجعنا إلى

كتاب تاريخ اليهود (18. 3.3 §63)، حيث أن استخدام «يوسيفوس» لاسم المسيح يعد مدار جدل كبير.

إذن فإن الفقرة الحالية تقدم ذِكراً موثوقاً ليسوع، ويؤكّد ذلك إيجازها وتميزها. حيث جاء فيها أن يسوع كان يُعرف أيضاً بـ: «المسيح المنتظر» أو «المخلص»، وتخبرنا بأن أخاه «يعقوب» كان ذا شأن بين أولئك الذين قتلهم «حنانيا». إن مقولة «يوسيفوس» الأساسية عن يسوع، التي تعرف تقليدياً بـ: «الشهادة الفلافية . Testimonium Flavianum»، أي «شهادة فلافيوس يوسيفوس» عن يسوع، وجدت في كتاب تاريخ اليهود (18. 3.3 §63–64). يقول النص الحالي:

في هذا الزمان عاش يسوع، إنسان حكيم، إذا كان يصح أن ندعوه إنساناً، فقد قام بمآثر رائعة، وكان معلماً للناس الذين قبلوا بالحقيقة بكل سرور، وكسب العديد من اليهود والإغريق في صفّه، لقد كان المُخلّص. وعندما سمع «بيلاطس[84]» اتهام زعمائنا له، حكم عليه بالصلب، ولكن الذين أحبوه من البداية لم يتوقّفوا عن حبه. وفي اليوم الثالث ظهر لهم حياً من جديد، لأن أنبياء الرب تنبؤوا بهذا وبأشياء أخرى كثيرة عنه. وحتى يومنا هذا لم تختف قبيلة المسيحيين التي سميت باسمه.

قبل أن نناقش هذه الفقرة يجب علينا إلقاء نظرة على نسخة أطول منها بالترجمة الروسية القديمة من كتاب «حرب اليهود» ليوسيفوس، والتي تأتي تحت اسم: «يوسيفوس السلافي»، أو أحياناً: «الشهادة السلافيّة

– Testimonium Slavianum». والتي لم تظهر حتى بداية القرن العشرين في «حرب اليهود» (2. 9. 2 §169)، تقول هذه النسخة:

في ذلك الزمان ظهر إنسان معين، إذا كان يصح أن ندعوه إنساناً، لأن طبيعته وأسلوبه كانا يتسمان بالبشرية، لكن شكله كان يفوق البشر، وكانت أعماله إلهية، لذلك يستحيل علي وصفه بأنه إنسانٌ عادي. لكن من ناحية أخرى، إذا كانت طبيعته كسائر الآخرين فلن أصفه بالملاك. كل شيء قام به بقوى خفية، وكان يؤديه بالكلمة والتوجيه. وقال البعض: «إن مشرّعنا الأول قام من بين الموتى، وأظهر آيات ومعجزات». لكن يعتقد البعض أن الرب قد أرسله. لكنه في العديد من الأحيان عارض الناموس ولم يطع الأحكام الدينية ليوم السبت المقدس وفقاً لعادات أسلافنا. مع ذلك فهو لم يرتكب أي عمل مخز، حيث لم يفعل أي شيء بيديه ولكن بكلماته فحسب. اتّبعه العديد من عامة الناس وأصغوا جيداً إلى تعاليمه. وتحمّس العديد لاعتقادهم أن القبائل اليهودية تستطيع من خلاله تحرير نفسها من سلطة روما. كان من عادته أن يكون خارج المدينة على جبل الزيتون،

فهناك كان يشفي الناس. انضم إليه مائة وخمسون من الأعوان وعدد كبير من العامة. وعندما رأوا قوته وقدرته على تحقيق ما يشاء بالكلام، أوصلوا إليه رغبتهم بأنه يجب أن يدخل المدينة ويبيد قوات الرومان و«بيلاطس»، ثم يستلم الحكم عليهم، لكنه لم يصغ لهم. وعندما وصلت هذه الأخبار إلى زعماء اليهود، اجتمعوا مع كبير الكهنة وقالوا: نحن ضعفاء وليس بيدنا حيلة لنقاوم الرومان، ولكن بعد أن جرى ما قد جرى سنذهب ونخبر «بيلاطس» بما سمعناه، عندها نكون قد تجنبنا المشاكل. لأنه إذا سمع هذا من الآخرين سيصادر متاعنا ويذبح ويشرد أطفالنا. فذهبوا وأخبروا «بيلاطس»، فأرسل «بيلاطس» الجند الذين قتلوا العديد من العامة. أُحضر صانع المعجزات إلى «بيلاطس»، وبعد أن قام بتحقيق حوله أصدر الحكم التالي: «إنه فاعل خير، إنه ليس مجرماً، ولا متمرداً، ولا يسعى وراء الملك». ومن ثمّ أطلق سراحه لأنه شفى زوجته التي كانت تحتضر. فعاد إلى مكانه الاعتيادي ومارس عاداته المعهودة. وتجمع حوله المزيد من الناس، وحظي بسمعة طيبة لما يقوم به. احترقت قلوب الكتبة من الحسد، وقدموا لـ «بيلاطس» ثلاثين قطعة ذهبية لقتله. فأخذها ومنحهم الحرية لتنفيذ رغبتهم. فأمسكوا به وصلبوه، مخالفين بذلك قانون آبائهم.

أدخلت الفقرة التالية في «يوسيفوس السلافي» بعد حرب اليهود (5. 5. 4 §214)، وتقول ما يلي:

كما تعلمون، شقت ستارة الهيكل فجأة من الأعلى وحتى الأرض، عندما قاموا بتقديم من كان يعمل الصالحات إلى الموت عن طريق الرشوة، الإنسان الذي كان بأفعاله ليس كأي إنسان. تحققت بعد ذلك الوقت العديد من الآيات التي أتى بها. ويحكى أنه بعد قتله، وحتى بعد دفنه في القبر لم يتم العثور عليه. وأكد البعض أنه قد قام، لكن آخرين أصرّوا على أن أصدقاءه قد سرقوه. على أية حال، فأنا شخصياً لا أعلم أي الروايتين أصدّق... لكن البعض الآخر قال إنه من المستحيل سرقته، لأنهم وضعوا عليه حراساً حول قبره، من ثلاثين رومانياً وألف يهودي.

أدخلت الفقرة الثالثة في «يوسيفوس السلافي» في حرب اليهود (5. 5. 2 §195)، وتقول:

فوق هذه النقوش، على أحد البوابات المؤدية إلى القسم الداخلي من الهيكل، وضع نقش رابع بالحروف ذاتها. يقول: «يسوع ملك لم يَحكم، صلبه اليهود لأنه تنبّأ بخراب المدينة ودمار الهيكل». وأخيراً أدخلت جملة تتحدث عن نبوءة مسيحية من الإنجيل في حرب اليهود (6. 5. 4)، مكان (§313): بعضهم فهم بهذا أنه «هيرودس»، لكن آخرين يقولون إنه صانع المعجزات يسوع، وآخرون يقولون مجدداً «فسبازيان».

في عام 1929، وفي بداية البحث في هذه النصوص «السلافية»، كتب «روبرت إيسلر» كتاباً مثيراً للجدل كرّسه كلياً للدفاع عن صحتها، وتبع خطاه مؤخراً «جورج ويليامسون». وبعيداً عن هذين العملين لم يتم أي عمل آخر يدافع بقوة عن صحتها. يظهر محتوى هذه الفقرات أنها كتابات مسيحية وأنها لا تقدم بديلاً نصياً أصلياً لـ«شهادة فلافيوس» الأساسية في «تاريخ اليهود». تُظهر بداية الفقرة الأولى تناقضات دينية مسيحية أتت من بعد «يوسيفوس» بزمن، لكن لغتها بالكاد تكون تقليدية. يعكس «يوسيفوس السلافي» النزوع المسيحي المتزايد لتبرئة «بيلاطس البنطي» من مقتل يسوع وتوجيه اللوم لليهود، وحتى إلى القول بأن اليهود هم بأنفسهم من صلبوا يسوع.

ولتأكيد هذه النقطة، يجب أن تتجاهل النسخة «السلافية» مقولة «يوسيفوس» الأصلية بأن «بيلاطس» هو من صلبه. وهذا يتكرر في التحريف الثالث المذكور سابقاً. تستخدم «الشهادة السلافية» العهد الجديد كثيراً في مواضع عدة لتشكيل هذه القصة. ففي بعض الأحيان يُحرّف هذا الاستخدام حقائق العهد الجديد، على سبيل المثال عندما تقول الفقرة بأن يسوع كان له قدرة قوية جداً على شفاء الناس، وأنه لم يستخدم يديه مطلقاً، أو أن قبر يسوع كان محاطاً بثلاثين جندياً رومانياً وألف يهودي. كما توضح أكثر الذكر الوجيز لزوجة «بيلاطس» في إنجيل متّى (27:19). إن الجزء الثالث من «الشهادة السلافية» الذي يذكر اسم يسوع ومعاقبة اليهود له والمكتوب على إحدى بوابات الهيكل، يعتبر غير محتمل لدرجة السخافة. ليس للأجزاء الأربعة من «الشهادة السلافية» أي صلة أدبية بتعاليم اليهود القديمة عن يسوع بما يدعم أصلها القديم أو مصداقيتها. وأخيراً لا يجب أن نغفل عن الخلاف الأشد ضد صحتها، فإن عدم وجود هذه الفقرات في «تاريخ اليهود»، على عكس جميع الأدلة النصية في «حرب اليهود»، يعتبر إشارة قوية بأنها ليست أصلية. كما اتفق الباحثون تقريباً بالإجماع على رفض فكرة صحة «الشهادة السلافية»، ويؤمن معظمهم، إلى جانب «بول وينتر»، أنها أتت بعد الصيغة الحالية للشهادة الأساسية.

وبالعودة إلى صيغة الشهادة في «تاريخ اليهود»، لدينا فقرة عن يسوع مثبتة أكثر لكنها لا تزال موضع جدل كبير، فمنذ «أوسياندير» و«سكاليغير» في القرن السادس عشر، ظل الباحثون يتجادلون في صحة هذه الفقرات. قام «لويس فيلدمان»، عميد الباحثين في نصوص «يوسيفوس»، بإحصاء أكثر من ثمانين دراسة تتناول هذه المعضلة بين أعوام 1937–1980، والتي مازالت تجذب الانتباه في الأبحاث الحالية، فهي تعرض أحد أقدم المشكلات وأكثرها صعوبة في الدراسات التاريخية في أصل الدين المسيحي. ولأن مخطوطات «يوسيفوس» القليلة تعود إلى القرن الحادي عشر، أي من بعد عمليات التحريف المسيحية بزمن طويل، فإن النقد النصي لن يجدي في حل هذه القضية. وينطبق الأمر أيضاً على غياب الشهادة في النص المقابل في كتاب «يوسيفوس»

الثاني «حرب اليهود»، لأنه لا يقدم أية أدلة تدعم صحتها، حيث يذهب «تاريخ اليهود» أبعد من «حرب اليهود» في نقاط عدة.

بقي لنا أن ندرس سياق وأسلوب ومضمون هذه الفقرة للحكم على صحتها، ونهدف هنا لتقديم الخطوط العريضة لمناقشة هذه المشكلة المعقدة ضمن ساحة محددة، على أمل خلق أسلوب يعتمد البساطة. سنناقش أولاً وجهة النظر القائلة بأن الشهادة أصلية تماماً، ثم وجهة النظر القائلة بأنها غير أصلية على الإطلاق، وأخيراً وجهة النظر القائلة بوجود نسخة مختلفة من الشهادة وراء النسخة الحالية، وعلى الأرجح هي الأصلية.

حتى ظهور النقد التاريخي في مطلع العصور الحديثة، اعتقد معظم الناس بأن هذه الفقرة أصلية، واستمرت وجهة نظر قبل النقد بفرض تأثيرها في بعض الأصعدة خارج تيار البحث، ويمكن تلخيص ذلك بشكل مناسب بالترجمة الإنكليزية الأكثر مبيعاً لـ «يوسيفوس» التي قام بترجمتها «ويليام ويستون». ومع ظهور النقد التاريخي استمر البعض بقبولها، وبشكل خاص مؤرخ الكنيسة الكبير «أدولف فون هارناك». وكما يعلق «ولفغانغ بينيرت»: لا تعتقد إلا أقلية من الباحثين اليوم بصحتها أساساً. ويفسرون ذلك بأن الجزء الأكبر من الفقرة لا يبدو وكأنه قد خضع للتحريف المسيحي، لذلك فهي أصلية بالكامل. ويمكننا عرض آرائهم على التوالي:

تدعو الفقرة يسوع بـ«إنسان حكيم»، وليس هذا المديح هو الذي يتوقع المرء من التحريف المسيحي بأن يقوله، لأن اللقب لم يكن لقباً مسيحياً شائعاً على الإطلاق. ويقول «يوسيفوس» الشيء ذاته عن سليمان في تاريخ اليهود (8. 2. 7 §53)، وعن «دانيال» في تاريخ اليهود (10. 11. 2 §237)، ويقول شيئاً آخر مماثلاً عن «يوحنا المعمدان»، الذي يدعوه بـ«الرجل الصالح» في تاريخ اليهود (18. 5. 2 §116-9).

والقول بأن يسوع «قام بمآثر رائعة»، قد يعتبر مقولة إيجابية، لكن من غير المحتمل أن تكون الصياغة صادرة عن مسيحي. حيث تعد العبارة: «مآثر رائعة» غامضة بحد ذاتها، فيمكن ترجمتها: «مآثر مروّعة أو مثيرة للجدل»، ويمكن أن تقرأ الجملة بأكملها لتعني ببساطة أن يسوع كان مشهوراً كصانع معجزات.

أما هذه الفقرة: كان يسوع أيضاً «معلماً للناس الذين قبلوا الحقيقة بكل سرور». فمن الصعب تخيل أن أحد الكتبة المسيحيين استخدم كلمة «سرور» لوصف أتباع يسوع، فقد تجنب الكتّاب المسيحيون هذه الكلمة لدلالتها إلى «مذهب المتعة».

تمثل المقولة: بأن يسوع كسب «كلاً من اليهود والإغريق» سوءَ فهم: لعله يوجد بين غير المسيحيين مثل «لوسيان». وعلى أية حال فأي شخص على اطلاع ضئيل بتعاليم الإنجيل يعلم أن يسوع ذاته لم يكسب «العديد من الإغريق» لصالح حركته، على الرغم من أن كلمة الإغريق هنا تعني غير اليهود. صحيحٌ أنّ يسوع كان يجذب غير اليهود، إلا أنه حتماً لم يكن يكسبهم بمثل عدد اليهود، كما تفترض الصيغة «كلاً من...و...»، وكلمة العديد المتكررة. كما تصف هذه العبارة بسذاجة حالة الدين المسيحي في نهاية القرن الأول، عندما كان للمسيحية أنصارٌ من اليهود وغير اليهود على حد سواء. وأقولها مرة أخرى لا يمكن أن يرتكب نَسّاخ مسيحي مثل هذا الخطأ.

إن جملة: أولئك من أحبوه من البداية لم يتوقفوا عن فعل ذلك، تتميز بأسلوب «يوسيفوس»، وتشير إلى استمرار المسيحية بعد موت مؤسسها. وتلمّح إلى أن حبّ أتباع يسوع له، وليس لتجلياته لهم بعد القيامة، هو ما كان أساس استمرار المسيحية. ولا تدعو هذه المقولة المسيحيين لمحبة مسيحهم بشكلٍ صريح، كما قد يكون نزوع المحرفين المسيحيين.

أخيراً، إن تسمية المسيحيين بـ «القبيلة» هو أمرٌ غير معهود من قبل أي من الكتبة المسيحيين، فأتباع دين التبشير لن يكونوا راضين للمعاني المتضمنة الأكثر ضيقاً وتحديداً لهذه الكلمة. على أية حال فقد يستخدمها «يوسيفوس» بهذه الطريقة للدلالة على مجموعات أخرى، من كلا اليهود وغير اليهود. وكما علّقت «كلوديا سيتزر»: بينما تُعتبر كلمة قبيلة طريقةً غريبةً لوصف المسيحيين، فإنها لا تحمل بالضرورة دلالات سلبية.

إنّ المناقشات السابقة التي أبعدت الفقرات عن التحريف المسيحي في مواضع رئيسية عدة دفعت ببعض المفسرين لاعتبارها أصلية تماماً. فما هي البراهين التي تنفي أصالة الفقرة برمتها؟

أولاً، بالنظر إلى أنه تم صياغتها بوقت قصير فإنها لا تناسب السياق في المجلد 18 من «تاريخ اليهود». ونظراً لتوزعها في سلسلة من الأحداث المترابطة التي تنتقد بوضوح «بيلاطس» وزعماء اليهود، تجعل هذه النقطة تبدو شديدة الأهمية ضمنياً بالنسبة لهم، وتشكل على الأقل تقييماً حيادياً ليسوع بصفته زعيماً.

ثانياً، توحي صياغة بعض الجمل أن الفقرة بأكملها قد تكون عبارة عن تزييف مسيحي، وتوحي عبارة: «إذا كان يصح أن ندعوه إنساناً»، بأنّ يسوع كان أكثر من مجرد بشر عادي. ويبدو هذا مثل تصحيح قام به أحد الكتبة المسيحيين للتضمينات الدينية المسيحية، بوصف يسوع بأنه مجرد «إنسان حكيم». ويكمن أساس المشكلة في الجملة الجافة: «لقد كان المسيح»، فإذا وضعنا جانباً مدى وضوح هذه العبارة لدى جمهور «يوسيفوس» من غير اليهود، تبدو هذه الجملة كاعتراف

بأن يسوع هو المخلص. وحتى ترتيب الكلمات الإغريقية يؤكد أنه «المسيح». ومن الملاحظ عدم قول شيء مثل: «كان يدعى المسيح»، كالطريقة التي ذكر بها «يوسيفوس» يسوع في موضع آخر. إن «يوسيفوس» الذي كتب: «يدعى المسيح» من غير المرجح أن يقول: «لقد كان المسيح» هنا. وبما أن «يوسيفوس» لم يذكر في مواضع أخرى إلا القليل عن المخلصين وعن الحركات المسيحية، مقللاً من أهميتها بهدف التركيز ووضع اللوم بالكارثة العسكرية على المتطرفين الذين أشعلوا نار الثورة في عام 66–70 للميلاد، لذلك لا يجب أن نتوقع أي ذكر إيجابي للمخلص هنا. أضف إلى ذلك أن الأبحاث التي تدرس الشهادة تغفل أحياناً عن كيفية تطبيق «يوسيفوس» نفسه للأفكار المسيحية التقليدية.

كما يلمح «يوسيفوس» في حرب اليهود (3. 8. 9 §392–408)، ويقول صراحة في (6. 6. 4 §310–13)، فهو يؤمن بأن النبوءات الإنجيلية لا تشير إلى مخلص يهوديّ، بل إلى عظيم الروم «فسبازيان» الذي أصبح إمبراطوراً بينما كان يقود قوات الروم في يهودا. ولم يكن «يوسيفوس» ليهين أسياده الفلافيين بوصف يسوع بأنه المسيح حاكم العالم.

إن جملة: «وفي اليوم الثالث ظهر لهم حياً من جديد، لأن أنبياء الرب تنبؤوا بهذا وبأشياء أخرى كثيرة عنه». هذه الجملة بأكملها تمتلئ بالأفكار المسيحية. كما ترد عبارة: «وفي اليوم الثالث» بكثرة في الأناجيل وسفر أعمال الرسل ورسائل بولس الرسول، التي تحمل جميعها محتوى متشابهاً. وتحمل في بعض الأحيان صفة عبارة الاعتراف، مثل: كورنثوس الأولى (15:4). وتبدو العبارة الواضحة: «ظهر لهم حياً من جديد»، كاعتراف بعقيدة قيام يسوع وتجلياته بعد القيامة. وتؤكد عبارة: «لأن أنبياء الرب تنبؤوا بهذا... كثيرة عنه»، تحقق نبوءة الإنجيل بقيامة يسوع، وهي عقيدة مسيحيةٌ واضحة. فإذا لم يكن هذا كافياً فتضيف الفقرة بأن أشياء «أخرى كثيرة» قالها الأنبياء قد تحققت ليسوع. لقد أدّت هذه الشكوك في الصياغة على الرغم من علاقتها بأقل من نصف الفقرة إلى أن بعض المفسرين رفضوا الشهادة بأكملها باعتبارها تحريفاً.

تتركز نقطة الجدل الثالثة لرفض صحة الفقرة برمتها على أدلة خارجية تشير إلى أنها غير موجودة في عمل «يوسيفوس» الأصلي. فعلى الرغم من اطلاع العديد من المدافعين عن الدين المسيحي في القرنين الثاني والثالث على أعمال «يوسيفوس»، إلا أنّ أشهرهم «إيريناوس» و«ترتوليان» لم يذكرا هذه الفقرة، بغض النظر عن فائدتها الواضحة. ويوجد برهان أقل أهمية بقليل وهو شهادة من «أورجين»، فقد ذكر «أورجين» مرتين بأن «يوسيفوس» لم يكن يؤمن بأن يسوع كان هو المسيح. ضد سيلسوس (1.45)، تعليق على متّى (10.17)، انظر أيضاً: ضد سيلسوس (2.13). فهذا يعني بأبعد الاحتمالات أنه لم يكن لديه نص «يوسيفوس» الذي يحتوي عبارة: «لقد

كان المسيح»، وأقرب الاحتمالات أن نصه لم يحتو هذه الفقرة على الإطلاق. وتأتي الشهادة الأولى على الفقرة بشكلها الحالي من «أوسيبيوس» عام 323 للميلاد تقريباً، التاريخ الكنسي (1.11). إن المدافعين الأوائل عن الدين لم يذكروها، لذلك فإن جدل رفض صحتها يبيّن بأن السبب يكمن في عدم وجودها. إذن تعتبر نقاط الجدل الثلاث هذه أساس رفض البعض التام لهذه الفقرة.

لقد استمر الجدل على صحة الفقرة لمئات السنين، ويعود ذلك إلى حد ما لإمكانية برهنة الأدلة بكلا الطريقتين. على سبيل المثال، يمكن للمقولة المحورية: «لقد كان المخلص»، أن تُبرهَن لتدعم كلا التحريفين المسيحيين المحتملين، وذلك لأنها تتفق مع المسيحيين من حيث النظرة إلى مكانة يسوع المخلص، وبالنسبة إلى موثوقية «يوسيفوس» لأن كلمة: «كان» يمكن أن تتضمن معنى أن يسوع لم يعد المخلص. لنأخذ مثالاً آخر، تبدو عبارة: «إذا توجب على المرء وصفه بأنه إنسان» لمعظم المفسرين ذاتَ طابعٍ مسيحي، لكنّ باحثاً خبيراً في نصوص «يوسيفوس»، مثل «ثاكيري»، يقول بأنها أصلية لأنها تتمتع بطابع الصدق [85]. ويمتد هذا الغموض من العبارات والجمل الرئيسية إلى الفقرة بأكملها، وكما رأينا سابقاً فقد جرت مناقشتها بكلتا الطريقتين.

وبينما لا يزال بعض الباحثين يرفضونها برمّتها وقلّة منهم يقبلونها بأكملها. أمّا الآن فمعظمهم يفضلون أحد موقفين وسطيين. يقوم الموقف الوسطي الأول بإعادة تشكيل فقرة «يوسيفوس» لتكون صحيحة ومحايدة تجاه يسوع، أمّا الموقف الثاني فيقوم بإعادة تشكيل الفقرة لتكون صحيحة وسلبية تجاه يسوع. سنقوم الآن بدراسة هذين الموقفين.

يقول الموقف المحايد بأنه الكتبة المسيحيين أضافوا للفقرة الأصلية لتحويلها إلى مدح يسوع وأتباعه، وعند القيام بتحديد هذه الإضافات التحريفية وحذفها، تنتج فقرة صحيحة ومحايدة تجاه يسوع:

في هذا الزمان عاش يسوع، إنسان حكيم. فقد قام بمآثر رائعة وكان معلماً للناس الذين قبلوا بالحقيقة بكل سرور، وكسب العديد من اليهود والإغريق. عندما سمع «بيلاطس» اتهام زعماءٍ منّا لـه، حكم عليه بالصلب، لكن أولئك الذين أحبوه من البداية لم يتوقفوا [عن فعل ذلك]. وحتى يومنا هذا لم تختف قبيلة المسيحيين التي سميت باسمه.

قد يتساءل بعض القراء: كيف يمكن أن يعتبر هذا الموقف محايداً بكل عباراته الإيجابية عن يسوع؟ ومع ذلك يجب عدم نسيان أن المسيحيين في نهاية القرن الأول كانوا يستخدمون لغةً أكثر إيجابية لوصف يسوع: «ابن الرب»، «الرب»، «المخلص»، الخ... وعلى الأقل كان بعض اليهود يستخدمون لغةً سلبيةً قوية لوصفه: «المخادع»، «الساحر». وكان الرومان أيضاً يستخدمون

ألقاباً سلبية مثل: «المحرِّض». وخارج هذا الإطار، تبدو الشهادة بعد إعادة التشكيل مبهمة المعالم تجاه يسوع. فقد يكون من كتبها يهودياً محايداً تجاه يسوع، ولكن ليس مسيحياً أو رومانياً وثنياً. وسنناقش نقاط الجدل الأساسية لهذا الموقف المحايد بعد أن نناقش الموقف السلبي.

يقول أولئك الذين أعادوا تشكيل الفقرة السلبية أن «يوسيفوس» كان يخبر عن تحدٍ يواجه الدين اليهودي، حيث حاولت السلطات اليهودية قمع يسوع بتسليمه للرومان، وذلك من حقهم. إن باحثين أمثال «روبرت إيسلر»، «س. ف. براندون»، «إيرنست باميل»، «ف. ف. بروس»، «غراهام ستانتون»، «غراهام تويلفتري» يتشاركون هذا الموقف الأساسي مع بعض التباين في المنهج والنتائج. وسأقدّم الفقرة التي أعاد تشكيلها «بروس»، والتي تدلّ على الخطوط الأساسية للفقرات السلبية الأخرى المعاد تشكيلها، حيث توضّح الكلمات التي تم تخمينها بوضع خطّ تحتها:

وهناك نحو هذا الزمان ظهر **مصدر للمزيد من المشاكل** في يسوعٍ **واحد**، رجلٌ حكيم قام بأعمال مفاجئة، معلم للناس الذين قبلوا بكل سرور **أشياء غريبة**. **أضلّ** العديد من اليهود وغير اليهود. لقد كان **المدعو** المسيح. وعندما قام «بيلاطس» بناءً على معلومات زوده بها الزعماء منا، بالحكم عليه بالصلب، لم يتوقف أولئك الذين **ربطوا أنفسهم به** من البداية عن **التسبب بالمشاكل**. كما أن قبيلة المسيحيين التي سميّت باسمه لم تندثر حتى يومنا هذا.

تعتمد نقطة الجدل الرئيسية للنسخة السلبية من الشهادة على سياق الفقرة، التي تبدو بالفعل على أنها تصور لسلسلة من الثورات التي أحبطت خلال ولاية «بيلاطس»، وقادها أناس يصورهم «يوسيفوس» بشكلٍ سلبيّ. يقصد «يوسيفوس» في هذا السياق أنّ يسوع قاد ثورةً ضد روما. ويمكن تفسير بعض التراكيب في الفقرة بصورة تزدري المسيح والدين المسيحي. فكلمة «حكيم» قد تعني: ذكي،أو متلاعب، وعبارة: «مآثر رائعة» يمكن ترجمتها أيضاً: أعمال محيّرة، جدلية'. أمّا عبارة: «بكل سرور»، فقد تفهم ببساطة بمعنى: بسرور سخيف. إن العبارة الأخيرة: «وحتى يومنا هذا لم تختف قبيلة المسيحيين التي سميت باسمه»، قد تفسر كحسرة على أن الدين المسيحي لم يختف.

ومع ذلك وبعد حذف التحريفات ثم قراءة الفقرة على نحو سلبي، قام معظم المدافعين عن النسخة السلبية بإضافة بعض التعابير التي يفترضون وجودها في نص «يوسيفوس»، لكن المحرفين قاموا بحذفها. على سبيل المثال، اقترح «إيسلر» أن جملة: «في ذلك الزمان ظهر يسوع معين»، قد أُلحقت بالجملة الحالية: «الذي كان قائد ثورة جديدة». ويقترح «بروس» أيضاً أن القول: «لقد كان المسيح»، قد تكون أصلاً: «لقد كان المدعو المسيح». ويقول بعض أنصار هذه الفرضية أيضاً أن المنقح استبدل كلماتٍ سلبية بتعابير إيجابية. على سبيل المثال قد يعني الأصل الإغريقيّ لـ«إنسان حكيم» بمعنى: «إنسان مغالط ومخادع».

وقام «ثاكيري» والقليل من الآخرين بتخمين أن الأصل الإغريقيّ لـ «أشياء» صحيحة هو أشياء: استثنائية، غريبة. ولقد تبع «بروس» في نسخته هذا التوجّه. وعلى نحو مماثل، يقال بأن عبارة: «كسب العديد من الأتباع» كانت أصلاً: «أضلّ العديد»، كل هذه الصياغات تختلف بحرف واحد فحسب في اللغة الإغريقية. ويقول أولئك ممن أعادوا تشكيل الشهادة السلبية: إن «يوسيفوس» قصد الحطّ من قدر المسيح والدين المسيحي في عيون قرائه.

كيف لنا أن نقرر بين النسختين السلبية والمحايدة؟ على الرغم من أن التيقن من الأمر مستحيل، ولا يمكن تحقيقه بأدنى أشكاله لأن كلتا النسختين تبقيان مجرد افتراضات، إلا أنه يمكن تقديم سبعة أسباب أساسية بأن النسخة المحايدة تقدم شرحاً أفضل لهذه الفقرة الصعبة. ولا يعد أي منها مقنعاً بحد ذاته، لكن أثرها مجتمعاً يشكل حجّةً مقنعة، ويبين سبب تفضيل الدراسات الحديثة لها. فأولاً، تشرح النسخة المحايدة سبب ورود ذكر يسوع عند «يوسيفوس» أصلاً. وكما ذُكر سابقاً، ففي نهاية العصور القديمة لم يقم إلا المسيحيون بنسخ كتب «يوسيفوس» بقدر كبير، وذلك لأهميتها للدين المسيحي. كما يمكننا أن نفترض أن الإشارات إلى يسوع عند «يوسيفوس» كانت، إلى حدٍ ما، من بين أكثر النقاط أهمية على الإطلاق. ولو وجد النسَّاخون المسيحيون في كتابات «يوسيفوس» فقرة سلبية عن يسوع كالتي اقترحها الباحثون المُحْدَثون، فكان من المرجح، وكما هو معهود عن الميول الدينية للكتبة المسيحيين، لكان النُسَّاخ قاموا بحذفها باعتبارها إحراجاً، ولم يقوموا بإعادة كتابتها.

ويطرح «جيزا فيرمز» سؤالاً شائكاً: «هل كان هؤلاء الكتاب ليقدموا على إنقاذ عمل رجل يهودي كان مؤلفاً لافتراءٍ خطير عن المسيح الذي كان يعتبره هؤلاء المدافعون عن الدين كينونةً إلهية؟»[86]. لقد كان الكتبة ميالين أكثر بكثير لتحسين فقرة محايدة، أو حتى إضافة فقرة إيجابية حيث لم يكن هناك أي شيء قبل سوى إعادة كتابة بعض الأمور العدوانية تجاه يسوع. ولذلك فإن فرضية النسخة المحايدة مرجحة أكثر من النسخة السلبية.

ثانياً، الجدل القائم على الأسلوب، حيث يمكن قراءة النسخة المحايدة بسلاسة توازي النسخة السلبية بعد حذف التحريفات المقترحة. على سبيل المثال: عند حذف الجملة: «وفي اليوم الثالث ... عنه»، يصبح السرد أكثر تعاقباً. كذلك حذف عبارة: «لقد كان المسيح» يطرح العديد من المشاكل. ويقترح بعض المدافعين عن النسخة السلبية أن المقولة في الجملة الأخيرة من الشهادة عن «قبيلة المسيحيين التي سميت باسمه» تتطلب مقولة قبلها بأن يسوع قد تم الاعتراف به بأنه المخلّص[87]. ومع ذلك تظل هذه الجملة مفهومة إذا تم حذف مقولة سابقة عن يسوع «المزعوم»

بأنه المخلص، لأنه يمكن استنتاج أن يسوع قد سُمّي المسيح من «قبيلة المسيحيين التي سميت باسمه». وإن هذا الأسلوب المقتصد في التعابير الذي رأيناه سابقاً عند «تاتيوس»، مفهوم تماماً على حاله. فيمكن لـ«يوسيفوس» بهذا الأسلوب الأنيق والماكر أن يخبر قراءه بأن أتباع يسوع يطلق عليهم اسم المسيحيين، كما يمكنه أن يعرّف يسوع على أنه المسيح دون أن يطلق عليه هذا الاسم صراحة. إن هذه الفقرة المترابطة المعنى بحد ذاتها والتي تلائم سياقها أيضاً، نتجت عند حذف هذه العبارات وهذا دليل على أنها قد تكون حقاً عبارة عن تحريفات.

ثالثاً، تنسجم النسخة المحايدة على نحو أفضل من النسخة السلبية مع النسخة آنفة الذكر، وعلى نحو دقيق بالإشارة إلى يسوع في تاريخ اليهود: «يسوع الذي يدعى المسيح». إن الفقرة الثانية التي قلنا إنه يمكن تفسيرها على نحو أفضل باعتبارها وصفية ومحايدة تجاه يسوع، تناسب النسخة المحايدة من الفقرة الأولى، أي الفقرة الرئيسة. ولكي تصبح مناسبة للنسخة السلبية يجب فهم كلمة «يدعى» بشكل سلبيّ، على عكس استخدام «يوسيفوس» الوصفي الثابت.

رابعاً، إن النسخة المحايدة التي تعزل وتحذف التحريفات المؤيدة للدين المسيحي سابقة الذكر، تعطي معنى جيّداً لنمط الشهادات المسيحية القديمة لـ«يوسيفوس» آنفة الذكر. لم يكن «أورجين» قرابة عام 250 للميلاد يعرف هذه التحريفات، بينما نجد أنه بعد عدة عقود كان «أوسيبيوس» يعرفها. التاريخ الكنسي (1. 1. 7–8، بيان الإنجيل3. 5. 105–6، ثيوفيلس 5. 44)، وهذا يتوافق مع الفرضية بأن التحريفات قد حصلت ربما بين زمن «أورجين» وزمن «أوسيبيوس». فإذا كانت الفقرة المحايدة معروفة لهما فلن يذكراها لأنها لا تقدم أي شهادة[88].

يعتمد السبب الخامس لتفضيل النسخة المحايدة على النسخة السلبية على اكتشافٍ حديث، ففي عام 1971م قام المؤرخ الإسرائيلي «شلومو باينس» بنشر نسخة من الشهادة لا يعرفها إلا القليل مأخوذة من كتاب «تاريخ العالم» لـ«أوسيبيوس»[89]، وهو مسيحي كتب باللغة العربية في القرن الرابع:

على نحو مماثل لما يكتب «يوسيفوس» العبري، يقول في المعاهدات التي كتبها لحكم اليهود: «في هذا الزمان كان هناك إنسان حكيم يدعى يسوع. كان حسن التصرف، وكان يُعرف بأنه صاحب فضيلة. وأصبح العديد من الناس سواءً من اليهود أو غيرهم من الأمم أتباعاً له. حكم عليه «بيلاطس» بالموت صلباً. وأولئك الذين أصبحوا أتباعه لم يتخلوا عن كونهم أتباعه، وقالوا بأنه قد ظهر لهم بعد ثلاثة أيام من صلبه، وقد كان حياً. ووفقاً لهذا فربما يكون هو المخلّص الذي روى عنه الأنبياء المعجزات.

من الواضح أن «أوسيبيوس» كان قد تعرف على نسخة من نص «يوسيفوس»، وهي تحتوي الشهادة بشكل يميل إلى شبه النسخة المحايدة لا السلبية. فقد حُذفت معظم العبارات الإيجابية عن يسوع: «إذا كان يصح أن ندعوه إنساناً»، «لقد كان المخلّص»، «أنبياء الرب تنبؤوا بهذا وبأشياء أخرى كثيرة عنه». وهناك أمر آخر بالغ الأهمية أيضاً، هو أنه لم يذكر أي من التصحيحات التخمينية التي وردت في النسخة السلبية: «مصدر المزيد من المشاكل»، ومعجزاته بأنها «أمور غريبة»، وأن يسوع «أضل» اليهود. كما تطرح هذه النسخة قضية وضع المسيح بوصفه المخلّص بحيادية: «ربما كان هو المخلّص». على الرغم من أن شهادتها جاءت متأخرة من القرن العاشر الميلادي، وبعض سماتها قد تكون تأثرت بالجدل المسيحي الإسلامي عن يسوع، إلاّ أن هذه النسخة تُعتبر دليلاً أخر يدعم النسخة المحايدة من الشهادة.

سادساً، إن تصوير يسوع بصورة محايدة يدعمه عرض مشابه تقريباً لـ«يوحنا المعمدان» في تاريخ اليهود (18. 5. 2 §116–9)، إذ يعد معظم المفسرون هذا النصّ أصلياً دون شك. حيث يُعد تقديم «يوسيفوس» لـ«يوحنا» معالجة وصفيةً لحركةٍ دينيةٍ مشهورة ذات تضمينات سياسية. فيصف «يوسيفوس» «يوحنا» بأنه رجل صالح جذب بتعاليمه أناساً كثراً، كما فعل يسوع. وقام «يوحنا» على غرار يسوع بقيادة حركة إصلاحية في الدين اليهودي. كما أنّ كلا الزعيمين قُتلا ظلماً، فـ«يوحنا» قُتل للاشتباه به أنه قد يتزعم ثورة شعبية ضد «هيرودس». لكن بالطبع هنالك بعض الاختلافات بينهما، فلم يكن «يوحنا» يصنع المعجزات، ولم يكن للرومان علاقة بالأمر، ولم يشر «يوسيفوس» إلى أن حركته قد استمرت. ومع ذلك كله، وبما أنه يمكن لـ«يوسيفوس» أن يكتب بأسلوب متعاطف عن شخصية جدلية مثل «يوحنا المعمدان»، فهذا يوضح أنه يمكنه كتابة وصف محايد عن يسوع أيضاً.

وأخيراً، تحتوي النسخة المحايدة على الكثير مما يمكن مدحه وذلك بناءً على اثنين من الأعراف العلمية الهامة للاستنباط المنطقي بالبراهين، وهما الشرح والبساطة. تجتاز هذه النسخة اختبار الشرح لأنها تعطي معنىً مقبولاً للفقرة على وضعها الحالي، بمزيج مضمونها الأصلي والمحرّف. إن الخلاف محبط، ومن الصعب التوصل لإجماع لأن بعض أجزائها ذو طابع مسيحي واضح وبعضها الآخر يتسم بأسلوب «يوسيفوس» على نحو قابل للجدل. وتحتمل النسخة المحايدة أرجحية كلا الوجهين وتعززهما بفرضيةٍ تفسيريةٍ مترابطةٍ منطقياً. كما تلائم النسخة المحايدة الأسلوبَ السائد بتغيير قراءة مخطوط ما سواءً بالإضافة أو الحذف. وكما يلمّح سفر الرؤيا (22: 18–19)، فإنّ التغيير عادةً ما يكون بإضافة الكلمات أو حذفها. إن إعادة كتابة نص ما كلياً، كما يرى معظم من أعاد تشكيل النسخ السلبية، لا يعتبر مستحيلاً أو غير مسبوق، لكنه أمر يصعب

إنجازه بنجاح. فكلما كان أسلوب المؤلف ذا طابعٍ أدبي رفيع، وبالتأكيد فإن «يوسيفوس» لديه أسلوب أدبي عال، كلما واجه الكتبة صعوبة في تقليده بنجاح، وتبين النسخة المحايدة هذه العوامل جيداً.

تجتاز النسخة المحايدة أيضاً اختبار البساطة، ففيها أكثر النظريات بساطة لتفسير كل الحقائق، أو على الأقل معظمها، المبطّنة منها والظاهرية في تفسير الشهادة. فهي تحتوي على عدد تخمينات أقل بكثير من معظم النسخ السلبية، مع احتمال استثناء نسخة «باميل» المعروفة ببساطتها وتحفّظها، وتقدم حلاً تفسيرياً تامّاً. كما أن النسخة السلبية تنتج فقرة متماسكة منطقياً وتلائم سياقها بقدر ما تلائمه النسخة المحايدة أو على نحو أفضل كما يقول البعض. إلا أنها تقوم ببناء فرضيةٍ على فرضيةٍ أخرى عندما تضيف بعض التصحيحات التخمينية غير المثبتة بأدلة من المخطوطات، أو من نصوص «يوسيفوس»، أو من نصوص المؤلفين المسيحيين اللاحقين الذين أشاروا إلى «يوسيفوس». وهكذا بما أنه لا سبيل لليقين وبما أن للنسخة السلبية بعض نقاط القوة للإشادة بها، يمكننا أن نخلص إلى أن النسخة المحايدة ذات أرجحية أكبر.

إذا كانت النسخة المحايدة من الشهادة صحيحة، فما هي المعلومات التي تقدمها لنا عن يسوع؟[90]، بالنظر إلى الطبيعة الفرضية للنسخة المحايدة يجب علينا أن نكون محترسين في استنباط الاستنتاجات. ومع ذلك تظهر معلومات شديدة الأهمية عن حياة يسوع. أولها وأكثرها وضوحاً أنها إلى جانب الذكر السابق ليسوع في تاريخ اليهود (20. 9. 1 §200) فهي تؤكد على وجود يسوع. حيث أنه لو وجد أي كاتب يهودي في مركز يخوله معرفة عدم وجود يسوع فقد كان ليكون «يوسيفوس». وإن تأكيده الضمني على وجود يسوع كان ولا يزال أكثر العقبات صعوبةً أمام أولئك الذين يقولون بأن الأدلة من خارج الإنجيل غير مثبتة للصحة في هذه القضية.

ثانياً، يسمي «يوسيفوس» يسوع باسمه الشخصي الصحيح، وإن عدم إضافته لـ «الناصري» قد يتوافق مع قراء هذا الكتاب من الرومان، لأن مثل هذا الوصف الشائع ذي الطابع اليهودي والمأخوذ من العهد الجديد كان سيعطي قليلاً من المعنى بالنسبة لهم. وعلاوة على ذلك، فهو لا يستخدم «المسيح» كاسم، كما يتجنب استخدامه كاسم شخصي في تاريخ اليهود (20. 9. 1 §200).

ثالثاً، تعزز شهادة «يوسيفوس» على نحو غير مؤكد تأريخ العهد الجديد بما يخص يسوع وموته والكنيسة الأولى، وتحدد عبارة: «نحو هذا الزمان» كهنوتية يسوع وموته، واستمرار حركته في عهد «بيلاطس». ولا يمكن التماس دقة أكبر من هذه العبارة العامة، التي يبدو أن «يوسيفوس»

يفضلها، وعلى وجه التقريب في بداية القسم التالي: «نحو الزمان ذاته...». وبالنظر إلى التشويش في الكتابات الحاخامية عن القرن الذي عاش فيه يسوع، فإن دقّة «يوسيفوس» تشكل أهمية بالغة.

تقدم النسخة المحايدة من الشهادة أيضاً أدلة عن كهنوتية يسوع، حيث أن «يوسيفوس» يصف يسوع بأنه «إنسان حكيم». وهنا لنلاحظ أن الوصف يرتبط مباشرة في أول الأمر بمعجزات يسوع ثم بتعاليمه[91]. كما تعتبر العبارة: «فقد قام بمآثر رائعة»، وصفاً صريحاً لكهنوتية يسوع بأنه صانع للمعجزات، مع التأكيد على ما إذ كان أثر هذه المآثر على الآخرين رائعاً. ومرة أخرى لا يوجد هناك تفاصيل، كنوع المعجزات التي قام بها يسوع، حيث لم يبيّن «يوسيفوس» ذلك. أمرٌ آخر، إن وصف يسوع بـ «المعلم» يُعد مفهوماً أكثر لجمهوره من أي مصطلح يهودي تقليدي آخر، مثل: «نبي»، أو «حاخام». وهذا يتضمن معنى مباشراً بأن يسوع كان معلماً تتصف رسالته بأنها «حكيمة»، وعلى الرغم من هذا لم يبين «يوسيفوس» أي شيء عن مضمون تعاليمه.

لقد علّم يسوع «الناس الذين قبلوا الحقيقة بسرور»، وهنا يعني «يوسيفوس» ضمنياً أن تعاليم يسوع كانت حقيقة، ولكن مع حياديته الحذرة فهو لا يقول ذلك صراحة، ولو أن العبء الأكبر في جملته يتجسد في تبيان أن أتباع يسوع كانوا متعلقين بتعاليمه بشدة، يقدم هذا الأساس للمقولة الأخيرة بأن أتباع يسوع استمروا بتطبيق تعاليمه بعد موته.

لقد قلنا سابقاً إن الجملة التالية: «كسب العديد من اليهود والإغريق»، تنطوي على مفارقة تاريخية، وتبدو هذه الجملة واحدةً من البيانين الخاطئين اللذين يقدمهما «يوسيفوس» عن يسوع، وذلك بالحكم عليها من الكتابات المسيحية الأولى. فهو ينسب هذا الموقف الذي حصل في نهاية القرن الأول الميلادي، وعلى الأغلب في روما، إلى دعوة يسوع.

كما تقدّم النسخة المحايدة لنا معلوماتٍ هامة عن موت يسوع، فوفقاً إلى «يوسيفوس» لقد كان «زعماء منا» هم من اتهم يسوع عند «بيلاطس». قد تكون هذه إشارة مبطنة إلى «المجلس اليهودي- السنهدرين»، الذي يذكره «يوسيفوس» في فقرة أخرى عن يسوع. إن اتهامهم له غير محدد، لكن قد يكون «يوسيفوس» يلمح أيضاً إلى أن النمو السريع لحركة يسوع، المذكور في جملة سابقة، هو الذي شكّل خطراً ملحوظاً أدى إلى إدانة زعماء اليهود له. ويوجد لهذا الحافز، من أجل موت يسوع، ما يقابله في العهد الجديد. انظر: يوحنا (11: 48)، وقد يكون هذا المعنى الضمني مفهوماً لقرّاء «يوسيفوس» من الرومان.

وكما رأينا في الفصل الأول، فقد كان انتشار الدين المسيحي يشغل الرومان في زمانهم بقدر ما كان يشغل اليهود. بليني، الرسائل (10. 96)، تاسيتوس، الحوليات (15: 44)، وربما

سوتونيوس، كلاوديوس (25. 4). إن الانتشار الواسع للدين المسيحي خارج حدود الدين اليهودي «والعديد من الإغريق أيضاً» قد يكون أثار شكوك الرومان عن حركة سرية بين غير اليهود في مدينة روما.

يلمّح «يوسيفوس» بوضوح أن «بيلاطس» وزعماء اليهود لهم علاقة بموت يسوع، فقد قاموا باتهامه وقام هو بالحكم بناءً على ذلك. وهذا يتوافق على نحو عام مع ما ورد في العهد الجديد في الأناجيل الثلاثة المتشابهة والإنجيل الرابع. عندما حضر يسوع أمام «بيلاطس»، اتهمه بعض زعماء اليهود، متّى (27: 11-14)، مرقص (15: 1-5)، لوقا (23: 1-5)، يوحنا (18: 28-30). لكن «يوسيفوس» لم يتحدث عن محاكمة يسوع من قِبل «زعماء منّا» كما يذكر العهد الجديد، متّى (26: 57-68)، مرقص (14: 53-65)، لوقا (22: 54-71)، يوحنا (18: 13-24). وهو لا يعلم عن هذا الأمر أيضاً، واعتبر هذا أمراً معقولاً، أو أنه قد حذفه لأن تركيزه في السياق الأوسع للشهادة ينصبّ على «بيلاطس».

إن شهادة «يوسيفوس» بتورط زعماء اليهود و«بيلاطس» معاً في موت يسوع تلفت الانتباه، وحتى أنها مفاجئة، في ضوء نزوع الرومان ممن جاؤوا بعد تلك الفترة بوقت قصير مثل «تاسيتوس» الذي يقول إن الرومان حاكموه وأعدموه، والنزوع المنتظم لجميع المصادر اليهودية اللاحقة التي تقول إن اليهود حاكموه وأعدموه. علاوةً على ذلك، يستخدم «يوسيفوس» لغة توحي بخزي الصلب في العالم القديم: «بيلاطس» حكم عليه بالصلب.

أخيراً، يربط «يوسيفوس» بين يسوع وحركته المستمرة، فهو لا يربط استمرارها بأثر قيامة يسوع كما يفعل المحرّفون المسيحيون، لكنه يربطها بحب أتباع يسوع الشديد له. يسوع قد صلب، لكن «أولئك من أحبوه لم يتوقّفوا» عن حبّه على إثر هذا الموت المخزي. يجب على «يوسيفوس» على غرار «تاسيتوس» أن يشرح لجمهوره الرومان بأن الدين المسيحي مسمى على اسم شخص، وعلى عكس «تاسيتوس» فهو يلمّح إلى هذا.

واستأثر أتباع يسوع باسمه لأنفسهم «المسيحيين»، وبالتأكيد كتب «يوسيفوس» هذه الكلمة بشكل صحيح. في المحصلة تتوافق المعلومات التي يقدمها مع الأحداث الأساسية لقصة يسوع وأتباعه في العهد الجديد، ويمكن القول بإنصاف أنها تدعمها.

ما هو مصدر معلومات «يوسيفوس»؟ تشير صياغة كل عنصر تقريباً من الشهادة المعاد تشكيلها إلى أن «يوسيفوس» لم يستقها، على نحو مباشر أو غير مباشر، من الكتابات المسيحية في القرن الأول الميلادي، بالتأكيد فإن التحريفات تعكس بالفعل بعض تأثير العهد الجديد، كما

نتوقع. إن استخدام «يوسيفوس» الحذِر والوحيد لكلمة «المسيح» كلقب، وليس كاسم شخصي مقرون بـ«يسوع»، ليس على الأرجح أيضاً أن يكون مأخوذاً من العهد الجديد، وهو الأمر الغالب من عدم استخدام «المسيح» كاسم شخصي. فعلى سبيل المثال، الجملة الأولى في أول إنجيل مطابق للشريعة الكنسية، ربما كتب في روما قبل وصول يوسيفوس إلى هناك، تقول: «بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله». مرقص (1:1).

وعلى الرغم من أن يسوع يعلّم الحكمة، إلا أن الكتابات المسيحية الأولى لم تصفه صراحة بـ«الرجل الحكيم». وإن عبارة: «مآثر مدهشة» يمكن أن يكون قد لمَّح إليها في لوقا (5:26)، وإننا قد «رأينا اليوم عجائب»، أكليمندس (25:1). علماً أنه لم تثبت صحة هذه العبارة في موضع آخر، كما لا تعبر حياديتها الحذرة بالتحديد عن موقف العهد الجديد من معجزات يسوع.

وعلى الرغم من أن يسوع يُدعى «معلم» أكثر من أربعين مرة في الأناجيل المطابقة للشريعة الكنسية إلاّ أنّ كونه معلماً قد يكون معلومةً عامةً بين من عرفه، ويقال إن العديد من الحركات الدينية والفلسفية المعاصرة للعالم الروماني قد أسسها «معلم». وإن كلمة «سرور» التي تصف موقف أتباع يسوع لا تُستخدم على نحو إيجابي في الكتابات المسيحية الأولى، كما بيّنا سابقاً. وإن عبارة: «كسب....العديد من الإغريق» غير مُستقاة أيضاً من الكتابات المسيحية. وقد تكون عبارة «رجال من الزعماء» مستنبطة من روايات العهد الجديد عن حضور يسوع أمام المجلس اليهودي «السنهدرين»، لكنها لم ترد في العهد الجديد. كما أن استمرار حركة يسوع بعد موته على أساس حب أتباعه له لا يمكن أن تكون مأخوذة من الكتابات المسيحية، فهي تشير بدلاً عن ذلك إلى مبادرة يسوع بعد قيامته لإعادة جمع أتباعه مثبطي الهمَّة، ليضيء نور الإيمان والتقوى في قلوبهم. وأخيراً، تعتبر تسمية المسيحيين «قبيلة» من عمل «يوسيفوس» وليس المسيحيين.

إن هذه الأمور تنفي استقاء «يوسيفوس» لهذه الصياغة، وربما المعلومات التي وراءها من العهد الجديد أو من الكتابات المسيحية الأخرى المعروفة لنا، إلا إذا افترضنا أن «يوسيفوس» قام بتعديل مفردات وأسلوب الروايات المسيحية، فإن روايته مستقلة عنها جميعاً. وتتعزز هذه الفرضية بأن «يوسيفوس» قد قدم رواية مستقلة عن يسوع بالطريقة التي تناول بها «يوسيفوس» قصّة «يوحنا المعمدان» التي يعتبرها الباحثون مستقلة عن العهد الجديد.

هل وصلت هذه المعلومات إلى «يوسيفوس» على نحو غير مباشر عن طريق المسيحيين أم غيرهم؟ نحن غير متأكدين من هذا، على الرغم من أن معظم الأدلة تشير باتجاه آخر تماماً. لم تنتج درجة الدقة في تقرير «يوسيفوس» عادةً من معلومات منقولة عن طريق أشخاص غرباء عن الموضوع. وأظهرت معالجتنا للمصادر القديمة في الفصل السابق أن قدراً كبيراً من المعلومات التي

روّجت بين الرومان عن يسوع كان يشوبها الخطأ. كما أن مواد «يوسيفوس» لا تبدو مأخوذة من شهادة مسيحيّة شفهية. فلا يظهر عليها إلا مقدار ضئيل من أثر اللغة المسيحية التقليدية عن يسوع، وفي مواضع عدة تحتوي لغةً وأفكاراً كان المسيحيون قد يتجنبونها. وتظهر حيادية هذا التقرير فعلاً بأنه لم يأتِ من مصدر مسيحي. إذا كانت هذه الفقرة غير مأخوذة من مصادر مسيحية مكتوبة أو شفهية، فهي لا تبدو أيضاً مأخوذة من الوثائق الرومانية الرسمية أو من المؤرخين الرومانيين. على سبيل المثال، إن استخدام «يوسيفوس» لكلمة «يسوع» كاسم شخصي وكلمة «المسيح» كلقب يعاكس تماماً الاستخدام الروماني الذي ظل يستخدم لفترة طويلة.

ويوجد فرضية ذات أرجحية أكبر تقول إن «يوسيفوس» قد اكتسب معرفته بالدين المسيحي عندما عاش في فلسطين، ثم أكمل هذه المعرفة في روما، كما تشير كلمات مثل: «حتى يومنا هذا»، حيث كان هناك وجود مسيحي ملحوظ. ولا يمكننا الجزم فيما إذا كان «يوسيفوس» قد اكتسب معلوماته باحتكاكه المباشر مع المسيحيين، أم كانت معلومات غير مباشرة من الآخرين عن حركتهم، أم هي مزيجٌ من الصنفين. إن «جون ميير» مُحقٌّ في استنتاجه بأنه لم يثبت صحة أي من هذه المصادر المحتملة، ومع ذلك تشير الأدلة إلى أن الخيار الأخير جدير بالاستحسان. إن «يوسيفوس» ذاته الذي راقب الدين المسيحي في روما وهو يعلم أنه قد استمر كحركة واستحق مقداراً قصيراً من كتابه، كان على الأرجح قد راقبه في وقت سابق ببعض الاهتمام.

في المحصلة، قدم لنا «يوسيفوس» في فقرتين شيئاً فريداً بين جميع الشهادات القديمة غير المسيحية عن يسوع: وتتميز هذه الشهادة بالحيادية الدقيقة، والدقة العالية وربما هي شهادة مستقلة تتحدث عن يسوع، الإنسان الحكيم الذي يسميه أتباعه المثابرون «المسيح».

الأعراف الحاخاميّة

نتحول الآن للحديث عن مجموعة أدبية هي محط الاهتمام في دراسة الرؤية اليهودية القديمة ليسوع، إنها الكتابات الحاخامية. إن حجمها الهائل، وتعقيدها من الناحية اللاهوتية، وغناها بالتفاصيل الأدبيّة التاريخيّة جعل منها حتى القرن العشرين صعبة وغير مغرية لمعظم الباحثين غير اليهود، وفي رأيي لم يتفوق على هذا التعقيد الأدبي في الكتابات المقدسة في العالم إلا الكتابات الهندوسية. وفي الوقت الحالي يعود الفضل على نحو كبير إلى عمل الباحثين اليهود في القرن العشرين الذين قاموا بتطبيق مناهج النقد التاريخي على هذا النوع الأدبي، فهي مفهومة أكثر للغرباء عن الموضوع.

وعلى غرار مخطوطات البحر الميت و«يوسيفوس» يعتبر هذا الأدب هاماً لفهم زمن يسوع، وخصوصاً حركة الفريسيين. لا يصور هذا الأدب «ديناً يهودياً معيارياً» في زمن يسوع، لأن الفترة التي سبقت الثورة اليهودية كانت أكثر تنوعاً بوجود الصدوقيين والفريسيين[92] والأسينيين والهيروديين[93] وغيرهم. فهي تقدم لنا مشهداً قيّماً عن المجموعة اليهودية الفلسطينية الوحيدة التي نجت من الثورة الطاحنة، وهم حاخامات الفريسيين الذين عرفوا أهمية الدين اليهودي ومنحوه الحياة من جديد.

يعتبر البحث في هذا الأدب عن معلومات تاريخية للقرن الأول الميلادي مهمةً صعبة، ويعود هذا لأربعة أسباب يُقرّها كثيرٌ من الباحثين في هذا المجال. أولاً، لا يُعدّ التاريخ قضيةً أساسيةً في أي موضع من الأدب الحاخامي، فقد كتب الحاخامات هذا الأدب للحفاظ على الشعب اليهودي في التوراة وليس من أجل مناقشة الماضي فقط. لقد كانوا مهتمين بالمواضيع التشريعيّة والقوانين «الهلاخاه»، وكان التاريخ بالنسبة لهم يخص الشروحات «الهاجادا». وهكذا فإن التفاصيل التاريخية تأتي عادةً على شكل توضيحات لقضايا شرعية ولاهوتية وأخلاقية، وغالباً ما تكون ضمن مناقشات الحاخامات، وهذا يجعل تفسير المواد التاريخية أصعب ما يكون. ثانياً، نادراً ما يذكر التلمود الأحداث التاريخية في فترة الهيكل الثاني، أي في نهاية فترة ظهور يسوع. حيث كانت فترة اضطرابات متزايدة وصلت في نهاية المطاف إلى الحرب في عام 66 للميلاد. ثالثاً، إن هذه الأحداث القليلة المذكورة هي في الأرجح مشوّشة وغير مُعتمدة. وكما يبيّن «ساي كوهين» فإن إعادة السرد الحاخاميّ للتاريخ مضطّربٌ جداً وخاصّة ما يتعلّق بالفترة التي تسبق عام 70 للميلاد.

إنّ ما علمه الحاخامات عن الفريسيين في الفترة التي تسبق عام 70 للميلاد كان قليلاً جداً... وما رووه كان غالباً غير موثوق. رابعاً، ليس لدينا أية كتابات حاخاميّة من القرن الأول أو حتّى الثاني قبل الميلاد.

ومن ثمّ تجتمع هذه العوامل الأربعة لتجعل معرفتنا بالأعراف الحاخاميّة في القرن الأول للميلاد أكثر تعقيداً. ولإدراك هذه المشاكل بشكلٍ كامل، يجب على القارئ أن يتصوّر الصعوبات الكبيرة التي من الممكن أن تكتنف حالةً مشابهةً للمسيحيّة. وفي حال لم يكن لدينا أدب مسيحيّ على الإطلاق من القرنين الأول والثاني، ولم يكن هنالك كتابات لاحقة عنهما مثل كتابات «أوسيبيوس»، لما كنّا عرفنا إلاّ القليل عن مسيحيّة القرن الأول، حيث ستقتصر مصادرنا على القوانين المسيحيّة التقليديّة والمعاهدات والعظات التي تعود إلى القرن الثالث وحتّى القرن السادس.

إلى أيّ درجةٍ يلتزم الكتّاب الحاخامات من القرن الثالث وحتّى السادس في إعادة تقديم الأعراف الشفهية من القرون السابقة بما فيها زمن يسوع؟ سوف نتبع العمل المؤثّر لـ«جاكوب نيوسنر» في تبيان تاريخيّة الأعراف الحاخاميّة. ومثل معظم المؤرخين، يرى «نيوسنر» أنه كلّما كان العرف أقرب إلى الحدث كلّما كان أفضل. وفيما يخصّ المواد القديمة، يأخذ «نيوسنر» على محمل الجد الإشارات الموجودة في أقوال سلطاتٍ مسمّيات في مدرسةٍ وزمنٍ محددين. وغالباً ما يقبل «نيوسنر» الإشارات من شخصيّاتٍ حاخاميّة بعد عام 140 للميلاد على أنها روايات موثوقة لما قاله الحاخامات السابقون بالفعل. إنّ هذا الافتراض منطقيّ على أساس أنّ الحاخامات كانوا بشكلٍ جليّ ينقلون أقوالهم وإشاراتهم بدقّة. على أية حال، حتّى عندما يُعتبر تأريخ القول موثوقاً، إلاّ أنّ القيمة التاريخيّة لمحتواه تبقى عرضةً للشك.

وتظهر صعوباتٌ أخرى عندما ندرس هذا الأدب من أجل إشاراته إلى المسيحيين الأوائل، وخاصّةً يسوع. وقد كانت المسيحيّة بالنسبة للحاخامات الذين كتبوا أعرافهم في أواخر القرن الثاني حركةً هرطقيّة. وكان يسوع معلّماً هرطقياً قلّما كانوا يتحدّثون عنه، ربّما لعدم اكتراثهم به، أو لازدراءٍ تامّ له. وفي رأي البعض، فقد أدّى هذا النفور إلى إشاراتٍ قليلة إلى يسوع بالاسم. ويرى باحثون آخرون أنّ المعاداة المبكرة للمسيحيّة أدّت إلى إشاراتٍ متعددة إلى يسوع باستخدام ألقاب مهينة، مثل: «بن ستادا» أو «بلعام»، أو حتّى من خلال التعابير الحياديّة المبهمة، مثل: «شخصٌ ما». ومن ثمّ في بداية العصور الوسطى أصبح الخوف من الرقابة المسيحيّة على الكتابات اليهوديّة عاملاً مساهماً، فلن يؤدّي الذكر السلبيّ ليسوع إلى تغييرات قسريّة للنص فحسب، بل من الممكن أن يثير مضايقاتٍ محليّة أيضاً. وقد أدّى هذا إلى إشكاليات في النقد النصيّ للمخطوطات والنسخ المطبوعة من التلمود التي حُذف منها اسم يسوع أينما ظهر سابقاً.

عامل الصعوبة الأخير هو الاختلاف المستمرّ بين الباحثين على استخدام الكتابات الحاخاميّة لفهم العهد الجديد، وذلك على الرغم من التقدّم الحاصل في القرن الأخير. ومثال حديث عن هذا الخلاف يظهر في حوارٍ بين «لو إتش. سيلبرمان» و«رايموند براون». فوفقاً لـ«سيلبرمان» فإن «براون» مخطئ في إدّعائه أنّ نصّ التلمود البابلي (سنهدرين 43 أ . ب 9) يظهر أنّ اليهود القدماء اعتقدوا أنّ أسلافهم كانوا متورطين في موت يسوع، وحتّى أنهم كانوا مسؤولين عن ذلك. ويرى «سيلبيرمان» أنّ هذا النصّ لم يكن إلاّ استرداداً مبهماً... لحدثٍ بعيد. أمّا بالنسبة لـ«براون» فمن الواضح تماماً أنّ النصّ لا يقدّم معلومات موثوقة عن يسوع، لكنّه يشير بالفعل إلى أنّ بعض اليهود في أوائل القرن الثالث رأوا أنّ أسلافهم كانوا مسؤولين عن موت يسوع. كلّ هذه العوامل تجعل من الصعب دراسة يسوع لدى الحاخامات، لكن معظم الباحثين يعتقدون بأن هذه المهمة غير مستحيلة.

قبل الانتقال إلى النصوص نفسها، لا بدّ أنّ نلخّص التركيبة الرئيسية للكتابات الحاخاميّة، فقد تطور هذا الأدب عبر مراحل. المرحلة الأولى من الأدب الحاخاميّ كانت تُدعى « عصر التنائيم»([94]، وتمتدّ من القرن الأول قبل الميلاد وحتّى حوالي عام 200 للميلاد. النصّ الأساسيّ من الأدب التنائيميّ هو «المشنا»[95]. بعد أن قام الرومان بإخماد الثورة اليهودية عام 70 للميلاد، كانت مجموعة الفريسيين هي المجموعةَ اليهوديّة المنظّمة الوحيدة التي نجت. وبإذنٍ من الرومان، قامت هذه المجموعة بتنظيم حلقة حاخاميّة[96] في مدينة «يبنا»[97] على الساحل الفلسطينيّ، وكان قائدها الحاخام الأشهر في كلّ الأوقات «يوحنان بن زاكاي». وقد أخذوا على عاتقهم أن يبدؤوا بجمع الأعراف الفريسية القانونية الأقدم، والتي يعود البعض منها إلى القرن الأول قبل الميلاد. تمّت دراسة النصّ المطوّر من التوراة الشفهيّة، والذي يُعرف في العهد الجديد باسم «أعراف الأقدمين»، وبدأت عملية إعادة تنظيم القوانين. ومن ثمّ تولّى الأمر كلّ من الحاخام «أكيبا» والحاخام «مئير»، وتمّ تنظيم المواد ضمن مجموعاتٍ قانونيّة. بعد فترةٍ قصيرة من عام 200 تمّ إنهاء العمليّة على يد الحاخام «يهودا» الأمير الذي أشرف على إضافة مجموعة القوانين الدينية إلى المشنا، وبذلك انتهى عصر التنائيم.

وبما أنّ القانون ليس مادّةً جامدة، فإن عمليّة تفسير التوراة في حالاتٍ جديدة استمرّت بعد عام 200. وهنا ندخل الفترة الآموريّة من اليهوديّة الحاخاميّة، وهنا أصبحت المشنا نفسها موضوعاً لأحكام قضائيّة جديدة وتطورات لاهوتية. وتمّ تطوير اثنتين من الجمارا أو التعليقات، إحداهما كانت في فلسطين، والأخرى، وهي الأكبر والأكثر تأثيراً بالتأكيد، في بابل. في هذه الجمارا تمّ إضافة الأعراف الأخرى من عصرالتنائيم والتي لم تجد طريقاً إلى المشنا. ويعرف كلّ من هذه الأعراف

بـ«بريثا»، وهو العرف الخارج عن المشنا. وكانوا يبتدئون بشكلٍ نمطيّ وبصيغٍ ابتدائيّة،: مثل «أُعلمنا أنّ»، أو «علّمنا الحاخامات أنّ»، وفي بعض الأحيان يضاف اسم حاخام من الحاخامات.

وبالإضافة إلى بريثا، تمّ جمع أعراف تنائيمية أخرى لتشكّل «التوسفتا»، أو الإضافات. عندما جمعت الجمارا إلى المشنا كانت النتيجة مجموعتين من التلمود: التلمود الفلسطينيّ، ويدعى أحياناً بالتلمود المقدسيّ أو التلمود اليورشاليميّ، وقد تمّ إكماله حوالي عام 350م. والتلمود البابلي أو التلمود البافي، وهو الأكبر، وتمّ إنهاؤه عام 500م. والنوع الأخير من الأدب الحاخاميّ من هذه الفترة هي المواد الوعظيّة المعروفة باسم «مدراشم» أو التفسيرات. والمدراشم التنائيميّ هي عبارة عن تعليق على سفر الخروج «ميخيلتا»، وسفر الأولين «سفرا»، وعلى سفر الأعداد وتثنية الاشتراع «سيفر».

وحيث نبتدئ دراستنا للإشارات إلى يسوع في الأدب الحاخاميّ، لابدّ أن نشير إلى أنّ المدراشم التنائيميّ لا يحتوي على أية إشارات إلى يسوع، صريحةً أو مخفيّة. كما أنّ المشنا لا تحتوي أي إشارات صريحة إلى يسوع، والمرجّح أنه لا تحتوي إشارات مخفيّة أيضاً، كما سنرى لاحقاً. ولا بدّ لأيّ تفسير لهذا الأمر أن يكون على أساس «خلوّ الذكر»، لكنّ من الواضح أنّ الحاخامات الذين جمعوا المشنا قد اعتبروا يسوع شخصيّةً غير مهمّة لقوانين اليهوديّة في ذلك الوقت، حتّى بوصفه مثالاً توضيحياً لتلك الفترة.

في دراستنا هذه سنتعامل بالتحديد مع القسم التنائيميّ من أعراف التلمود البابليّ والتوسفتا، حيث يمكننا هنا أن نتوقع الأعراف الأقدم والموثقة أكثر عن يسوع. وقد تنوّعت نتائج الباحثين بشكلٍ كبير فيما إذا كانت النصوص التنائيميّة من الأدب الحاخاميّ تحتوي على أيّ إشارةٍ حقيقيّة إلى يسوع، فاعتبر «ر. ترافيرز هيرفورد»، في كتابه «المسيحيّة في التلمود والمدراشم»، عدداً كبيراً من الإشارات الضمنيّة والصريحة على أنها تنائيميّة بشكلٍ موثوق.

ومع أنّ «هيرفورد» كان انتقادياً إلى حدّ ما فيما يخصّ دقّة هذه الإشارات، فيبدو أنّه لم يصادف أيّ إشارةٍ إلى يسوع لم يُعجب بها. ومن الناحية الأخرى للموضوع، خَلُصَ «جون ماير» في كتابه «يسوع الناصريّ في التلمود» إلى أنّه لا يوجد أيّ إشارات أصليّة تنائيميّة أو آموريّة، حتّى في التلمود عندما أصدر لأول مرّة، لكنّها أضيفت إليه لاحقاً في العصور الوسطى. وتقع معظم آراء الباحثين بين هذين الرأيين المتطرفين، وسنتعامل مع بعض الأعراف الحاخاميّة اللاحقة هنا أيضاً. وبما أنّ الإشارات إلى يسوع، حالها حال كافّة مواد التلمود، مترابطة مع بعضها بشكلٍ كبير، فسوف نقوم بتقديم الأعراف كلّها في البداية ومن ثمّ دراستها معاً. إنّ تقديم هذه النصوص هنا سيكون

أشمل بقليل من الأسلوب القانوني التقنيّ والموجز للمواد الحاخاميّة في اللغة الأصل والترجمات الإنكليزيّة، لكنّها تبقى قريبة من صياغة وأسلوب الأصل.

نبدأ بالنصوص التي تُظهر الألقاب المُفترضة: «بن ستادا»، «بلعام» و«شخصٌ ما»، والتي يرى البعض أنها تشير إلى يسوع. إن النصوص الأساسية التي تتناول «بن ستادا» هي بريثا من التلمود والتوسفتا، حيث يتناول النصان الأولان موضوع الساحر الشرير. أمّا النصان الآخران المقابلان فيصفان مجريات محاكمة خاصّة قديمة لها علاقة بتطبيق قوانين التوراة.

أُعلمنا أنّ الحاخام «إليعازر» قال للحكيم: ألم يُحضر «بن ستادا» تعويذات من مصر بشكل جروحٍ على جلده؟ قالوا له: لقد كان أحمقَ، ولا يؤخذ دليلٌ من أحمق. إن «بن ستادا» هو «بن بانتيرا». فقال الحاخام «هيسدا» [309]: الزوج كان «ستادا»، والعشيق كان «بانتيرا». ولكن في الواقع الزوج كان «بابوس بن يهوذا»، والأمّ كانت «ستادا». الأمّ كانت «مريم» مزيّنة شعر النساء. وكما قُلنا في بومبديتا: «لقد كانت [خائنةً – stath da] لزوجها» (التلمود البابلي – شاباث 104ب).

الحاخام «إليعازر» شجب الجروح على الجلد، بينما سمح بها الحكيم الذي قال لهم: ألم يتعلّم «بن ستادا» إلا بهذه الطريقة فقط؟ أي عن طريق الجروح على جلده. قالوا له: هل سنقوم بالقضاء على كلّ الأشخاص الحكماء بسبب واحدٍ أحمق؟. (توسفتا – شاباث 11.15).

لقد أُعلمنا عن سائر الذين يستحقون الموت وفقاً للتوراة، أنهم لا يستخدمون القناع معهم، إلاّ في هذه الحالة، حالة المخادع المرتدّ. ولكن كيف يتعاملون معه؟ يضيئون له مصباحاً في الغرفة الداخلية ويضعون شهوداً في الغرفة الخارجية، بحيث يستطيعون أن يروه ويسمعوا صوته، وهو لا يستطيع أن يراهم. يقول له أحدهم من الغرفة الداخلية: أخبرني مرّةً أخرى بما قلته لي على انفراد. يقول له آخر: كيف لنا أنّ نتخلى عن إلهنا في السماء، ونمارس عبادةً مزيّفة؟ وإذا تاب، فكلّ شيء يجري على مايرام. أمّا إذا قال: إنه يجب أن نتخلى عن الله، فإن الشهود الذين يسمعونه من الخارج، في الغرفة الأخرى، يقومون بإحضاره إلى «بيت الحساب»[98] ورجمه. وهذا ما فعلوه لـ«بن ستادا» في ليدا، وشنقوه في اليوم الذي سبق عيد الفصح اليهوديّ (التلمود البابلي – سنهدرين 67).

فيما يخصّ كلّ الذين يستحقون الموت، وفقاً للتوراة، فإنهم لا يستخدمون القناع معهم، إلاّ في حالة المخادع. أما كيف يفعلون ذلك؟ فقد كانوا يضعون اثنين من أتباع الحكيم في الغرفة الداخلية، ويجلس المخادع في الغرفة الداخلية، ويضيئون المصباح كي يتمكنوا من رؤيته وسماع صوته. وهذا ما فعلوه مع «بن ستادا» في ليدا. فقد تمّ اختيار اثنين من أتباع الحكيم للقيام بهذا، وقاموا برجمه (توسيفتا – سنهدرين 10.11، قارن: التلمود اليورشليمي – سنهدرين 7.16).

ومن ثمّ تأتي النصوص الأساسيّة التي يُقال إنها تُقدّم يسوع بوصفه «بلعام»، النبيّ من غير بني إسرائيل، والذي يبرز بشكلٍ إيجابيّ في سفر الأعداد (22–24)، وبشكلٍ سلبيّ في (31:16)، وبعد ذلك في العرف اليهوديّ. فهو الذي قام باستخدام مجموعة نساء أجنبيات ليجذب الإسرائيليين إلى الفساد الأخلاقيّ والارتداد. وأيضاً يظهر «بلعام» بشكلٍ سلبيّ عبر العهد الجديد والكتابات الحاخاميّة على أنه مثال للخطر الخارجيّ على العقيدة. ويُعتقد أنّ النصّين الأولين من المشنا يتكلّمان عن يسوع، أما النصّ الثالث من التلمود «يسوع في جهنّم» فهو نصّ يشبه أسلوب الشاعر القديم دانتي، والنصّ الرابع من التلمود يتناول عمر «بلعام» عند موته.

وإجابةً عن السؤال: أي الإسرائيليين سيُقصون من العالم القادم؟ إنهم ثلاثة ملوك وأربعةٌ من العوام ليس لهم دورٌ في العالم القادم. الملوك الثلاثة هم: «يربعام» و«آخاب» و«منسّاه». والعوام الأربعة هم: «بلعام» و«دويغ» و«أهيتوفيل» و«جيهازي» (مشناة – سنهدرين 10.2).

عينٌ شريرة، وروحٌ متكبّرة، ونفسٌ فخورة هؤلاء من أتباع «بلعام» الشرير. يرث أتباع «بلعام» الشرير «جهنم»، وينزلون إلى حفرة الهلاك. وكما يُقال: لكن أنت، أيها الإله، ستنزلهم إلى حفرة الهلاك، سوف لن يعيش الرجال المتوحشون والمخادعون نصف أيامهم (المزامير 55:23. مشنا. آبوث 5.19).

أونكيلس ابن كالونيموس ابن أخ الإمبراطور الروماني «تيتوس»، الذي أراد أن يُصبح رجل دين، استدعى «بلعام» من عالم الموتى عن طريق استحضار الأرواح، وقال له: من الذي يُكرّم في هذا العالم؟ أجاب بلعام: «إسرائيل». قال: ماذا عن انضمامي إليهم؟ أجاب: سوف لن تسعى إلى سلامهم أو ازدهارهم في كلّ أيامك. قال له: ما هو عقابك؟ أجاب: أن يكون في مَنِي يغلي (سفر التثنية 23:6).

استدعى يسوع عن طريق استحضار الأرواح وقال له: من الذي يُكرّم في هذا العالم؟ أجاب يسوع: إسرائيل. قال: ماذا عن الانضمام إليهم؟ أجاب: اسع إلى خيرهم، ولا تسعَ إلى أذيتهم، إنّ أذيتهم تشبه أذيّة قرّة عينك. قال: ما هو عقابك؟ أجاب: «أن يكون في غائط يغلي». وكما قال أحد المعلمين: كلّ من يهزأ بكلمات الحكيم يُعاقب بغائطٍ يغلي (التلمود البابلي – جيتن 56ب– 57أ).

قال أحد المهرطقين للحاخام «حانينا» (232): هل سمعت من قبل كيف كان «بلعام» الكبير؟ أجاب: لا يوجد شيء مكتوب عن هذا [في المخطوطات المقدسة]. لكن مما هو مكتوب [في المزامير 55:23]، سوف لن يعيش الرجال المتوحشون والمخادعون نصف أيامهم، لا بدّ أنه كان في الثالثة والثلاثين أو الرابعة والثلاثين من العمر. قال المهرطق: لقد أجبتني بشكلٍ جيّد، لقد

رأيت قصّة «بلعام» وفيها كُتب: كان «بلعام» الأعرج في الثلاثة والثلاثين من العمر عندما قتله «فيناس – بينهاس» اللص (التلمود البابلي – سنهدرين 106ب).

وأيضاً يظهر يسوع تحت اسمه الفعليّ في التلمود: النصّ الأول هو نصّ آخر يعالج موضوع الإسرائيليين الذين لا يملكون مكاناً في العالم يأتون إليه. والنصّ الثاني هو نصّ موازٍ من التلمود المقدسيّ ولكنه لا يأتي على ذكر يسوع.

عندما كان الملك «ياناي» [76 قبل الميلاد] يقتل حاخاماتنا، هرب الحاخام «يشواع بن برحايا» ويسوع إلى الإسكندرية في مصر، وعندما حلّ السلام مرّة أخرى عادا إلى الوطن، فوصلا إلى حانةٍ لقيا بها ترحيباً حاراً. قال يشواع: كم هي جميلةٌ «أكسانيا»[99]! أجاب يسوع: أيها الحاخام، إنّ لها عينين صغيرتين. قال الحاخام «يشواع»: أيها الوغد، هذا ما تفكّر به؟ وبذلك أطلق أربعة مائة نفير وطرده. وكثيراً ما جاء يسوع وتضرّع أن يُسمح له بالعودة لكنّ الحاخام لم يكن ليستمع له. لكن في أحد الأيام، عندما كان الحاخام «يشواع» يرتّل صلاة «شماع» اقترب منه يسوع فأومأ الحاخام له، فقد قررّ أن يُرحّب بعودته، على أية حال، اعتقد يسوع أنه يأمره بالرحيل فرحل وبنى هيكلاً من الآجر وعبده. قال له الحاخام يشواع: عليك بالتوبة، لكنّه أجاب: لقد تعلّمت منك أنه لا يُعطى أيّ فرصةٍ للتوبة، لذلك الذي يُخطئ يقود الآخرين إلى الخطيئة. وقد قال أحد المعلمين: مارس يسوع الناصري السحر، وضلل بني إسرائيل. . . . لقد علّمنا حاخاماتنا: دع اليد اليسرى تُبعد، لكن دع اليد اليمنى تدعو إلى العودة دائماً، ليس مثل «إليشا» الذي أبعد «جيهازي» بيديه الاثنتين، وليس مثل «يشواع بن برحايا» الذي أبعد يسوع بكلتا يديه (التلمود البابلي – سنهدرين 107ب، قارن التلمود البابلي – سوتاه 47أ).

رغب سكّان القدس أن يعيّنوا «يهودا بن تاباي» رئيساً «للسنهدرين» في القدس، فهرب وذهب إلى الإسكندرية، لكنّ سكّان القدس كاتبوه فعاد. ولما استقلّ السفينةً قال: ماهو عيبُ «ديبورا» أكسانيا[100] التي استقبلتنا؟ قال له أحد أتباعه: أيها الحاخام، إن عينيها قبيحتان. أجاب: هنالك أمران سيئان فيك: الأول، ظننت بي السوء. والثاني، أنك عاينتها عن كثب. هل كنت أتكلّم عن مظهرها الخارجيّ؟ أم عن أفعالها (التلمود اليورشليمي شاغيجاه 2.2، قارن: التلمود اليورشليمي – سنهدرين 23س).

فيما يلي النصوص التي تتحدث عن «شخصٌ ما»، «أحدهم»، والذي عُرّف من قبل البعض على أنه يسوع. تقع الإشارة الأولى ضمن نقاش عن تعريف «ابن الزنا» الذي لا يتمتّع إلاّ بحقوق محدودة وفقاً لليهود:

قال الحاخام «شيمون بن عازاي»: لقد وجدت مخطوطةً عائليّة في القدس كُتب فيها: «شخصٌ ما» ابن زنا نتيجة لأنه انتهك حقوق أحد أقارب الزوجة (مشناة يباموت 4.13).

سألوا الحاخام «إليعازر»: ماذا عن «شخصٍ ما» في العالم القادم؟ قال لهم: لقد سألتموني عن «شخصٍ ما» فحسب. (التلمود البابلي – يوما 66 د، قارن: توسفتا – يباموت 3.3–4).

في بعض النصوص يهاجم يسوع بالتشنيع على أمّه:

قال الحاخام «يوحنان» عن بلعام: إنّه في البداية نبيّ، وفي النهاية إلهيّ. وقال الحاخام «بابا»، من القرن الرابع: هذا ما يقولونه: لقد كانت سليلةَ أمراء وحكّام، لكنّها كانت تغوي النجارين (التلمود البابليّ – سنهدرين 106أ).

روى الحاخام «بيبي بن أباجي»، من القرن الرابع، هذه القصّة عن شخصٍ مات قبل أوانه: بينما ملاك الموت معه قال لمساعده من الملائكة: اذهب وأحضر لي «مريم» مزيّنة النساء. فذهب المرسال لكنّه أحضر «مريم» معلّمة الأطفال. قال له ملاك الموت: قلت لك «مريم» مزيّنة النساء! فأجاب: سأرجع هذه. قال ملاك الموت: بما أنك أحضرت هذه، فدعها في عداد الموتى (التلمود البابلي، شاغيجاه 4ب).

وفي نصوصٍ أخرى يتمّ تقديم دعوة يسوع، معرّفاً بالاسم، وأتباعه بشكلٍ سلبيّ:

مارسَ يسوع السحر، وقام بتضليل إسرائيل (التلمود البابليّ – سنهدرين 43أ، قارن: توسفتا – شاباث 11.15، التلمود البابلي – شاباث 104ب).

قال الحاخام «هيسدا» [309] أنّ الحاخام «جيريمياه بن آبا» قال: ما هو ذلك الذي كُتب: لن يُصيبك أيّ شرّ، ولن يقترب أيّ بلاء من منزلك’ (مزامير 91:10). لن يصيبك أيّ شرّ أي أنّ الأحلام الشريرة والأفكار الشريرة سوف لن تغريك، ولن يقترب أيّ بلاء من منزلك. يعني أنه لن يقوم ابن أو تابع بحرق طعامه مثل يسوع الناصريّ (التلمود البابليّ – سنهدرين 103أ، قارن: التلمود البابليّ – بيرخات 17ب).

علّمنا الحاخامات أنّ يسوع كان لديه خمسة أتباع: «ماتاي»، «ناكاي»، «نيزير»، «بوني»، «تودا». أحضروا «ماتاي» إلى المحاكمة، فقال: «هل يجب قتل «ماتاي»؟ لأنه كُتب: متى يجب أن آتي وأظهر أمام الله؟ (المزامير 92:2). قالوا له: نعم، يجب أن يُقتل «ماتاي»، لأنه كُتب: متى يموت «ماتاي» فإن اسمه سوف يختفي (المزامير 41:5). أحضروا «ناكاي» فقال لهم: هل يجب قتل «ناكاي»؟ لأنه كُتب: «البريء [ناكاي] والتقيّ سوف لن تقتلوا (الخروج 23:7). قالوا له: نعم،

يجب أن يُقتل «ناكاي»، لأنه كُتب: في أماكن سرّية فإنه يقتل البريء (المزامير 10:8. التلمود البابلي – سنهدرين 43أ). ويتابع النصّ بشكلٍ مماثل مع «نيزير»، «بوني»، و«تودا».

أمّا محاكمة يسوع وموته فيتم تناولها في نصّ من التلمود، والذي دعاه «جي. لويس مارتين» عن استحقاق بـ: أشهر إشارة ليسوع في كلّ الأدب الحاخاميّ:

لقد أُعلمنا: في اليوم الذي سبق عيد الفصح اليهوديّ قاموا بشنق يسوع، خرج أمامه لمدّة أربعين يوماً منادٍ يقول: سوف يُرجم لأنه مارس السحر، وأغوى إسرائيل إلى الضلال. أيّ شخص يعلم أيّ شيء في مصلحته فليأت قُدماً ويُدافع عنه. لكن لم يُوجد أي شيء في مصلحته، وقاموا بشنقه في اليوم الذي سبق عيد الفصح اليهوديّ (التلمود البابلي – سنهدرين 43أ).

وأخيراً، فقد وُجد أنّه أشير إلى إعادة بعث يسوع في هذا النصّ:

بدأ بلعام حكايته الرمزيّة وقال: واحسرتاه، من سيعيش عندما يفعل الله هذا (العدد 24:23). قال الحاخام «شمعون بن لاكيش» [280]: ويلٌ له من يجعل نفسه حيّاً باسم الله! (التلمود البابلي – سنهدرين 106أ).

هذه هي الإشارات الأساسية ليسوع، الصريحة والضمنيّة، والتي ناقشها الباحثون على مدى القرن الماضي أو ما يقارب ذلك. فهل تشير بالفعل إلى يسوع؟ وإذا كانت كذلك، ما هي القيمة التاريخيّة لمعلوماتها؟

البداية مع الباحثين الحديثين الذين كانوا على حقّ بأن يتجاهلوا معظم الإشارات الرمزية إلى يسوع، وخاصّة «شخصٌ ما» و«بلعام» و«بن ستادا». فإن إشارات «شخص ما» مبهمةٌ بحدّ ذاتها بشكلٍ مقصود، بحيث أنها تشير تقريباً إلى أيّ كان. وترجمها البعض إلى: «شخص مجهول»، لكنّ هذه الترجمة تترك انطباعاً سلبياً بشكلٍ مضلل. بينما كلمة أحدهم لا تحمل أي دلالات سلبيّة في اللغة العبريّة لما بعد التوراة. كما أنه لا يتعامل جزء المشنا المتعلّق بـ«أبناء الزنا»، والذي يظهر في (مشنا – يباموت 4.13) مع أيّ أبناء زنا، بل مع أولئك الذين هم ذريّة أقارب، والذي يُعدّ أمراً ممنوعاً. إنّ الـ«شخص ما» الذي يذكره الحاخام «يشواع» كمثال هو نتاج لهذا الدنس. بينما لم تدّعِ جدليات يهوديّةٌ أخرى ضدّ يسوع أنه كان نتاج مثل هذه الخطيئة، وبذلك فإن هذه على الأغلب ليست إشارةً خفيّةً إلى يسوع. ويجب النظر إلى «مخطوطة العائلة» بالمثل، أي أنها ليست إشارة مصطنعه إلى سلالة المسيح في وثيقةٍ معاديةٍ للمسيحيّة، أو إلى إنجيل متّى المفسّر بشكل خاطئ. كما أنّ نصّ «إليعازر» غامضٌ على نحو مضلل، فلا شيء فيه يُشير إلى يسوع.

يعكس العدد الكبير من إشارات «بلعام» في العهد الجديد، كتابات «فيلون» واليهوديّة الحاخاميّة، عرفاً جدلياً طويلاً حيث يتمّ التعريف بالعديد من الأشخاص على أنهم «بلعام». حيث أنّ تطبيقها على يسوع هو أمرٌ واهٍ. وبالنسبة للمبتدئين فلم يكن «بلعام» إسرائيلياً، برغم التعريف المبهم به على أنه «إسرائيليّ من العامّة» في (مشناة – سنهدرين 10.2). إن كافّة الأعراف الحاخاميّة في كلّ مكان تدرك أن يسوع كان يهودياً، وكان «أبراهام جيغر» أول من حاجج «عام 1868» بأن اسم «بلعام» قد استُخدم للإشارة إلى يسوع، وذلك لأنه كان معروفاً أنّ «بلعام» ليس يهودياً. لكنّ «دويغ» أيضاً لم يكن يهودياً، وعندما لا يتمكن «ر. ترافيرز هيرفورد» أن يتجنب الاستنتاج بأن «دويغ» و«أهيتوفيل» و«جيهازي» يمثّلون «بطرس» و«يعقوب» و«يوحنا» على التوالي، أو «يهوذا الإسخريوطي» و«بطرس» و«بولس»، فإن هذا يُظهر أنّ الخيال الواسع قد تغلّب على المحاكمة السليمة. علاوةً على ذلك، لا يوجد شيء آخر في النصّ يقودنا إلى التفكير بيسوع.

يُظهر النصّ في (التلمود البابلي – جيتن 56–57)، والذي يعتبره «جوزيف كلوسنر» نصاً سابقاً، أنّ «بلعام» ويسوع هما شخصان منفصلان بشكلٍ واضح. إنّ موقفهما تجاه اليهوديّة متناقضان أيضاً، حيث أنّ «بلعام» يرى أن أونكيلس لم يتحول عن دينه، لكنّ يسوع يرى عكس ذلك، فمن الواضح أنّه تعلّم درسه. كلّ هذا يجعل من غير المحتمل أنّ يُفهم يسوع من خلال «بلعام» في هذه النصوص.

في نصّ لاحق عن «بلعام» من (التلمود البابلي – سنهدرين 106ب) يُقال: إنّ «بينهاس» اللص قد قتل «بلعام» في سنّ الثلاثة والثلاثين. قد يبدو هذا للوهلة الأولى إشارةً خفيّةً إلى أن «بيلاطس البنطيّ» يقتل يسوع في حوالي السنّ نفسه. على أية حال، فإن الرجل المدعوّ «بينهاس» هو شخصيّة إيجابيّة بشكلٍ كامل في العرف اليهوديّ، باستثناء وحيدٍ هو «بينهاس» أحد ابني «إلي» عديمي الفائدة. كما أنّ النصوص الحاخاميّة الأخرى، التي تشير إلى يسوع بشكلٍ تقريبي، أو تشير له بشكل مؤكّد، لا تعلم بمسؤوليّة الرومان عن موت يسوع. وبالتالي فإنّ هذا النصّ ليس إشارةً خفيّةً ليسوع.

ويخلص «كلوسنر» إلى أنّه في المراحل الآموريّة المتأخرة من التلمود يتمّ ربط يسوع بـ«بلعام»، ومن الخطأ إرجاع هذا الربط إلى عصر التنائيم على أنه عرفٌ موثوق عن يسوع. بالمجمل، بما أنّ «بلعام» كان نموذجاً تقليدياً عن النبيّ المخادع من خارج إسرائيل، فمن الطبيعيّ أن يُربط يسوع به، حيث أنّ حركته كانت تُعارض اليهوديّة من الخارج. وعلى أية حال، فإن هذا الدليل يُبعدنا عن الاستنتاج أنّ «بلعام» قد استخدم رمزاً للإشارة إلى يسوع في عصر التنائيم.

كذلك فلا يمكن أن يكون «بن ستادا» اسماً رمزياً ليسوع، لأن التعريف الصريح ليسوع على أنه «بن ستادا» يأتي في المرحلة الآمورية المتأخرة. تقول الأعراف الأولى المقدّمة آنفاً من التلمود المقدسيّ: أنّ يسوع قد رُجم، ويتوسّع النصّ الأخير من التلمود البابليّ في شرح هذا بالقول: إنّه قد شُنق في اليوم الذي يسبق عيد الفصح عند اليهود. علاوةً على ذلك، لا تتوافق المعلومات المقدّمة عن «بن ستادا» مع حقائق معيّنة من العهد الجديد وفي كافّة النقاط. فلا يوجد في أيّ مكان من العهد الجديد، أو في أي مكان آخر من الأدب الحاخاميّ، ما يشير إلى أنّ يسوع قد جُرّم من قبل شهود سريين. إضافةً إلى ذلك، لا يتناسب وصف «بن ستادا» هنا مع أعرافٍ حاخاميّة أخرى عن يسوع، وخاصّةً في التلمود البابلي (سنهدرين 43أ) المتعلّق بمحاكمته وموته. وهناك لا تتمّ محاكمة يسوع في «بيت الحساب»، ولا يُقتل في ليدا.

على الأغلب فإن «بن ستادا» ذهب وهو راشد إلى مصر ليتعلم فنون السحر من خلال الجروح على جلده، ويقد جُرّم بوصفه مهرطقاً عبر إجراءات الشهود السريين، ومن ثمّ ُحوكِم في «بيت الحساب» ورُجم حتّى الموت في ليدا. وعلى الأرجح فإنّ الرابط القويّ الوحيد بما جاء عن يسوع في التلمود هو عبارة: «وشنقوه في اليوم الذي سبق عيد الفصح اليهوديّ»، التي أضيف لاحقاً لتنطبّق جدليّة «بن ستادا» على يسوع. إنّ ذكر مصر على أنها مصدر القوى السحريّة هو أمرٌ مألوف بين الحاخامات، وهذه المعلومة تُشير إلى كون «بن ستادا» كان واحداً بين عدة أشخاص عوقبوا على ذلك. في أحد العوامل الذي لا يُلاحظ غالباً في النقاشات التي تتناول نصوص «بن ستادا» يُعامل سلوكه بتساهل نسبةً إلى مهرطق، ويخلص الحاخامات إلى أنّ كون «بن ستادا» قد وسم جلده فليس هذا سبباً لتجريم الجميع. إنّ هذا التساهل تجاه «بن ستادا» لا يميّز التوجّه الحاخاميّ نحو يسوع، الذي كان يُنظر إلى كامل سلوكه على أنه تهديد خطير.

حتّى الآن كانت نتائجنا سلبيّةً، لكنّ الاسم الرمزيّ المقترح الأخير: «بن بانتيرا» «أو بن بانديرا» يتطابق بشكلٍ منطقيّ مع يسوع، حيث يظهر هذا الاسم في التلمود مرتبطاً مع «بن ستادا» (التلمود البابلي – شاباث 104ب)، وفي النصّ المقابل في (التلمود البابلي – سنهدرين 64أ). يعكس النصّ الاضطراب فيما يخصّ هويّة «ستادا» الأب، هل هو زوج «ماري»؟ أم هو «ماري» نفسها؟ يستقرّ النصّ على الخيار الثاني معتمداً على التوافق في اللفظ مع قولٍ حاخاميّ معاصر يوضّح هذه النقطة، فقد دُعيت «ستادا» لأنها كانت «خائنةً – stath da» لزوجها. وقد أوضح النصّ فيما يخصّ «بانتيرا» على أنه عشيق «ماري» خارج إطار الزوجية، إلاّ أنه لا يقدّم أي وصف له. في الواقع، إنّ هذا العرف حول «بن بانتيرا» ضعيفٌ وإشكاليّ، حيث أنّ إشارات هذا النصّ إلى يسوع سوف تُعتبر على الأرجح غير موثوقة.

لدينا شهادة مستقلّة من «سيلسوس» حوالي عام 180 للميلاد مفادها: أنّ اليهود كانوا يخبرون حكايات عن حمل «ماري» بيسوع من جنديّ روماني يُدعى «بانتيرا». بينما يبقى هذا الاسم مُبهماً إلى حدّ ما، فإن اسم «بانتيرا»، كما يُشير السياق الذي ورد فيه لدى «سيلسوس»، يُشتقّ من ردّ الفعل الجدليّ تجاه الإدعاءات المسيحيّة بولادة يسوع من عذراء، «الأصل اليوناني للكلمة: parthenos». إنّ هذا الهجوم على أصل يسوع، والذي يعتمد على التورية اللفظيّة، يبدو طبيعياً بالنسبة للحاخامات كما توضّح العديد من النصوص المقدّمة سابقاً، والتي تعتمد على تلاعب لفظي لبعض الأسماء. وبعيداً عن ولادته من عذراء، يرى الحاخامات أنّ يسوع كان الابن غير الشرعي من علاقة زنا بين «ماري» و«بانتيرا».

وبالتالي لا يجب أن يكون له سُلطة دينيّة. ويُعتبر هذا الذكر الأول المؤكّد ليسوع باستخدام اسم مستعار في التلمود. وربّما لا يكون مبالغاً أن نعتقد أنّ هذا الاسم الرمزيّ المؤكّد عن يسوع كان نموذجاً قيست عليه أسماء أخرى، مثل: «بن ستادا» و«بلعام»، وتمّ معاملتها على أنها أسماء رمزيّة وتعريفها بيسوع.

لدينا نصّ تنائيميّ وحيد حول محاكمة يسوع وموته في (التلمود البابلي – سنهدرين 43أ). لا يقوم هذا النصّ بتسمية يسوع بشكلٍ صريح فحسب، لكنّه يقدّم معلومات أخرى تسمح لنا بالتأكيد أن يسوع هو موضوع النصّ. إنّ هذا الرواية القصيرة هي المعالجة الحاخاميّة الوحيدة الباقية لموت يسوع، وقد تمّ سبر مشاكلها إلى حدّ كبير في عدد من الدراسات، وسنقدّم هنا تعليقات موسّعة على قيمتها في فهم يسوع التاريخيّ.

يرتكز الموضوع الأساسيّ في (التلمود البابلي – سنهدرين 43أ) على الممارسة القانونية في إرسال منادٍ يعلن التهم الموجّهة ضدّ شخص متّهم بجريمةٍ كبرى، وليلتمس شهوداً للدفاع عنه. ويمشي الشخص المتّهم خلف المنادي، ويشير النصّ إلى أنّ يسوع ظل يتبع مثل هذا المنادي لمدّة أربعين يوماً، ويُتّفق عموماً على أنه يسوع الناصريّ، ويُقال إنّ هذا النشاط الذي استمرّ أربعين يوماً قد حدث قبل إعدام يسوع، والأرجح أنه حصل بين اعتقاله ومحاكمته. ويصوّر النصّ عمليّة بحثٍ طويلة عن الشهود، لكن لم يستطيعوا أن يجدوا أحداً، لأنه لم يكن هنالك أحد ليشهد. ونجد أنّ التباين بين هذا التقديم للإجراء العلني المطوّل، وبين تصوير الأناجيل الكنسيّة لمحاكمة يسوع السريعة والسريّة أمام السنهدرين أوضح ما يمكن أن يكون.

هنالك تباين أوضح فيما يخصّ الشهود في محاكمة يسوع. يروي اثنان من الأناجيل الكنسيّة كيف أنّ المجلس اليهوديّ بحث عن شهودٍ مزيفين للشهادة ضدّ يسوع في محاكمته، وكيف أنهم وجدوا العديد ممن لم يكن لهم تأثير (متّى 26:59–61، مرقص 14:55–59، قارن: لوقا

22:71). حتّى أن الشاهدين الأخيرين كانا غير فعّالين، ولذلك كان لا بدّ من إدانة يسوع عن طريق إفادته هو، وليس عن طريق شهادة الشهود. ويبدو النصّ التلموديّ في (التلمود البابليّ – سنهدرين 43أ) كأنه يصوّر سيناريو مختلفاً: أنّه تمّ البحث عن شهودٍ للدفاع، ولفترةٍ طويلة، لكنّ لم يوجد أحد ليشهد. وهذه إشارةٌ قويّة إلى وجود ردّ فعل تبريريّ تجاه الروايات المسيحيّة عن محاكمةٍ غير عادلة. وهنا لم يُحتجز يسوع بين عشيّةٍ وضحاها فقط، بل لمدّة أربعين يوماً، وهي فترةٌ من الزمن كانت تعني بالنسبة للجماعات الإنجيليّة القديمة الطول الكافي. وفيما يبدو فإن الجميع كان على علمٍ بموته الوشيك. لقد تمّ نقاش تصوير الأناجيل الكنسيّة لمحاكمة يسوع أمام السلطات اليهوديّة بشكلٍ كبير، فيما إذا كانت قد حدثت، وفيما إذا كانت علنيّة أو لا، لكنّ أحداً لم يُجادل أنّ الإطار الزمنيّ للنصّ التلموديّ: هل كان دقيقاً تاريخياً؟

كان مفاد التهمة التي وجّهت إلى يسوع أنه بواسطة السحر، الذي ربّما هو أعماله غير العاديّة، قد أغوى إسرائيل لتضلّ عن الله الواحد الحقيقيّ، وتتحوّل إلى عبادة آلهةٍ آخرين. هذه التهم كانت تهماً دينيّةً يهوديّة وليس لها أيّ علاقة بالحكم الرومانيّ، كما أنّ نصّ (التلمود البابلي – سنهدرين 43أ) يصوّر أنّ السنهدرين بنفسه يتولّى كلّ العمليّة من المحاكمة وحتّى الإعدام. حيث أنّ الضمير «هم» من البداية إلى النهاية يشير في السياق إلى أعضاء السنهدرين. و«الرجم» الذي يشير إليه المنادي هو العقوبة الإنجيليّة المفروضة، لكنّ الحاخامات كانوا على علمٍ بأن يسوع قد صُلب، ولم يُرجم، ولذلك فإن النصّ يشير في بدايته ونهايته إلى «الشنق»، وهي مقاربةٌ عبريّة آرميّة للصلب. إنّ هذا النصّ استثنائيّ حيث أنّه كتابة يهوديّة يكون فيها اليهود، وليس الرومان، هم الذين أعدموا يسوع على أساس تهمٍ يهوديّةٍ فقط، وعقب محاكمةٍ يهوديّةٍ فقط. ويمكننا أن نستنتج بثقة أنّ الحاخامات الذين كتبوا «بريثا» هذه لم يكونوا تحت أيّ ضغط مسيحيّ فيما يخصّ المسؤوليّة عن موت يسوع، وإلاّ لما كانوا ليرووها. ويبدو أنّه لا يوجد للنصّ أي صلة، مكتوبة أو شفهيّة، مع الأعراف الإنجيليّة المكتوبة، باستثناء: «في اليوم الذي يسبق عيد الفصح اليهوديّ». حيث تتفق هذه العلامة الزمنيّة مع تأريخ إنجيل يوحنا للصلب (19:14)، لكنّه لا يتطابق مع تعبير يوحنا: «يوم التحضير الذي يسبق عيد الفصح اليهوديّ». وكما يشير «جون مايير» فمن الأرجح أن هذه مصادفة وليست عرفاً مستقلاً. بالمجمل، تبدو هذا الرواية القصيرة شرحاً وتبريراً يهودياً داخلياً لكيفيّة الحكم بالموت على مجرم مشهور مثل يسوع الناصريّ، كما أنها تحذير ضمنيّ للبقاء بعيداً عن حركته.

النصّ الحاخاميّ الأخير المُشار إلى انه يتحدّث عن يسوع، بالأخصّ إعادة بعثه, هو (التلمود البابلي – سنهدرين 106أ)، وخاصّةً القول: «ويلٌ له من يجعل نفسه حيّاً باسم الله». يعود

النصّ إلى منتصف القرن الثالث، ما بعد عصر التنائيم. إنّ صلة النصّ بـ«بلعام» يضاعف الشكّ بكونه لا يحمل أيّ معلومات أوليّة عن يسوع. علاوةً على ذلك، وفي العرف اليهوديّ الأوسع، لا تصرّح النقاشات ضدّ إعادة بعث يسوع، ولا تُشير ضمناً، أنّ يسوع قد أحيا نفسه بالفعل بعد الموت.

يمكننا أن نُلخّص هنا أنّ نتائج بحثنا في الأعراف الحاخاميّة: لقد رأينا أنّ معظم النصوص التي تعود إلى عصر التنائيم والتي أعتُقد أنها تُشير إلى يسوع لا يمكن اعتماد أنها كذلك. فقط النصوص التي تُشير إلى يسوع باسمه، أو باسم «بن بانتيرا»، تعود إلى هذه الفترة. بالإضافة إلى أنّه بإمكاننا أنّ نتبيّن المعلومات حول يسوع والتي تتوافق مع الأعراف الموثوقة في العهد الجديد: ولد يسوع من «ماري»، يُدّعى أنه من سلالة الملك داوود، قام بمعجزات، كان له أتباع، وتمّ إعدامه. لكن في سياق العرض اليهوديّ ليسوع يتمّ تقديم العديد من المعلومات التي لا يمكن إيجادها في العهد الجديد ولا أيّ كتابات مسيحيّة أولى أخرى: كانت «ماري» مزيّنة شعر نساء، كان زوج «ماري» يُدعى «بابوس بن يهودا»، كان يسوع تلميذاً لدى أحد الحاخامات، ذهب إلى مصر بعد أن أصبح راشداً، تمّ طرده في أثناء حياته، كان له خمسة أتباع، حظي بإجراءات محاكمةٍ طويلة، وتمّ إعدامه من قبل السلطات اليهوديّة. وإذا لم يكن كلّ ذلك كافياً، فقد حظي يسوع بالتميّز المريب لكونه واحداً من اليهود القلائل الذين خسروا مكانهم في الجنّة بعد الموت. أمرٌ آخر ملفت هنا هو أنّ يسوع قد قُدّم في القرن الأول قبل الميلاد، وفي القرن الثاني للميلاد، لكنّه لم يُنسب أبداً إلى القرن الأول الميلاديّ.

لا يمكننا، كما اقترح البعض، أن نعيد بناء الأعراف التنائيميّة الأولى لتكون: «ألطف وأهدأ» تجاه يسوع. حيث أنّ كافة الأعراف سلبيّة منذ البداية، وتقوم بتصوير يسوع بشكلٍ مستمرّ على أنه ساحر ومخادع. تمكننا الدلائل الحقيقية من الإشارات الأكثر تأكيداً إلى يسوع من الاستنتاج أنّ هذه الإشارات هي ردّ فعل جدليّ تجاه الأعراف المسيحيّة، المكتوبة أو الشفهيّة. إنّ الإدعاءات بعدم شرعيّة يسوع وخاصّة التعريف به على أنه «بن بانتيرا» تفترضُ مسبقاً وجود عرفٍ مسيحيّ أوليّ ومطوّر فيما يخصّ عقيدة الحبل بلا دنس. ويمكن تفسير العرض اليهوديّ لاتهام يسوع ومحاكمته وموته في (التلمود البابلي – سنهدرين 43أ) على أنه ردّ غاضب على الإدعاء المسيحيّ القائل: بأن يسوع قد أتُّهم من قبل شهود مزيفين وعُجّل به إلى الموت.

كلّ هذا يطرح السؤال في كيفيّة حصول الحاخامات على هذه المعلومات عن يسوع؟ هل كان لديهم سلسلة مستقلّة من المعلومات عن يسوع يتناقلونها من الحاخامات القادة إلى الحاخامات الأتباع، وتعود إلى القرن الأول؟ تشير الدلائل إلى الإجابة بالنفي عن هذا السؤال. وعلى الرغم من عدم تيقننا بسبب قلّة وإشكالية الدلائل، فيبدو أنّه لم يكن لدى حاخامات القرن الثالث أيّ معلومات

عن يسوع تعود إلى القرن الأول. وبالإضافة إلى عدم اهتمام الحاخامات التقليديّ بالتاريخ والمعرفة المضطربة حول القرن الأول، فإن ما يقوله الحاخامات عن يسوع يبدو نتاج القرن الثاني على الأقل.

قد تمثّل بعض الأعراف الحاخاميّة المتعلّقة بيسوع ردود أفعال تجاه التبشير المسيحيّ في نهاية القرن الأول، وليس من زمن يسوع. قد رأينا كيف أنّ العرف المتعلّق بعدم شرعيّة يسوع، وقصّة «بن بانتيرا» المرتبطة بها، قد نتج عن عقيدة الحبل بلا دنس المسيحيّة. وهذه العقيدة لم تنصّ بشكلٍ صريح من قبل المسيحيين حتّى قرابة نهاية القرن الأول (متّى ولوقا)، ولكن حتّى في حينها لم يُعترف بها عقيدةً أساسيّة من قبل كافّة المسيحيين، على سبيل المثال: الكنائس اليوحنانية والبولسيّة[101]. كما يبدو أنّ عرض محاكمة يسوع وموته في (التلمود البابلي – سنهدرين 43أ) يمثّل الدحض اليهوديّ للأعراف المسيحيّة المتعلّقة بموت يسوع. ولا يمكن الادعاء أنه يمثّل معلومات مبكرة ومستقلّة عن يسوع، على الرغم من أنّ بعض الروايات السينوبتية تقول بوجود بعض القادة الفريسيين عند محاكمة يسوع.

إن كلّ المعلومات العامّة التي لدى الحاخامات عن يسوع يمكن أن تكون قد اشتُقّت من تبشيرات المسيحيّة، فقد أظهر المسيحيون يسوع على أنه صانع معجزات، وعَلِم الحاخامات أنّ المسيحيين استمرّوا بعمل المعجزات الشفائية أيضاً. وعند اعتراف الحاخامات بشكلٍ ضمنيّ بأن معجزات يسوع قد حصلت بالفعل، مثل معجزات بعض المسيحيين في زمنهم على الأقل، فإن الطريقة الوحيدة لتفسيرها يكون بالقول إنها تمّت باستخدام السحر «الشرير». كما أنّ إعدام يسوع وقيامه من الموت كانت نقاطاً أساسية في كافّة المواعظ المسيحيّة. ويتناسب وصف حياة يسوع بأنها «حياة مخادع» مع الفهم اليهوديّ النمطيّ للهرطقة في أوقاتٍ لاحقة.

أمّا معلومات الحاخامات الأكثر تحديداً والمُستقاة من العهد الجديد فلا تُظهر أيّ إشارة إلى كونها من القرن الأول بل إلى أنها نشأت من الخيال المبدع الذي انطلق بلا قيود في القصص الحاخاميّة. لقد افترض بعض الحاخامات أنّ يسوع كان تلميذاً حاخامياً فاشلاً، وأنه تمّ إعدام خمسة من أتباعه الأساسيين على يد السلطات اليهوديّة، مثلما أعدم هو أيضاً. كما تمّ طرد يسوع من قبل معلّمه، وأنه حوكم وأعدم من قبل اليهود فقط.

ربّما كانت أكثر الدلائل تأثيراً على عدم امتلاك الحاخامات معارف أولى مستقلّة عن يسوع هو فشلهم في نسبه إلى القرن الصحيح، علماً بأن سلسلة من المعلومات التي تعود للقرن الأول كانت ستصحح مثل هذا الخطأ. والتفسير الأمثَل لكافّة المعلومات الحاخاميّة عن يسوع يتمثّل

بكونها تعود إلى القرنين الثاني والثالث، وبينما تعكس هذه الأعراف آثار الجدليّة اليهوديّة ضدّ المسيحيين، في ذلك الوقت على الأقل، فإن استخدامها الرئيسيّ في الكتابات الحاخاميّة كان بلا شكّ من أجل تذكير اليهود بالسبب وراء اعتبار يسوع مخادعاً مرتدّاً، وبأن أتباعه مازالوا في الضلال.

توليدوت يشو: ما مدى قدم الجدل ضدّ وجود يسوع؟

سفر توليدوت يشو «كتاب قصّة حياة يسوع» هو إعادة سرد يهوديّة من القرون الوسطى لقصة يسوع من وجهة نظرٍ معاديةٍ للمسيحيّة. إنّ قصّة الأناجيل المسيحيّة لحياة يسوع هي التي شجّعت هذه القصّة المضادّة للأناجيل، والتي انتشرت بشكلٍ كبير وبعدّة نسخ في المجتمعات اليهوديّة في أوروبا والشرق الأوسط منذ القرن التاسع على الأقل. الهدف من هذا الكتاب الصغير كان تقوية المقاومة اليهودية ضدّ المسيحيّة، وخاصّة في الأوقات التي كانت فيها حملات الهداية المسيحية على أشدها. لا يمكننا تتبع الأصول الأدبيّة المؤكّدة لـ«توليدوت يشو»، فصيغها المختلفة تشكّل بمجملها حوالي دزّينة من النسخ الموجودة تحت عدّة أسماء: «أعمال ذلك الذي شُنق»، «أعماله وابنه»، «أعمال يسوع»، ومثال ذلك. بقيت «توليدوت يشو» تُطبع وتقرأ وتُعلّم بشكل غير رسمي حتّى العقود الأولى من القرن الثاني عشر. قال «جوزيف كلوسنر» عام 1902: «كانت الأمهات تَعلم أن محتواها هو من الإشاعات، وأنها قد خضعت بالتأكيد لكلّ أنواع التحريف والتغيير والحذف والإضافة الخيالية، ومع ذلك فقد نقلنها إلى أبنائهن».

لكن الحُكم الأقوى ضدّ «توليدوت يشو» كان من قبل «سولومون ستشيتشر» عام 1898، الذي قال: «إنّ كلّ الأمور المضادّة للمسيحية، والمجموعة من قبل متعصّبين [يهود] من العصور الوسطى، ومُجددة مرة أخرى من قبل الجهلة المعاصرين، تعود إلى القرون الماضية عندما فتح كل من التاريخ والسير الذاتية الطريقَ للأسطورة والخيال». وحتّى وقت قريب كان الباحثون اليهود والمسيحيون يولون اهتماماً متقطعاً لها، ربمّا بسبب محتواها العدائي وتوجهها الشعبيّ، أما الآن فقد اختفت كلّ استخداماتها الدينية، وخاصّةً مع تضاؤل المعرفة بالعبرية.

على الرغم من أنه لا يوجد نسخة واحدة معتمدة من «توليدوت يشو» إلاّ أنّ النسخة الأبرز كانت تلك التي نشرها «جون واغنسيل» عام 1681، وبما أن «توليدوت يشو» غير متوفّرة بسهولة فسوف نقتبس نسخة «واغنسيل» هنا حيث تكون دلالتها عن النسخ الأخرى. قد يُصدم المسيحيون الذين لم يُصادفوا هذه الكتابات من قبل بسبب محتواها الذي يُعدّ سلبياً تجاه يسوع أكثر من التلمود. لكن عليهم أن يتذكّروا أنّ الأشخاص الذين روَوا مثل هذه القصص كانوا أنفسهم عرضةً لقصصٍ معاديةٍ للساميّة، ولاضطهادٍ فعليّ أيضاً.

في عام 3651، أي حوالي 90 قبل الميلاد، في فترة حكم الملك «ياناي» حلّت مصيبةٌ كبيرة على إسرائيل، فقد ظهر رجلٌ ذو سمعةٍ سيئةٍ من قبيلة يهودا، كان اسمه «يوسف بانديرا»، وكان يعيش في بيت لحم في يهودا. بالقرب من منزله عاشت أرملةٌ وابنتها العذراء الجميلة «مريم»، كانت «مريم» مخطوبةً لـ«يوحنان» ذي النسب الملكيّ، وهو رجلٌ تعلّم التلمود ويخاف الله.

في نهاية أحد أيام السبت المقدّس، قام «يوسف بانديرا»، بجاذبيته ومظهره الفروسيّ، بالتحديق إلى «مريم» بشهوةٍ، ثمّ قرع باب غرفتها وخدعها بالادعاء أنه زوجها الموعود «يوحنان»، ورغم ذلك فقد صُدمت لهذا السلوك غير اللائق ولم تخضع إلاّ رغماً عنها. لاحقاً عندما جاء «يوحنان» لزيارتها عبّرت «مريم» عن دهشتها من شخصيته وسلوكه الغريب، وبذلك عَلِمَ كلّ منهما بجريمة «يوسف بانديرا» وخطأ «مريم» المريع. ومن ثمّ ذهب «يوحنان» إلى الحاخام «سيمون بن شيتا» وأخبره عن التضليل المثير الذي حصل، وبسبب نقص الشهود المطلوبين لمعاقبة «يوسف بانديرا»، وبسبب حَبَل «مريم»، غادر «يوحنان» إلى بابل.

أنجبت «مريم» ولداً ذكراً وأسمته «يهو شواع» تيمناً بأخيها، ومن ثمّ اختُصر هذا الاسم إلى «يشو». في اليوم الثامن تمّ ختانه، وعندما أصبح الولد كبيراً كفاية أخذته مريم إلى دار العلم ليتمّ تلقينه العرف اليهوديّ. في أحد الأيام مشى «يشو» أمام الحكماء ورأسه مكشوف، مما يدلّ على عدم احترامٍ مشين، ودار نقاشٌ فيما إذا كان هذا السلوك يُظهر أنّ «يشو» كان طفلاً غير شرعيّ وابن علاقةٍ نجسة.... وتمّ اكتشاف أنه كان الابن غير الشرعيّ لـ«يوسف بانديرا»، واعترفت «مريم» بذلك، وعندما أصبح الأمر معروفاً هرب «يشو» إلى الجليل الأعلى.

أتى «يشو» [إلى المعبد في القدس] وتعلّم أحرف اسم الله الأعظم، التي يستطيع المرء أن يفعل أي شيء يرغب به عن طريق استخدامها.... ومن ثمّ جمع حوله ثلاثمائة وعشرة رجال من إسرائيل، واتّهم أولئك الذين تحدّثوا بالسوء عن مولده بأنهم يرغبون بالعظمة والتفاخر لأنفسهم. أعلن «يشو» قائلاً: «أنا المسيح المُنتظر، وعنّي أنا تنبّأ إشعيا وقال: ترقّبوا عذراء ستنجب صبياً، وستدعوه باسم عمنوائيل. كما اقتبس نصوصاً مسيحيّةً أخرى ذكرها.

ثمّ أحضر له أتباعه رجلاً كسيحاً لم يمش في حياته، فألقى عليه «يشو» بأحرف الاسم الأعظم فشُفيَ، فبجّلوه بوصفه المسيح المنتظر، ابن الأعلى. وعندما وصلت أخبار ما حدث إلى القدس قرر المجمع اليهوديّ اعتقال «يشو»، وقاموا بإرسال رسولين: «آناني» و«أهازاي»، اللذين أدّعيا أنهما من أتباعه ودعوه إلى زيارة زعماء القدس.

قيّده الحكماء وقادوه إلى الملكة «هيلين»، متهمينه بأنه «مشعوذ يُغري الجميع». أجاب «يشو» قائلاً: «تنبّأ الأنبياء بقدومي قبل زمنٍ طويل». سألت الملكة «هيلين» الحكماءَ: «هل ما قاله موجودٌ في توراتكم؟» فأجابوا: «إنه موجودٌ في توراتنا، لكنه لا ينطبق عليه.... فهو لم يحقق الإشارات والشروط المنوطة بالمسيح المنتظر». عندها قام «يشو» بإعادة جثّةٍ إلى الحياة كانت قد أحضرت لاختباره، فقامت الملكة «هيلين» بإطلاق سراحه.

عاد الحكماء إلى الملكة حاملين نفس التهمة، وأرسلت الرسولين ليحضروه مرّةً أخرى، فوجدوه عندها يعلن نفسه ابن الله، وطلب من أتباعه ألاّ يقاوموا اعتقاله، وثمّ تلا الاسم الأعظم على طيور من صلصال فجعلها تطير، كما جعل حجر رحى تطفو على سطح الماء، ومن ثمّ طلب من الرسولين أن يعودا إلى الملكة ويخبراها بهذه الأشياء، وعندها ارتعشت من الدهشة.

رتّب الحكماء لـ«يهوذا الإسخريوطي» أن يتعلم أحرف الاسم الأعظم، وقام هو أيضاً بصنع المعجزات أمام الملكة، وجرت منافسة بينه وبين «يشو» في صنع المعجزات، وخلالها خسر كلّ منهما معرفته وقدرته على استخدام الاسم الأعظم.

ومن ثمّ اعتُقل «يشو»، فغُطيَ رأسه، وتمّ ضربه بأعواد الرمان، لكنه لم يستطع عمل أي شيء لأنه كان قد خسر المقدرة على استخدام الاسم الأعظم. ثم أخذوه إلى كنيس طبرية وقيّدوه إلى عمودٍ، وليخففوا عطشه أعطوه خلاً ليشربه، ووضعوا تاجاً من الشوك على رأسه. كان هنالك جدلٌ وهرج بين الحكماء وأتباع «يشو»، نتج عنه هروبه مع أتباعه إلى أنطاكية أو مصر، وبقي «يشو» هناك حتّى اليوم الذي يسبق عيد الفصح اليهوديّ، فقد قرر «يشو» أن يذهب إلى المعبد ويحصل على سرّ الاسم مرّة أخرى. وصل إلى القدس على ظهر حمار، ودخل المعبد مع أتباعه. واحدٌ منهم، وهو «يهوذا الاسخريوطي»، أخبر الحكماء أنّ «يشو» موجودٌ في المعبد، فتمّ اعتقال «يشو». عندما سألوه عن اسمه، أجاب بإعطاء الأسماء التالية: «ماتاي»، «ناكاي»، «بوني» و«نيتزر»، وكررها عدّة مرّات. وفي كلّ مرّةٍ كان يقتبس آيةً من الكتاب المقدّس، وكان الحكماء يردّون بآية.

حُكم على «يشو» بالموت في الساعة السادسة من اليوم الذي سبق عيد الفصح اليهوديّ، والذي كان يوم سبتٍ في ذلك العام. وعندما حاولوا شنقه على شجرةٍ انكسرت، وذلك لأنه، عندما كان يتمتع بالقوة، استخدم الاسم الأعظم ليعلن أنّ لا شجرة يمكن أن تحمله. لكنه أخفق بأن يعلن المنع فوق ساق الكرنب، حيث أنها كانت نبتةً أكثر منها شجرة، فعلّقوه عليها حتّى ساعة صلاة العصر، لأنه كتب في الكتاب المقدّس: أن جسده لن يبقى طول الليل على الشجرة، ودفنوه خارج المدينة.

في اليوم الأول من الأسبوع جاء أتباعه إلى الملكة «هيلين» ليبلغوها أنّ ذلك الذي قُتل كان المسيح المنتظر بالفعل، فلم تكن جثّته في القبر، لقد صعد إلى السماء، كما تنبّأ تماماً. تمّ البحث عنه بشكلٍ مكثّف لكنهم لم يجدوه في قبره حيث دُفن، لأنّ بستانياً كان قد أخذه من القبر، وحمله إلى حديقته ودفنه في الرمل تحت جدول يجري عبر الحديقة.

طلبت الملكة «هيلين» أن يحضروا أمامها جثّة «يشو» خلال ثلاثة أيام، وعندما رأى البستاني الحاخام «تانهوما» أخبره بما فعله، وذلك كي لا يسرق أتباع «يشو» جثمانه ومن ثمّ يدّعوا أنه صعد إلى السماء. أخرج الحكماء الجثّة، وربطوها بذيل حصان، ونقلوها إلى الملكة، مع رسالةٍ مفادها: «هذا هو «يشو» الذي افتُرض أنه صعد إلى السماء». وعندما أدركت أنّ «يشو» كان نبياً مزيفاً أغوى الناس وضللهم، سخرت من أتباعه لكنّها مدحت الحكماء.

هذه هي نهاية الجزء الذي يتناول يسوع في «توليدوت يشو»، وتستعرض الأجزاء الأخرى التي تليه في النصّ الأساسيّ أعمالَ أتباعه، ويوجد فصلان متممان يتناولان محاولات «نيستوريوس» لإقناع المسيحيين بإعادة إحياء العادات اليهودية، وقصّة «شمعون الصفا»، أو «بطرس كيفا»[102]، الذي يُخلط بينه وبين «بولس الرسول».

أمرٌ واحدٌ يهمنا هنا في تحليل هذا النصّ وهو مدى قدم ومصداقية أعراف «توليدوت يشو» بالنسبة ليسوع التاريخيّ؟ إنّ كلّ تحليل لهذا الأدب غير مؤكد بسبب عدم مقدرتنا على تتبع أصله وتاريخ معلوماته يقيناً. كما أنّ ما يُقال عن نسخةٍ من «توليدوت يشو» ليس صحيحاً بالضرورة عن نسخةٍ أخرى. على أية حال، فإن هنالك منحى وميلاً مشتركاً للقصة يظهر في كلّ نسخ هذا العمل، وهنالك عدد قليل من النتائج منها التي يتبعها معظم الباحثين الحديثين.

أولاً، تعود «توليدوت يشو» بصيغها الحالية إلى أوائل القرون الوسطى، وأول ذكر لوجودها ككتاب كان من قبل «آغوبارد» رئيس أساقفة ليون عام 826. ويبدو أنّ المحتوى قد انتقل بشكلٍ شفهيّ في القديم، وعندما جُمعت في كتاب في وقتٍ ما من أواخر العصور القديمة، أو على الأرجح في بداية العصور الوسطى، أصبحت أكثر سريّة بسبب محتواها المعادي للمسيحيّة. وحتّى لو افترضنا وجود صيغةٍ مكتوبةٍ أبكر من «توليدوت يشو»، فإنها لن تكون أبعد من القرن الرابع، وهو تاريخٌ متأخرٌ لتحتوي إشارات موثوقة عن يسوع. أمّا السوابق الشفهية، على الرغم من صعوبة تتعبها، فلا يبدو أنها تعود إلى أكثر من القرن الثاني.

ثانياً، إنّ «توليدوت يشو» مشهورةٌ بتوجهها، فهي تظهر الإغواء الذي حصل لعذراء جميلة، مشوباً بعنصر الاغتصاب، بالإضافة لمنافسةٍ بصنع المعجزات. كما أنها استخدمت الحسّ

التهكميّ، على سبيل المثال، صُلب يسوع على ساق نبات الكرنب، وأعطي له أربعة ألقاب دفعةً واحدة. وتظهر هنا الأمور السخيفة غير المحتملة على أنها وقائع حقيقية. على سبيل المثال: فإن رأس يسوع المكشوف يقود معلميه إلى الشكّ بأنه طفلٌ غير شرعي مباشرةً، كما أنّ ساق الكرنب تستطيع أن تحمل جسد يسوع، واستطاعت الملكة «هيلين» أن تتعرف على جثة يسوع بعد أن تمّ جرها على الأرض خلف حصان إلى المدينة وعبر شوارعها حتّى القصر. وإنه من الصعوبة أن نجد معارف القرن الأول في مناقشات شائعة أكثر منه في الأدب الحاخاميّ المقيّد.

ثالثاً، إن «توليدوت يشو» مشتقّة من مصادر أخرى، فهي تعتمد على الأناجيل الكنسية بشكلٍ كبير، وعلى أعمال الرسل والإنجيل العبريّ، كما أن بعض الأمور عن يسوع هي تعديل للإشارات التلمودية إلى يسوع المذكورة آنفاً. وتتمثل النقطة الأساسية لـ«توليدوت يشو»، والتي شددت عليها نسخة «واغنسيل» في المقدمة والخاتمة، بأن يسوع مضلِل ومهرطق، وهذه التهمة يمكن أن تعود إلى القرن الأول أو بداية القرن الثاني، كما يُظهر ارتباطها بالمعلومات الموجودة في كتابات «سيلسوس». كما أنها تتوافق تماماً مع كتاب «يوستونيوس» (حوار مع تريفون 17، 108)، حيث أنّ يسوع مخادع صُلب على يد اليهود، وقام أتباعه بسرقة جثمانه وخداع الآخرين بالإعلان عن إعادة بعثه. وكما هو محتمل، فإن هذه التهمة مستقاة من التلمود، وإن التحريفات التي حصلت عن التلمود ما هي إلاّ تعديلات شائعة متأخرة أكثر من كونها مواد قديمة أصليّة. ومعظم هذه المادّة الجديدة يعتبر جدلياً موجهاً ضدّ اثنين من العقائد المسيحيّة، وهما عقيدة الحبل بلاد دنس وعقيدة الصعود. وهما عقيدتان كانتا مهمتين في ذلك الزمن، لكنهما لم تكونا بالأهمية ذاتها في جدلية القرن الأول بين المسيحيين واليهود.

ولما كانت عقيدة الحبل بلا دنس العنصر الأبرز في الجدلية فهنا تبدأ «توليدوت يشو» بسرد الحادثة الشهوانية للحبل بيسوع، وتستخدمها لتفسّر مغادرة «يوحنان» خطيب «ماري»، وتجعل منها موضوع الحادثة الوحيدة التي تُذكر من شباب يسوع، ويقوم يسوع بالدفاع عنها مباشرةً في بداية نشاطه العامّ. تظهر التهمة اليهودية الأكبر ضدّ يسوع بأنه مغوٍ دينيّ ضمن سرد «توليدوت يشو» بالطريقة التالية: تمّ إغواء «ماري» لتنجب مغوياً. ويتمّ التركيز على صعود يسوع على حساب إعادة بعثه.

من المستبعد أن تقدّم لنا «توليدوت يشو» أيّ معلوماتٍ موثوقةٍ مستقلّةٍ عن يسوع، وذلك بسبب تاريخها الذي يعود للقرون الوسطى، وافتقارها لصيغةٍ محددة، وتوجهها الشعبيّ، بالإضافة لمقصدها الجدليّ. ومن الممكن أن تحتوي «توليدوت يشو» على بعض الأعراف القديمة من الجدلية

اليهودية القديمة ضدّ المسيحيين، لكننا لا نحصل على أيّ شيء جديد أو مهمّ منها. إنّ الإجماع الأكاديميّ محقّ في عدم اعتبارها مصدراً معتمداً عن يسوع التاريخيّ.

على الرغم من هذا الإجماع الكبير، فإن بعض الباحثين ما زالوا ينظرون إلى «توليدوت يشو» على أنها مصدر لمعلومات موثوقة عن يسوع. الأبرز بين الباحثين «جين سكابيرغ» ترى في كتابها التحريضيّ «عدم شرعية يسوع»، أنّ روايات العهد الجديد الأولى تتساعد وتبدأ بمسح العرف «الأكثر تاريخيّة» بأن يسوع كان في الواقع طفلاً غير شرعيّ. «توليدوت يشو»، القصّة الأشمل مما لدينا عن الفهم اليهوديّ لأصل يسوع، وعلى الرغم من أنها نتاج أزمانٍ لاحقة وأنها تجمع عناصر لاحقة، إلاّ أنه من الممكن أن تعطينا فكرةً ما عن القصّة أو القصص وراء العرف الحاخاميّ المتشعب، وحتّى وراء روايات العهد الجديد الأولى. تستخدم «سكابيرغ» «توليدوت يشو» في «نسخة واغنسيل» لتشير إلى أنّ «ماري»، على الرغم من كونها فتاةً عذراء، قد حملت بيسوع نتيجةً لكونها اغتُصبت، وليس كما يبيّن العرف السائد في التلمود وكتابات سيلسوس أن «ماري» كانت فتاةً فاسدةً حملت بيسوع بعد علاقةٍ قبل الزواج أو خارج إطار الزواج وعن رغبةٍ منها. لا تقدّم «سكابيرغ» أيّ دليل على أنّ معلومات «توليدوت يشو» قد تكون موثوقة، في وجه الإجماع الساحق القائل بعدم مصداقيتها، ولا حتّى بالاعتماد على متّى ولوقا.

أمّا «جيرد لودمان»، ناقد الأعراف الدقيق، الذي «مثل سكابيرغ» لم يكن مؤيداً للعرف المسيحيّ التقليديّ لعقيدة الحبل بلا دنس، فقد وصل إلى نتيجةٍ أفضل بناءً على معاينته الخاصّة لعقيدة الحبل بلا دنس، مفادها أنّ «توليدوت يشو» يمكن أن تُستبعد بوصفها مصدراً لمعلوماتنا عن الجدلية اليهودية ضدّ «ماري» ويسوع، وذلك بسبب محتواها وتأريخها المتأخر.

النتيجة

لقد وصلنا إلى مرحلةٍ نستطيع فيها جمع خيوط هذا الفصل، وسأقدم هذه الخيوط بنفس الترتيب التي قدّمت فيها نتيجة الفصل السابق حول الكتابات الكلاسيكيّة.

أولاً، يجب أن نلاحظ التنوع في المصادر اليهودية القديمة المقترحة، صحيحةً كانت أم خاطئة، التي تتحدث عن يسوع. على الرغم من أنّ عدداً من الكتّاب رأوا خلاف ذلك، إلاّ أنّ مخطوطات البحر الميّت ليست مصدراً لمعلوماتنا عن يسوع، حيث أنها لا تأتي على ذكره أبداً. وعلى أساس ما نعرفه عن المخطوطات التي لدينا، وبما أنّ جميع كهوف قمران قد نُقّبت بشكلٍ شامل حيث لا يُحتمل إيجاد أي مخطوطات إضافية، يمكننا أن نتوقع ببعض الثقة أنه لن يظهر أي إشارة صحيحة إلى يسوع من هذه المخطوطات في المستقبل. يتحدّث «يوسيفوس» عن يسوع مرّتين، ربّما بطريقةٍ وصفيّةٍ وحياديّة، ويقدّم لنا معلومات قيّمة عن يسوع من منظورين يهوديّ ورومانيّ. يتحدث الأدب الحاخاميّ عن يسوع إلى درجةٍ معيّنة، على الرغم من أن معظم النصوص التي يُزعم أنها تتحدث عنه بالرموز لا تفعل ذلك حقيقةً، أو أنها متأخرةٌ جداً بحيث يكون لها قيمةً تُذكر. قد تتضمن «توليدوت يشو» بعض الأعراف الشفهيّة عن يسوع والتي تعود إلى القرن الثالث. وبالمجمل، فعلى الرغم من أننا غالباً ما نقرأ أنّ المصادر اليهودية القديمة تحتوي القليل عن يسوع، فإن كافّة الكتابات الأساسية من الأدب اليهوديّ القديم منذ نهاية القرن الأول وإلى الأمام تذكره بطرقٍ معبّرة.

ثانياً، يمكننا أن نتساءل كما فعلنا مع الكتابات الكلاسيكية: لماذا ليس لدينا إشارات يهودية أكثر إلى يسوع؟ بالنسبة إلى العلاقات المسيحيّة مع الأديان الوثنية الكلاسيكيّة، فإن علاقة يسوع مع اليهوديّة كانت قضيّةَ أساسية بالنسبة للمسيحيّة، لكنّ المسيح لم يكن قضيّةً مهمّةً بالنسبة للمسيحيّة. خاصّة أنه في الوقت الذي كان من الممكن أن يجمع الحاخامات معلوماتٍ عن يسوع، كانوا مشغولين بأمرٍ ملحٍ أكثر وهو المحافظة على الدين اليهوديّ بعد القضاء على ثورة 66–70 للميلاد، والثورة الثانية في 132–135 للميلاد. ولم يبدُ التعامل مع أعراف يسوع في ذلك الوقت جزءاً مهماً من عملية الحفاظ على الذات، كما أنه كان من الممكن للحاخامات أن يتعاملوا مع المسيحيّة دون ذكر موجدها وهذا ما فعلوه.

يمكننا أيضاً أن نسأل مرّةً أخرى السؤال التالي: لماذا ليست الإشارات التي لدينا عن يسوع في الأدب اليهوديّ معاصرةً أكثر له؟ إن هذا سيزيد من قيمتها، وخاصّةً في ضوء المشاكل التي نواجهها في تأريخ الأدب الحاخاميّ و«توليدوت يشو». وعلى الرغم من أن القليل من مخطوطات البحر الميّت قد تكون معاصرة ليسوع إلاّ أنها لا تذكره.

كتب الفيلسوف اليهوديّ «فيلون»[103]، حوالي 25 ق م – 50 م، عن أحداث معاصرة في اليهوديّة لكنّه لم يذكر يسوع أبداً، على الرغم من أنّ «فيلون» شجب «بيلاطس البنطيّ» بحدّة للأسباب الوحشيّة ذاتها التي شجبه «يوسيفوس» عليها، إلاّ أنه خلافاً لـ«يوسيفوس» لم يذكر يسوع مثالاً على وحشية «بيلاطس» (السفارة إلى غايوس 299–305). مؤرّخٌ يهوديّ آخر عاش في زمن يسوع هو «جستس الطبريّ». لم تحتوِ كتبه التي فقدت الآن على أيّ ذكرٍ ليسوع (القديس فوتيوس بطريرك القسطنطينية، المخطوطة 13).

هنالك أربع أسباب تفسّر هذا الصمت للمصادر المعاصرة:

1- كان اليهود الذين علموا بأمر يسوع، لكنهم لم يقبلوه بوصفه المسيح المنتظر خاصّة مع مضيّ القرن الأول، ميالين لأن يكونوا أكثر عدائيةً تجاه المسيحيّة ومسيحها. حيث تشير بعض الدلائل أنّ حاخامات عصر التنائيم قد حاولوا، وإن يكن بدون حماسة، قطع أي اتصال مع المسيحيّة أو حوارٍ حول المسيح. وبكلماتٍ أخرى، حاولوا أن يحاربوا بصمت أيّ فتنةٍ مسيحيّة يمكن أن تكون تجاه اليهود.

إننا نعلم أنه بحلول القرن الثاني، عندما كانت الأعراف الحاخاميّة الشفهية تُجمع معاً، كان المسيحيون يعرفون بأنهم مجموعةٌ من «المهرطقين». وقد لا يُساعد هذا على التعامل مع أعراف يسوع التي تعود للقرن الأول بأي درجةٍ ملحوظةٍ، وخاصّةً بطريقةٍ حياديّة.

2- مثل معظم الكتّاب الكلاسيكيين، يبدو أنّ الكتّاب اليهود لم يعدوا يسوع مهماً إلاّ عندما أصبحت المسيحيّة تشكّل تهديداً لهم.

3- لم يكن الكتّاب اليهود اللاحقون مهتمّين بيسوع بحدّ ذاته، بل كانوا مهتمين بتوضيح لماذا يشكّل المسيحيون خطراً على اليهودية. وحتّى «يوسيفوس» يبدو أنه عرض يسوع على قرّائه الرومان لأنهم كانوا على علمٍ بحركته.

4- لم يكن الأدب الحاخاميّ موجّهاً إلى التاريخ بل إلى القانون الدينيّ. وبالنظر إلى كلّ هذه العوامل مجتمعةً ضدّ ذكر يسوع، فمن المدهش أن يكون لدينا هذا القدر من الإشارات اليهودية الموثوقة إلى يسوع.

النتيجة الثالثة تتمثل بأنه بالإضافة إلى أن الإشارات اليهودية إلى يسوع أكثر مما تقدّمه المصادر الكلاسيكية غير المسيحيّة، فإن المصادر اليهودية تتمتع بعمق أكبر في التعامل مع

الموضوع. حيث أننا نحصل على معلومات أكثر منها «دقيقة أو غير دقيقة» أكثر مما نحصل عليه من المصادر الكلاسيكية لتؤيّد المنحى الأساسيّ من المعارف حول يسوع الموجودة في العهد الجديد. وفيما يتعلّق بالمعارف الحاخاميّة، فإن السبب وراء هذا يمكن أن يُعزى إلى الحالة الجدلية لليهودية ضدّ المسيحيّة، حيث أنها كانت بحاجة إلى مادّةٍ تستخدمها ضدّ مسيح المسيحيّة. ونعلم من المصادر اليهوديّة أنّ يسوع كان الطفل الأول لماري (الحاخامات)، وكان له أتباع (يوسيفوس)، أو أنه جمع حوله أتباعاً (الحاخامات)، علّمهم وصنع المعجزات (يوسيفوس والحاخامات). تمّت محاكمته ومات إعداماً (يوسيفوس، الحاخامات). وإمّا أنّ اليهود وحدهم قاموا بمحاكمته وإعدامه (الحاخامات)، أو أنّ الرومان قاموا بذلك مع بعض المساعدة من قادة اليهود (يوسيفوس). ادّعى أتباع يسوع أنه قام من بين الموتى (الحاخامات)، وأنّ حركته استمرّت (يوسيفوس، الحاخامات). شقيق يسوع «يعقوب» كان شخصيّةً قياديّةً في القدس بعد موت يسوع (يوسيفوس). على الرغم من أنّ الحقائق الأساسية عن حياة يسوع كانت معروفة، إلاّ أنّ القليل جداً من تعاليمه قد ذُكر، إن كان ذُكر أيّ منها.

النتيجة الرابعة من المصادر اليهوديّة تتمثل بأن هذه المصادر، مثل الكتابات الكلاسيكيّة، لا تتناول يسوع بشكلٍ مستقلّ، لكنّها تراه عبر المسيحيّة. فحركة المسيحيّة كانت اهتمامهم الوحيد. وكما بيّنا سابقاً، فإن «فيلون» لا يذكر يسوع أبداً. وفي حين أنّ الجدل على أساس «خلوّ الذكر» هو أمرٌ صعبٌ دائماً، فإنّ التفسير المعقول لهذا الأمر أنه لا يذكر المسيحيّة أبداً فليس من الضروريّ أن يذكر موجدها، إذا كان يعلم بوجوده أصلاً. أمّا «يوسيفوس» فيذكر يسوع على أنه موجد حركة مازالت موجودة وبارزة في روما. ونادراً ما يذكر الأدب الحاخاميّ يسوع دون أن يكون المسيحيون ضمن الإطار، وغالباً ما يتعامل مع المسيحيين أكثر من يسوع نفسه.

في الوقت الذي بدأ الحاخامات يكتبون فيه أعرافهم، كانت اليهوديّة عدائيّةً تجاه المسيحيّة بشكلٍ علنيّ، ولا بدّ أنّ هذا الأمر أثّر على كتابة الحاخامات عن يسوع وما قالوه عنه. وبما أنّ الحاخامات التنائميين والأموريين قد رأوا أهميّة الشفاء والمعجزات الأخرى في المسيحيّة، مثال: (التلمود اليورشاليميّ – عابودة زاره 2.2، توسفتا تشولين 2.22–23)، فليس مفاجئاً أنهم صوّروا يسوع على أنه ساحر قبل كلّ شيء. أمّا بالنسبة إلى «توليدوت يشو» فهي هجومٌ أساسيّ على المسيحيّة عن طريق الهجوم على يسوع. بالمجمل، فإن يسوع يُرى من خلال الحركة التي أوجدها. في حال أنّ هذه الحركة لم تستمر حتّى نهاية القرن الأول، فلم يكنّ أيّ من «يوسيفوس» أو الحاخامات ليكتب عن يسوع.

وهذا يقودنا إلى النتيجة الخامسة. باستثناء «يوسيفوس» فإن العرف اليهوديّ كلّه سلبيّ تجاه يسوع. وبالفعل، خلافاً للغة «يوسيفوس» الوصفية والحياديّة والدقيقة، تظهر الأعراف الحاخاميّة أكثر سلبيّة، فليس للأعراف الحاخاميّة، والتي تمثّل الموقف اليهوديّ الأساسيّ، أيّ شيء إيجابيّ تقوله عن يسوع: لا مولده، ولا تعليمه، ولا حركته، فيسوع استحقّ عقوبته تماماً. ففي «توليدوت يشو» انطلقت الجدليّة الشعبيّة دون ضوابط.

سادساً، من الواضح أنّ الأدب الحاخاميّ لم ينجح في الحفاظ على جدليّةٍ يهوديّةٍ واحدةٍ أقدم ضدّ يسوع. يروي إنجيل متّى (28:11,15) الإشاعة: بأن أتباع يسوع سرقوا جثّته، وادّعوا زوراً قيامه من الموت، وينسب أصل هذه الإشاعة إلى الكهنة القادة وحكماء إسرائيل. ويورد متّى بشكل إجماليّ: أنّ هذه القصّة مازالت تُروى بين اليهود حتّى هذا اليوم (15). إن الإشكالات المهمّة لهذا النصّ من إنجيل متّى لا تؤثّر سلباً على نتيجته النهائية، وهي أنّ هذه القصّة كانت منتشرةً بشكل كبير بين اليهود على أنها جدليّة مناهضة لعقيدة إعادة البعث عندما كُتب هذا الإنجيل.

ومن غير المحتمل أن يروي إنجيل متّى، فكيف بالأحرى أن يبتدع مثل هذه القصّة المميزة المعادية للمسيحيّة ما لم تكن منتشرةً حينها. ربّما يقوم متّى بالتعميم إلى كلّ اليهود ما كان معروفاً في زمنه وفي منطقته، ربّما في أنطاكية في ثمانينات القرن الأول. على أية حال، إنّ هذه القصّة مرويّة أيضاً في كتاب «يوستونيوس» (حوار مع تريفون 108.2)، ربّما معتمداً على إنجيل متّى، ولدى «تيرتولين» في عمله (دو سبيكتاكيلوس 30.6)، وعلى الأغلب بدون الاعتماد على إنجيل متّى: على أية حال، لا يبدو أنّ يهودياً «سيلسوس» كان على علمٍ بها. إذاً على الأقل بعض أعراف القرن الأول عن يسوع، والتي كان من الممكن أن تكون مفيدة جداً للجدليّة اليهوديّة، لم تظهر في المراجع الحاخاميّة. إنّ أقلّ ما يمكن أن نستنتجه من هذا هو أنّ الحاخامات التنائميين لم يقوموا بأي محاولةٍ فيما يبدو ليكونوا شاملين في الحفاظ على جدليات أكثر قدماً معادية للمسيحيّة ونقلها. فعندما قاموا بذلك، كانوا انتقائيين في استخدامها.

سابعاً، لقد كانت الأعراف اليهودية حول يسوع سلبيّةً منذ البداية لكنّها أصبحت أكثر سلبيّةً وأكثر شموليّةً مع الوقت حيث كان النزاع بين الكنيسة المسيحيّة والكنيس اليهوديّ يشتدّ. قد يعكس منظور «يوسيفوس» الحياديّ، في حال كان صحيحاً، موقفاً يهودياً أولياً تجاه يسوع والذي لم يكن قد أصبح سلبياً بعد. وقد يكون من الأفضل تفسيره ببساطة على أنه موقفٌ غير اعتياديّ لكاتبٍ يهوديّ. فالجزء الأول من الأدب اليهوديّ: المشناه، لا يذكر يسوع على الإطلاق، على الرغم من أنّ بعض الأعراف المعاصرة تأتي على ذكره بشكل بسيط.

في المراحل الأولى من التلمود البابليّ كانت المواد المتعلّقة بيسوع متفرّقة، لكن في المراحل اللاحقة يبدو يسوع بشكلٍ أكبر، حيث تُربط به شخصيّاتٌ مثل «بلعام» و«بن ستادا». ومع أن نسخ «جوزيبون» من كتابات «يوسيفوس» لا تحتوي أيّ إشاراتٍ إلى يسوع، لكنّ نسخ «جوزيبون» اللاحقة تحتوي على هذه الإشارات[104]. الخطوة الأخيرة من الكتابات اليهوديّة حول يسوع هي «توليدوت يشو»، وهي العمل اليهوديّ الوحيد الذي يتناول يسوع بشكلٍ حصريّ، وهي تتناول يسوع بشكلٍ أوسع مما فعلته أي كتابات يهوديّة أخرى، لكنّها بكلّ المقاييس متأخرة جداً وجدليّةٌ بشكلٍ متطرف لتحتوي أيّ معلومات موثوقة.

النتيجة ما قبل الأخيرة تعود مرّةً أخرى إلى أولئك الذين مازالوا يجادلون بأن يسوع لم يوجد. تقدّم الإشارات إلى يسوع في العرف اليهوديّ حجّةً أقوى مما تقدّمه إشارات الأدب الكلاسيكيّ بأنّ يسوع وُجِدَ بالفعل، وأنّه قام بالأمور الأساسيّة التي روتها الكنيسة عنه. ربّما تكون بعض هذه الإشارات، كما رأينا لدى «يوسيفوس»، قد انتقلت بشكلٍ مستقلّ عبر الأعراف اليهوديّة من القرن الأول. وهذا بالتأكيد يشكّل الدليل الأقوى على وجود يسوع. ربّما لا تعكس المصادر اليهوديّة الأخرى معرفةً مستقلّة عن يسوع. ومع ذلك، إذا كان لأيّ أحدٍ من العالم القديم سبب لكره العقيدة المسيحيّة فهم الحاخامات. وبذلك كانت الجدليّة الأقوى ضدّ المسيحيّة تتمثل بجدالٍ ناجح بأن يسوع لم يوجد قطّ بل كان مجرّد إبداعٍ من المسيحيين الأوائل. غالباً ما يقوم أولئك الذين يرون أنّ المسيح كان إبداعاً من المسيحيين الأوائل بإعادة هذا الإبداع إلى أواخر القرن الأول، بعد أن كتب «يوسيفوس» عنه وفي الفترة التي كان الحاخامات يشرعون بالنقاش حوله. ومع ذلك، في المصادر التي درسناها في هذا الفصل، لا يظهر أيّ تلميح من جدليّة لا تاريخيّة يسوع. بدلاً من ذلك، تناولت كافّة المصادر اليهوديّة يسوع على أنه شخصيّة تاريخيّة. ومثل المناهضين الكلاسيكيين للمسيحيّة، قام الحاخامات و«توليدوت يشو» باستخدام الأحداث الحقيقية لحياة يسوع ضدّه. فقد اعتقدوا أنّ الحبل بيسوع كان غير عاديّ، وهو نتاج خطيئةٍ ما، وأنّه قام ببعض الأعمال المذهلة بواسطة السحر الشرير، وقام بتعليم أتباعه وأشخاص يهوديين الهرطقة، وأنه أُعدم عن استحقاق، بسبب خطاياه، وأنّ أتباعه ادّعوا قيامه من الموت خداعاً.

أخيراً، إذا أردنا وصف النظرة اليهوديّة تجاه يسوع بكلمةٍ أو عبارة واحدة، فماذا ستكون؟ العرف اليهوديّ الأساسيّ، الذي يعود إلى القرن الأول، والذي انتقل عبر العرف الحاخاميّ وعُدّل إلى استخدامٍ أكثر شعبيّة في «توليدوت يشو»، يتلخّص بأنّ: يسوع هو ساحرٌ ومخادع. لقد أوجد وقاد حركةً حاولت التضليل عن طريق الله الحقيقيّ الأوحد وتوراته. قام باستخدام الخداع والسحر للقيام بمعجزات عن طريق التعاون مع الشرّ. ومثل كلّ المخادعين، فقد حوكم عن استحقاق وأعدم

لجرائمه الدينيّة كما ينصّ الكتاب العبريّ المقدّس. «يوسيفوس» فقط يرى يسوع بطريقةٍ مختلفةٍ قليلاً، لكن بما يعكس عقيدته اليهوديّة وولاءه الرومانيّ.

الفصل الرابع

يسوع في مصادر الأناجيل الكنسية

في هذا الفصل سيتم الحديث عن الذين عايشوا يسوع في المصادر الافتراضية للأناجيل الكنسية، فقد حاول معظم الباحثين في هذه المصادر فهم كيفية استخدام مؤلفي الأناجيل لهذه المعايشة لتوضيح الأمور الخاصة التي أكدتها هذه الأناجيل، بالإضافة إلى أشياء أخرى. إن مادة هذا البحث تتعارض مع عنوان الكتاب، فهي داخل إطار العهد الجديد. ومع أن الأبحاث الأولى عن يسوع خارج إطار العهد الجديد لا تشير إلى المصادر الكنسية، فقد تعامل العلماء منذ نحو عام 1970 مع هذه المصادر كما لو كانت خارج العهد الجديد، أي، كمصادر مستقلة لمعرفتنا عن يسوع. فهي تثبت الأشكال الأولى للمسيحية، أو كما يصفها البعض: «تحركات يسوع» التي كانت موجودة قبل أو مع ظهور الأشكال الأولى للمسيحية.

سيتم البحث هنا في أربعة مصادر إنجيلية تعتبر شهوداً من خارج القانون الكنسي على يسوع. وتبدو مصادر مرقص الممكنة: مجموعات المعجزات، والخطب الرؤيوية، من ضمنها بداية سرد آلام المسيح، متباينة للغاية بالنسبة للباحثين العصريين، ولسنا بصدد النظر فيها هنا[105].

أولاً، سنناقش المادة الخاصة بلوقا: المعروفة بالمصدر «ل». ثانياً، سنناقش المادة الخاصة بإنجيل متّى: المسماة بـ «م». يحتوي «ل» على بعض المضامين السردية، إلا أن «ل» و«م» يحتويان على تعاليم يسوع. ومن ثم سننظر في المصدر الخاص بالإنجيل الرابع، الذي يدعى على نطاق واسع بـ: «مصدر الإشارات». ربما كان يشكل هذا المصدر أول إنجيل كامل شبيه بالأناجيل الكنسية، حيث يحتوي على تعاليم بسياق سردي وينتهي بموت يسوع وانبعاثه. أخيراً، سنكرس القسم الأكبر في هذا الفصل للبحث في «مصدر الأقوال المأثورة» لمتّى ولوقا، التي تحمل اسم: وثيقة «ق». إن هذا المصدر الافتراضي على وجه العموم، وليس على وجه الحصر، مؤلف من مادة

تعليمية. إن وثيقة «ق» ليست مصدراً أكثر تعقيداً من المصادر الأخرى فحسب، بل كانت أيضاً موضوعاً رئيسياً، تقريباً مركز العاصفة، بالنسبة للأبحاث المعاصرة التي تعنى بيسوع.

لن نركز على طريقة استخدام الأناجيل الكنسية لهذه المصادر الأربعة، بل ستكون مهمتنا بدلاً من ذلك فهم ما تخبرنا به هذه المصادر عن يسوع في الماضي. وسنعرض في كل قسم المصدر المقترح، بالإضافة إلى تلخيص تاريخ بحثه. ومن ثم سنعرض محتوى المصدر بشكل جدول، نظراً لطوله الذي يصعب إعادة تقديمه هنا بصورة كاملة. بعد ذلك، سنقدر صحته كمصدر محاكٍ للبحث الحديث ونبحث في رؤيته ليسوع.

«ل»: يسوع، المعلم والشافي الجبار

تقول المقدمة الآسرة لإنجيل لوقا: إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة، رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيء من البداية بتدقيق، أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس، لتعرف صحة الكلام الذي عُلمت به. (لوقا: 1: 1 – 4).

ماذا كانت تلك القصص الكثيرة المكتوبة التي كان لوقا يحاول تحسينها؟ لقد وجد العلماء جوانب كثيرة في هذه المقدمة الآسرة، لاسيما أسلوبها. فهي تتحدث عن موضوع هذا الفصل ضمنياً، أي مصدر خاص بإنجيل لوقا لا يتشارك فيه مؤلفو الأناجيل الأخرى.

في نظرية أصول الأناجيل السينوبتية التي يوافق عليها الجميع، أي «نظرية المَصْدَرَين»، استخدم المؤلف في إنجيل لوقا ومتّى مصدرين رئيسيين. المصدر الأول هو إنجيل مرقص، الذي يشكل ثلث إنجيل لوقا. فلوقا يتتبع نسق مرقص ويأخذ أجزاءً كبيرة من مواده التعليمية والسردية مع بعض الاستثناءات القليلة[106]. المصدر الثاني هو وثيقة «ق»، وهي عبارة عن مادة تعليمية تشكل نحو خُمس إنجيل لوقا. وقد يكون لوقا استخدم مجموعة شفهية أو مكتوبة من مادة خاصة بإنجيله، وتسمى: المصدر «ل»، حيث تشكل هذه المادة الخاصة جزءاً كبيراً من هذا الإنجيل، وتقدر بين ثلث إلى نصف الإنجيل. وتبدأ معظمها بتعاليم يسوع، كما تحتوي على بعض أهم الحكايات الرمزية: السامري الصالح والابن المسرف، والرجل الغني ولازاروس. كما تحتوي على قصص سردية بارزة: توبة زكّا، والخلاف بين مريم ومارثا على خدمة يسوع على نحو حقيقي، وامتنان السامري الأبرص.

لقد أظهر البحث في يسوع التاريخي إلى حد بعيد أصالة محتويات لوقا المميزة: التعاليم والقصص السردية على حد سواء. وتعود دراسة «ل» كمصدر للوقا إلى بداية القرن العشرين مع برنارد لويس وبول فين، اللذين كانا من بين الأوائل الذين قاموا ببحث شامل عن مصدر «ل». وعلى الرغم من أن بعض الباحثين قاموا بالبحث فيه من وقت لآخر خلال القرن العشرين، إلا أنه لم يكن موضوع بحث رئيسي. وكانت فرضية وجود إنجيل «بروتو– لوقا» جذابة للبعض، وغالباً ما كانت تطغى على «ل»، وقد اتجهت دراسة وثيقة «ق»، التي كانت تطفو إلى السطح، نحو حجب الدراسة في مصادر أخرى للإنجيل. ومع ذلك، ازداد الاهتمام بـ «ل» ازدياداً كبيراً منذ نحو عام

1980، حيث أدرك الباحثون بكل سهولة المحيط الخارجي لمادة «ل»: كل شيء في لوقا غير متماثل مع مرقص أو وثيقة «ق». وقد قالت قلة من الباحثين إن لوقا نفسه كتب جميع هذه المواد، لذلك لا تشير أي من محتويات تلك المواد إلى أي مصدر.

أولاً: لقد قدم هوارد مارشال أسباباً وجيهة تدعم عدم إمكانية الدفاع عن هذه النظرة المتطرفة[107]. أما على الطرف الآخر فقد وقف أولئك الذين يرون أن هناك علاقة وثيقة بين جميع أو معظم مواد لوقا الخاصة: سوندرغوت، في الدراسة الألمانية الأخيرة حول «ل»، وسوندركيل بين المصدر «ل»[108]. كما يتخذ معظم الباحثين الذين يفترضون مصدر «ل» موقفاً وسطاً عن طريق إسقاط تلك المقاطع التي يعتقد أنها كانت من تأليف الكاتب لوقا من المجموعة بأسرها. وغالباً ما يتم استبعاد تلك المواد التي ربما تطورت عن مصدر آخر، مثل القصص السردية عن الطفولة، أو القصص السردية عن آلام المسيح، أو القصص السردية عن القيامة. من هنا يدخل الشك، فبالنظر إلى كتّاب الأناجيل الكنسية، يُعتبر لوقا الكاتب الأكثر مهارة نظراً لقدرته الأدبية بصورة عامة، وفي مجال استخدام مصادره بصورة خاصة. إنه ليس كاتب «قص ولصق»، حيث يمكن وبكل سهولة تمييز المصدر «ل» الخاص به من خلال العمل الذي قام به.

لم تجمع الدراسات الأخيرة على وجود «ل»، حيث ينكر بعض العلماء أن المادة الخاصة بلوقا مستمدة من المصدر «ل». فعلى سبيل المثال، يؤكد هيلموت كوستر على الحجم الكبير وعدم تجانس المادة في الشكل، ويفكر في استبعاد فكرة وجود مصدر وحيد. كما يخلص أودو شينيلي إلى أن لوقا لا يمتلك المصدر «ل»، وذلك لوجود اختلافات لغوية ضمن المواد الخاصة، وكلها تحمل علامات العمل التحريري الخاص بلوقا... ويقف التفاوت في المواد وغياب مبدأ الترتيب الداخلي في وجه وجود مصدر مستقل للمواد الخاصة بلوقا. من ناحية أخرى، يقول إدوارد شفايتزر بوجود «ل» بالفعل، وذلك نظراً لـ:

1- تظهر في «ل» تشابهات مع أقسام موثوقة في كل من مرقص ووثيقة «ق».

2- يشير لوقا في مقدمته إلى العديد من الأسلاف المسجلين.

3- يضمّ المصدر المقترح موادَ لغوية مشتركة على نحوٍ واضح.

4- يحتوي المصدر على مواضيع موحِّدة، مثل: النساء، والفقراء، والنعمة الإلهية.

5- يختلف «ل» في ترتيب بعض مواده مقارنةً مع مرقص، وهناك انسجام مع متّى مقارنة مع مرقص.

6- تشير التعارضات في لوقا إلى مستويات مختلفة من الأعراف تتعدى ما استُخدم له كل من مرقص و«ق».

في البحوث الجارية على «ل»، تعد أطروحة كيم بافينروث التي نشرت في عام 1997، وكانت بعنوان قصة يسوع وفقاً لـ «ل»، من أشمل وأدق الأعمال. فبافينروث يقوم بفرز مصدر «ل» المترابط عن طريق التخلص من المواد التي ألفها كاتب الإنجيل أو قام بتحريرها، ومن ثم يحلل المفردات والأسلوب وخصائصها الشكلية ومضمون المادة المتبقية. ويخلص إلى أن: المادة «ل» فيها ما يكفي من أوجه الاختلاف عن نمط وشكل ومضمون لوقا، الذي يجعل من المحتمل أنه يشكل مصدر «ل».

وعلاوة على ذلك، يخلص إلى أنه مصدر مترابط وموحد. فـ «ل» يحتوي على عناصر شفوية قوية، ولكن من المحتمل أكثر أن لا يكون وثيقة. فقد كتبه يهود مسيحيون في فلسطين في الفترة الواقعة ما بين 40 و60 م. وتبقى بعض التساؤلات قائمة بشأن جهود بافينروث[109]، إلا أنه طرح أقوى قضية عن مصدر «ل» حتى الآن. لقد اخترت أن أستفيد من بحثه هنا، لأنه إلى حد ما يدل على نتائج فهم الآخرين لمصدر «ل»، ولأنه من المرجح أن يشكل أساس البحث القادم في «ل».

محتويات «ل» في لوقا التي حددها بافينروث هي كما يلي:

3: 10 – 14	وعظ يوحنا المعمدان
4: 25 – 27	معجزات إيليا للوثنيين
7: 11 ب – 15	يسوع يربي ابن أرملة في نايين
7: 36 – 47	مغفرة خطيئة امرأة مذنبة
10: 30 – 37 أ	قصة السامري الصالح
10: 39 – 42	نزاع مريم ومارثا، مريم على صواب
11: 5 ب – 8	قصة الصديق اللحوح
12: 16 ب – 20	قصة الغبي الغني
12: 35 – 38	قصة الحاجب
13: 1 ب – 5	تب أو مت

13: 6 ب – 9	قصة شجرة التين الجرداء
13: 10 – 17 ب	الشفاء في يوم السبت
13: 31 ب – 32	التحذير من هيرودس، استجابة التحدي
14: 2 – 5	الشفاء في يوم السبت
14: 8 – 10، 12 – 14	قصة اختيار مكان على الطاولة
14: 28 – 32	إحصاء الثمن
15: 4 – 6	قصة الخراف المفقودة
15: 8 – 9	قصة العملة المفقودة
15: 11 – 32	قصة الابن «المسرف» المفقود
16: 1 ب – 8	قصة المدير المخادع
16: 19 – 31	قصة الرجل الغني ولازاروس
17: 7 – 10	قل: «قمنا بواجبنا فقط».
17: 12 – 18	شفاء عشرة من مرضى البرص، السامري الشاكر
18: 2 – 8 أ	قصة القاضي الظالم
18: 10 – 14 أ	قصة الفريسي المرائي والعشار
19: 2 – 10	زكا يتوب

على افتراض أن هذه المحتويات تشير تقريباً إلى المصدر «ل»، فكيف يصور المصدر «ل» يسوع؟ أولاً، يسوع هو معلم أمين على نعمة الله الجوهرية والخالصة. فنعمة الله تغفر الذنوب، وتشفي أمراض الإنسان، وترجع أفراد شعب الله إلى الحظيرة. ويسوع هو نفسه وكيل هذا النشاط. فقد جاء للبحث عن الضالين وإيجادهم، وإعادتهم إلى شعب الله الذين قطعوا وعداً على عبادته.

وكان أول ما وجهت هذه النعمة إلى بني إسرائيل، ومن ثم تُدمِر حدود إسرائيل، وتبدأ رسالة يسوع بالخروج إلى العالم عندما يُعاد السامريون إلى الحظيرة (موجودة في 10: 30 – 37، 17: 12– 18). كما يعمل يسوع على جلب النساء إلى ملكوت الله حيث الحرية.

إن تعاليم المسيح فيما يخص الغنى هي، على الأقل في التجديد الذي قام به بافينروث، معتدلة بصورة ملحوظة. فإلى جانب قصة الرجل الغني ولازاروس، لا يؤكد يسوع على أي من فضائل الفقر ولا مخاطر الثروة، فقد قام لوقا بإضافة هذه التأكيدات، وقد يكون استمدها من وثيقة «ق».

ولا يفرض يسوع على حوارييه القيام بنشاط تبشيري فقير أو جوال، بل، يتم الإشارة إلى المجتمع المستقر الذي يتمتع ببعض الوسائل. بالإجمال، يصور «ل» يسوع على أنه: «معلم أخلاقي قوي أقام البرهان على مصداقية تعاليمه وكشف عنها من خلال أعمال الشفاء التي قام بها».

ومن الجدير ذكره أيضاً ما هو غير موجود في المصدر «ل» مقارنة مع الأناجيل الكنسية. أولاً، لا يوجد عناوين مسيحانيّة في هذا المصدر. فالمسيحانية الخاصة به ترد ضمناً في أفعال يسوع وتعاليمه، مع لمسات واضحة لإيليا في بدايتها (في 4: 25 – 27 و7: 11 ب – 15). هذا النوع من المسيحانية النبوية تتماشى مع بداية المسيحية اليهودية.

ثانياً، لا يصور «ل» يسوع على أنه منقذ معذَّب ومشرف على الموت، فـ «ل» يفتقر إلى سرد آلام المسيح، ولا يؤكد مضمونه هذا الدور. ومع ذلك، من الخطأ أن نخلص من هذا الصمت إلى أن المجتمع الذي استخدم «ل» لم يعرف بموت يسوع وقيامته، أو اعتقد أن ذلك الأمر ليس على أي درجة من الأهمية. فيمكن شرح هذا الصمت الذي يخيم على موت يسوع وقيامته بطرق أخرى، لاسيما إذا كان «ل» معداً ليكون فقط مجموعة تضم تعاليم يسوع بهدف إتمام قصة يسوع ككل. فيحتوي مرقص، وهو مصدر لوقا الرئيسي، على مواد غنية تتحدث عن هذا الموضوع كان لوقا قد استقى منها، المواد التي قد تكون استبدلت أي شيء يشير إلى موت يسوع كان قد ورد في «ل».[110] وعلاوةً على ذلك، يورد «ل» معارضة قوية ليسوع من جانب الفريسيين المرائيين ومعارضة قد تكون مميتة من جانب هيرودس.

هل «ل» هي الرواية الكاملة لمقصد يسوع ورسالته إلى المجتمع الذي استخدمه على الأرجح؟ يعتمد الجواب على شكل «ل» الذي تم تجديده انطلاقاً من المحتوى الخاص بلوقا، وعلى الطريقة التي اتصف بها أسلوبه. ففي التجديد الذي قام به بافينروث، يبدأ «ل» بيوحنا المعمدان

وينتهي قبل آلام المسيح. وقد استبعد من «ل» المادة الخاصة بلوقا مثل القصص السردية عن الطفولة (الفصول 1–2)، والنساء اللواتي كن عند الصليب وتبعن يسوع (23: 49)، ووصف ظهور يسوع بعد قيامته (24 : 12 – 49).

وعلى الرغم من أن تجديده لـ «ل» هو أقصر من جميع التجديدات التي قام بها أكثر النقاد الآخرين، إلا أن عنوان بافينروث يشير إلى اكتمال «ل»: قصة يسوع وفقاً لـ «ل». ومع ذلك لا يتعامل صراحة أو بأي شكل من الأشكال مع اكتمال «ل»، القضية التي ينبغي أن تبقى مفتوحة في أعمال البحث المستقبلية.

مادة متّى الخاصة: أهي مصدر «م» حول يسوع؟

عادة ما يتأثر قراء إنجيل متّى بسياق ومضمون عظته على الجبل في الفصول 5–7، فقد بدأ يسوع للتو بجمع حواريه (4: 18 – 22) وبإطلاق كهنوته العلني (4: 17، 23 – 25). وبعد الذِكر المقتضب لفكرة تعاليم يسوع، ملكوت السماوات (4: 17، 23)، قدم متّى لقرائه عظةً طويلةً معقدةً تفصّل رسالة يسوع، حيث يحتوي هذا الخطاب على بعض أبرز تعاليم يسوع وأكثرها تأثيراً: تطويبات، إعادة التفسير المعتمد لشريعة موسى، دعوات تحذر من النفاق، دعوات للإيمان بالله، «القاعدة الذهبية», بالإضافة إلى أمور أخرى.

لقد ساعدت تعاليم يسوع الواردة بمتّى في حصوله على مكانة الإنجيل الرئيسي في المسيحية. على سبيل المثال: على الرغم من أن متّى ولوقا يتقاسمان مادة مشتركة، إلا أن أغلبية المسيحيين في كل مكان يعرفون ويستخدمون الصيغة الخاصة بمتّى التي تتحدث عن السعادة الأبدية، وصلاة الله، والعظة على الجبل بصورة دائمة.

ويعود فضل القسم الأكبر من تأثير إنجيل متّى إلى حقيقة أنه يورد تعاليم يسوع التي تفتقد إليها الأناجيل الأخرى. فعادةً يتبع متّى ترتيب ومضمون لوقا عن أفعال يسوع في كهنوته وآلامه على حد سواء. وهناك استثناء وحيد هو أن متّى يورد معظم روايات مرقص للمعجزات في قسم واحد، الفصلين 8 – 9، ويختصر تلك الروايات إلى حد كبير. ونظراً للاستخدام الكبير الذي يقوم به متّى للوقا ليربط أفعال يسوع، تتضمن معظم المادة الخاصة به تعاليم يسوع. ولأسباب معروفة، تتعامل تجديدات «م»، وهو المصدر الافتراضي لمواد متّى الخاصة، بصورة حصرية تقريباً مع مواد التعاليم.

لقد تم القيام بثلاث محاولات رئيسية لاستبعاد المصدر «م». المحاولة الأولى كانت تلك التي قام بها ب.هـ.ستريتر في كتابه الذي كان عنوانه: الأناجيل الأربعة: دراسة في الأصول، فقد عرّف ستريتر «م» على أنه جميع المادة التعليمية الخاصة بمتّى، بما في ذلك مادة من الوثيقة «ق» مختلفة إلى حدٍ ما عن لوقا، وذلك لافتراض صيغة مختلفة لـ «ق» متأثرة بمتّى. وقد استبعد ستريتر التالي: المادة الخطابية من متّى 5 – 7، 10، 18 و23، قصتان من متّى 13، وأجزاء قصيرة من مادة متنوعة من الفصول 12، 15، 16 و19. هذا المصدر هو مصدر يهودي

مسيحي، لكنه ليس من الرعيل الأول للمسيحية، بل، يظهر ردة فعل على إنجيل مهمة بولس الخالية من أي شريعة. فقد قام ستريتر بوضعه في القدس وربطه بوجهة نظر يعقوب إن لم يكن بشخصه.

لقد قام تي. دبليو مانسون في دراسته الشاملة التي حملت عنوان: تعاليم يسوع، بالتحقيق النقدي على المصدر الرئيسي الثاني. فقد اتسمت طريقة بحثه بنفس الصفات الخاصة بطريقة ستريتر تقريباً، إلا أنه اقترح «م» أكثر شمولية وتقدم حيث اشتمل على:

1- تعاليم من مادة العظة على الجبل في الفصول 5-7.

2- تعاليم الحملة التبشيرية.

3- مادة متنوعة من الفصل 11.

4- قصص من الفصل 13.

5- مادة إضافية متنوعة من الفصول 15 و16.

6- تعاليم عن المعيشة مع الإخوة في الإيمان في الفصل 18.

7- وصية بخصوص الخدمة والجزاء من الفصول 19 و20

8- أقوال حول «الممتنعين» من الفصول 21 و22.

9- أقوال بحق الفريسيين المرائيين من الفصل 23.

10- تعاليم حول الإيمان بالآخرة من الفصول 24 و25.

ووفقاً لمانسون، اقتبس «م» من كنيسة تم إنشاؤها على أنها مدرسة تفسير ولديها علاقة حب وكره عميقة مع الفريسيين المرائين وتقاليدهم. وقد أعاد مانسون تاريخ «م» إلى الفترة الواقعة بين 65 و60 ميلادي، ومثل ستريتر، حدد موقعه في المجتمع اليهودي في القدس.

أما الدراسة الرئيسية الثالثة المنشورة في عام 1946 فقد كانت على يد جي. دي كيلباتريك بعنوان: أصول إنجيل القديس متّى. فقد خلص كيلباتريك إلى أن «م» كان مصدراً مكتوباً. واستخدم طريقة مشابهة للدراستين السابقتين ونظم دراسته الخاصة بالمادة «م» بأربعة أقسام: الخطاب، المهمة التبشيرية، مجموعة من القصص، ومناظرة ضد زعماء اليهود الدينيين. كما أرفق كيلباتريك موادَّ إضافيةً من سياقات أخرى واردة في متّى بأقسام الخطاب والقصص، إلا أنه لم يكن قادراً على إضافة الكثير من المتفرقات المتنوعة الخاصة بـ «م» إلى أقسامه الرئيسية الأربعة.

وبما أن دراسة كيلباتريك هي الدراسة الأشمل والأحدث لـ «م»، سأقوم بتلخيص محتواها هنا:

محتويات «م» في متّى:

أ. الخطاب	
5: 21 – 24، 27 – 28، 33 – 37، 38 – 41، 19 – 20، 6: 1 – 8، 16 – 18	تعاليم عن القتل، الزنا، القسم، عدم الثأر، الورع الحقيقي
من سياقات أخرى: 5: 23 – 24، 36	كن على وفاق مع المؤمنين الآخرين
من سياقات أخرى: 6: 7 – 8	صل بإيجاز وبترقب
ب. المهمة التبشيرية	
10: 5 – 6، 8 ب، 16 ب، 23، 24 – 25 أ، 25 ب، 41 (؟)	تعاليم خاصة بالحملة التبشيرية: توجه إلى اليهود فقط، أعطِ دون مقابل، كن حكيماً لكن بسيطاً، تجنب المضايقات حتى يأتي المسيح، تشبّه بمعلمك
ج. مجموعة القصص	
13: 24 – 30	الأعشاب الضارة بين سنابل القمح
13: 36 – 52	شرح قصة الأعشاب الضارة. الكنز المستور، اللؤلؤة ذات القيمة الكبيرة، شبكة صيد الأسماك، رجل الدين المتوجه نحو ملكوت السماء
18: 23 – 34	الخادم قاسي القلب
20: 1 – 15	العمال في كرم العنب
22: 2، 11 – 14	ضيف لا يرتدي ثوب الزواج
25: 1 – 10	إشبينات العروس الحكيمات والحمقاوات

آخر: 21: 28 – 32	رفض يوحنا المعمدان
آخر: 25: 31 – 45	الحكم الأخير
د. ضد زعماء اليهود الدينيين	
23: 2 – 3، 5، 7 ب – 10، 15 – 22، 24، 26 (؟)، 27	افعل كما يقولون وليس كما يفعلون، أفعال ريائية، حماسة التبشير الزائفة، القسم الزائف، تصفية البعوض وبلع الجمال، تزيين القبور
هـ. متفرقات	
5: 7 – 9 ربما 4 و10	تطويبات
5: 14، 16 – 17	أنتم نور العالم
6: 34	لا تهتموا للغد
7: 6، 13، 14، 15	ليس للحقراء لآلئ، البوابة الضيقة، الأنبياء الكذبة
11: 28 – 30	احملوا نيري الهين
12: 5 – 6، 7، 36 – 37	شيء ما أعظم من السبت، تُحكم بكلامك
15: 12 – 13	معارضة اقتلاع الفريسيين المرائيين
18: 10، 18 – 20	لا تحتقروا «أحد هؤلاء الصغار»، الربط والحل
19: 10 – 12	الخصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات

لقد قال كيلباتريك إن «م» كان مصدراً مكتوباً يتضمن مادة تعليمية فقط، وقد قام هذا المبشر بإضافة القصص السردية إلى إنجيل متّى. وقد عززت المادة المأخوذة من المصدر «م» حجم المضمون التعليمي الخاص الوارد في متّى. كما خلص كيلباتريك إلى وجود ضعف في الترابط

في المصدر «م»: «نظراً للافتقار إلى الروابط والقصص والسرد وأشياء أخرى، فتستحيل مشاهدة خطة المصدر وصفته الشكلية ككل.» كما يظهر صغر حجم «م»: 170 آية، وافتقاره إلى الترابط الداخلي والقصص السردية، أن «م» كان وثيقة بدائية. ولم يتأكد كيلباتريك من مكان وتاريخ والشخص الذي قام بتأليف «م».

على الرغم من عدم انبثاق صورة وحيدة ليسوع من المصدر «م»، إلا أنه يصفه إلى حد ما بالزعيم الآمر الناهي الذي أسس الكنيسة، وليس فقط جماعته البابوية. فيسوع يرسل أتباعه فقط لليهود، ويعيد تفسير شريعة موسى لتحقيق مقصده الأصلي، وأن معيار حكم الله سيكون هو الصواب في نهاية المطاف، أي تحقيق المطلب الداخلي للناموس كما فسره يسوع. فقد اقتربت نهاية العالم، ويسوع هو المبشر بذلك.

جاءت المحاولات الرئيسية الثلاث لعزل «م» في النصف الأول من القرن العشرين، ولم يتم القيام بأية دراسة مماثلة منذ ذلك الحين[111]، فربما تم تضييق البحث في «م» بسبب الرأي القائل بأن مادة متّى الخاصة تحتوي نسبياً على القليل من تعاليم يسوع الأصلية بالمقارنة مع مرقص أو وثيقة «ق». ونرى مع الأسف أن مانسون قد صاغ الأمر بصورة مؤكدة، وذلك عندما اقترح أنه ينبغي التعامل مع محتويات «م» بحذر لأنها عانت من الغش من جانب اليهود. وعندما يبدأ علماء العهد الجديد بالبحث عن يسوع التاريخي وتعاليمه الأصلية، فإنهم يتركون وراء ظهورهم «م» ومحتوياته.

ومع ذلك، تكون الدراسات صحيحة عندما تخلص، بالاعتماد على أسباب أخرى- إلى أن مادة متّى الخاصة لا تشير على الأرجح إلى أي مصدر، سواءً كان مكتوباً أو شفهياً أو مزيجاً من الاثنين معاً. فانعدام الإجماع على محتويات «م» وبنيته الأساسية ينشأ من التباين الكبير في المادة الخاصة بمتّى. فهذه المادة، التي هي ببساطة تختلف كثيراً في الشكل والمضمون، لا يمكنها الدلالة على كونها وثيقة واحدة، الأمر الذي من شأنه أن يجعلنا نتوقع أنها تحتوي على رسالة دينية وبعض الأنماط الأدبية الشائعة. فهذا الحكم موضّح في الدراسة التي قام بها كيلباتريك، حيث يقول إن نحو ثلث «م» هو إما مواد أخرى مرفقة إلى الأقسام الرئيسية، أو عبارة عن متفرقات متنوعة تبدو غير ذات صلة. وكما يقول أودو شينيلي: «إن مجموعة مواد متّى الخاصة ليست مجموعة موحدةً من التقاليد، بل تفتقد إلى الدوافع التنظيمية اللاهوتية بصورة ملحوظة، وبالكاد تكون مخصصة لدائرة واحدة من حاملي التقاليد.»[112] وعلاوة على ذلك وكما هو الحال مع لوقا، فإن من الصعب

التمييز بين مادة المصدر وبين التنقيح الذي قام به المبشر. إن التوجه اللاهوتي لمعظم مواد «م» قريب جداً، إن لم يكن مطابقاً، للنظرة الدينية لمؤلف إنجيل متّى.

وهناك دراسة متأنية لمادة الأقوال الخاصة في متّى قام بها «ماثيو ستيفنسون هـ بروكس» تميل إلى إثبات صحة هذا الاستنتاج بالنسبة لـ «م» ككل. ويقوم بروكس بعزل وتجديد الأقوال القصيرة في «م»، ويبين أن «م» يعكس تاريخ مجتمع متّى. ويخلص إلى أنه لم يكن هناك مصدر وحيد مكتوب للأقوال الواردة في «م»، وذلك للأسباب التالية:

1- هناك عدد قليل من الارتباطات التحريرية الملحوظة في الأقوال المجموعة لـ «م».

2- تُظهر اللمسات السردية الثانوية في الجمل والعبارات الانتقالية دليلاً صغيراً على أصله الذي يعود لما قبل متّى.

3- لا يُظهر أسلوب ومفردات أقوال «م» المعزولة جنس الوحدة النمطية لمصدر مكتوب. وهكذا، في حين أن بعض المواد قد تكون مكتوبة، يبدو أن معظمها كانت موجودة في التقاليد الشفوية وحدها. علاوة على ذلك، فإن مادة الأقوال التي ربما تعكس تاريخ ثلاثين إلى أربعين عاماً تشير إلى احتمالية عدم وصول المادة إلى متّى من مصدر واحد.

وعلى الرغم من أن بروكس لا يوضح هذا الاستنتاج بالتفصيل، فمن المعقول أن نفترض أنه إذا كانت أقوال «م» القصيرة لا تعكس مصدراً مكتوباً، فإن الشيء نفسه ينطبق على الأرجح على مجموعة متى الخاصة بأكملها. وبالتالي، في حين قد تكون بعض أجزاء مادة متّى الخاصة وصلت إليه من مصادر مختلفة، فإن الدليل لا يشير إلى أنه استخدم مصدر «م» الوحيد، سواءً كان مكتوباً أو شفهياً، الذي يحتوي على معظم مادته الخاصة. وعلى الأرجح، تعكس هذه المادة تاريخ منتصف إلى أواخر كنيسة متّى أكثر من كونه مصدراً سابقاً مستقلاً جاء إلى كاتب الإنجيل كما جاء «ل» إلى لوقا.

خلاصة القول: لا يوجد أي مصدر من خارج القانون الكنسي يشهد على يسوع التاريخي في مادة متّى الخاصة.

مصدر الإشارات للإنجيل الرابع: يسوع المسيح

يتراءى للقراء المتبصرين في الإنجيل الرابع وكأنه يشمل على نهايتين. الأولى، يوحنا: (20/ 30 – 31)، حيث يتحدث عن الإشارات، أو معجزات يسوع، التي كتبها المؤلف ليقنع قراءه أن يسوع هو المسيح. والثانية، يوحنا: (21 /24 – 25)، وهي على غرار الأولى حيث تؤكد على حقيقة شهادة الرسول الحبيب الواردة في الإنجيل الرابع، وتوضح بعبارة بليغة مبالغ فيها أن العالم لا يمكن أن يحتوي على الكتب التي ينبغي أن تكتب حول الأشياء التي قام بها يسوع. وقد ألمحت النهاية الأولى التي تؤكد على الإشارات ووصف الإشارات التي تشكل معظم إنجيل يوحنا (1– 11)، ألمحت للبعض في أن الإنجيل الرابع يحتوي على «مصدر الإشارات». كلمة المصدر «Source»، وهي باللغة الألمانية، «Quelle»، ومن هنا جاء الرمز التقليدي «SQ» الذي يرمز إلى مصدر الإشارات.

لقد بدأ نقد مصدر الإنجيل الرابع في أوائل القرن العشرين بعد مواصلة نقد مصادر الأناجيل السينوبتية. فقد قام علماء بارزون مثل: يوليوس فلهاوزن، ويلهلم بوست، موريس غوغيول، إدوارد شفايتزر، جوشيم يريمياس، ورودولف بولتمان، بالعمل على مصادر يوحنا. وكان التحليل النقدي الذي قدمه بولتمان عام 1941 شاملاً عندما علق على مصدر يوحنا، حيث استنفذ هذا المصدر، ولعقود عديدة، مزيداً من العمل الخلاق في هذا المجال. فقد افترض بولتمان وجود عدة مصادر، بما في ذلك مصدر الإشارات ومصدر آلام مستقل، وأعاد ترتيب محتويات يوحنا بصورة معقدة. وبالتنقيح المستمر من خلال إحدى وعشرين طبعة، ظل موقف هذا الكتاب الذي ينقد مصدر يوحنا مجالاً للمناقشة لمدة ثلاثين عاماً، وما يزال هذا الكتاب مهماً. فمنذ الحرب العالمية الثانية حتى نحو عام 1970 اكتفت محاولة بحثية محدودة للغاية بالكشف عن عمل بولتمان. كما لم يتم الإجماع على مصادر الإنجيل الرابع، مع استثناء رئيسي وحيد. فقد اتفق معظم نقاد المصادر وكثير من المعلقين مع بولتمان على أن بعض أساليب مصدر الإشارات تشكل أساس يوحنا. ومن ثم فتحت اثنتان من المحاولات الجديدة المسألة، الأولى: كانت عام1970 بقلم روبرت فورتنا، «إنجيل الإشارات: تجديد مصدر السرد الذي يشكل أساس الإنجيل الرابع». والثانية: كانت عام 1989 بقلم إيربن فون واهلد، «النسخة الأولى لإنجيل يوحنا: استعادة إنجيل الإشارات». حيث سيشكل هذان الكتابان أساس تحليلنا هنا. وسوف نقوم بوصف فرضية «فورتنا» ودراستها كونها المساهمة الرائدة

والأكثر نفوذاً في الآونة الأخيرة التي تنقد مصدر يوحنا، ومن ثم البحث في عمل «فون واهلد» باختصار.

محتويات مصدر الإشارات كما حدده «فورتنا» في يوحنا:

1: 6 – 7، 19 – 23، 26 – 27، 32 – 34	شهادة يوحنا المعمدان
1: 23 – 24، 35 – 50	تعميد التلاميذ الأوائل
إشارات يسوع	
2: 1 – 3، 5 – 11	الأولى: تحويل الماء إلى خمر
4: 46 – 47، 49 – 54	الثانية: شفاء ابن خادم الملك
21: 2 – 8، 10 – 12، 14	الثالثة: اصطياد السمك بكميات كبيرة
6: 1 – 3، 5، 7 – 14	الرابعة: إطعام الحشود
6: 15 – 22، 25	فاصل: السير على الماء والنزول الخارق على اليابسة
11: 1 – 4، 7، 11، 15، 4: 4 – 7، 9، 16 – 19، 25 – 26، 28 – 30، 40، 11: 17 – 20، 28، 32 – 34، 38 – 39، 41، 43 – 45	الخامسة: أخبار مرض لازاروس، الرحلة إلى يهودا، إيمان امرأة سامرية، قيام لازاروس
9: 1 – 3، 6 – 8	السادسة: شفاء الرجل الذي وُلد أعمى
5: 2 – 9، 14	السابعة: شفاء الرجل المريض منذ ثمانية وثلاثين عاماً
موت يسوع وقيامته	
2: 14 – 16، 18 – 19، 47، 53	تنظيف الهيكل، مؤامرة القتل

12: 1 – 5، 7 – 8	الدهن في بيت عنيا
12: 12 – 15	دخول المنتصر
متفرقات وُجدت في 12: 27، 13: 2 أ، 4 – 5، 12 – 14، 18 ب، 21 ب، 26 – 7، 37 – 8، 14: 31 ب، 16: 32 ب	العشاء الأخير
18: 1 – 5، 10 – 12	الاعتقال
18: 13، 24، 15 – 16، 19 – 23، 16 – 18، 25 – 28	يسوع في بيت رئيس الكهنة
18: 28، 33، 37 – 38، 19: 15، 18: 39 – 40، 19: 6، 12 – 14، 1 – 3، 16	المحاكمة أمام بيلاطس
19: 16 – 20، 23 – 24، 28 – 30، 25، 31 – 34، 36 – 42	الصلب والدفن
20: 1 – 3، 5، 7 – 12، 14، 16 – 20	القيام
20: 30 – 31	الخاتمة: «هذه الإشارات مكتوبة لتؤمنوا»

يقدم «فورتنا» مناقشة موجزة لطبيعة مصدر الإشارات، فقد كان هذا المصدر عبارة عن كتاب مكتوب، كما توضح خاتمته الموجودة الآن في يوحنا (20: 30 – 31). فهو إنجيل مثله مثل إنجيل متّى ومرقص ولوقا وحتى يوحنا فكلها أناجيل، فهو يقدم قصة مترابطة ليسوع من بداية كهنوته، مروراً بآلامه، إلى الخاتمة التي تنتهي بالقيامة. ويتم تقديم كل هذا على شكل رسالة للإيمان بها، كما توضح خاتمته. وبما أنه لا يحتوي على تعاليم متقدمة ليسوع، فهو إنجيل بدائي، إلا أنه يبقى إنجيلاً. إن مصدر الإشارات مصدر يهودي مسيحي نظراً للأسلوب ولاسيما المحتوى اليوناني الوارد فيه. فهو ليس لديه شك بقضية الوثنيين، وليس هناك خلاف بشأن الحفاظ على

شريعة موسى. وعلاوةً على ذلك، وعلى الرغم من أن «فورتنا» لم يوضح ذلك، إلا أن مقصده يشير إلى أن المجتمع الذي أنتج هذا الإنجيل كان على اتصال تبشيري نشط مع المجتمع اليهودي الكبير، حيث يصعب تحديد الطبيعة الاجتماعية لهذا المجتمع أياً كانت جذوره، قد يكون المجتمع الناطق باللغة اليونانية، الذي استخدم ذلك المصدر على أنه إنجيل، قد يكون موجوداً في أي مكان من العالم الهيلينستي. ولم يستطع «فورتنا» تحديد تاريخ مصدر الإشارات بأي قدر من الدقة، فقد تكون كتابته تمت قبل أو بعد التمرد اليهودي الأول 66–70م.

ووفقاً لفورتنا، كان القصد من مصدر الإشارات أن يكون بمثابة الكتاب التبشيري الذي يحمل هدفاً وحيداً ألا وهو الإثبات لليهود الذين قد يتحولوا إلى النصرانية أن يسوع هو المسيح[113]. ففورتنا يؤول عقيدة مصدر الإشارات على أنها مسيحانية بحتة، فمعجزات يسوع هي إشارات على وضعه المسيحاني، وقد جعل وصف آلامه في مصدر الإشارات «مسيحانياً» بإضافة أقوال يسوع التي تلفت الانتباه إلى موقفه المسيحاني. ويمنح مصدر الإشارات ألقاباً كثيرةً ليسوع مثل: المسيح / يسوع المسيح، ابن الله، حمل الله، ملك اليهود، الرب، إلا أن اللقب الأول يشكل محور الارتكاز بالنسبة لباقي الألقاب. وهناك تأكيد مستمر على حقيقة مسيحانية يسوع إلى درجة الاستبعاد الكامل لأي شرح لطبيعتها. وهذا من شأنه الإشارة إلى أن كلاً من مصدر الإشارات والمجتمع اليهودي الكبير الذي كان هدفاً للتبشير كان لديهما فهم مشترك لما تتطلبه المسيحانية، الفهم الذي تمحور بوضوح حول فكرة أن المسيح يثبت نفسه بالمعجزات. إن مصدر الإشارات هو في الواقع، إذا استخدمنا توصيف فورتنا: «ضيق» و«بدائي» بالمقارنة مع الأناجيل الكنسية. وربما يعود سبب ضيقه إلى غرابته وغرضه المنفذ بدقة: أي إقناع قرائه أن يسوع هو المسيح الذي ينبغي الإيمان به.

إن العمل الذي قام به إيربن فون واهلد عن نقد المصدر يؤكد على محاولات فورتنا تقريباً، فهو يسعى، كما يشير عنوان كتابه، إلى استعادة «النسخة الأولى» لإنجيل يوحنا، حيث ينطوي على هذه الطريقة اكتشاف الطبقات الأدبية في الإنجيل الحالي. ومن ثم يقوم فون واهلد بالاستفادة من «الفروق اللغوية» الأربعة، مثل المصطلحات المستخدمة للسلطات الدينية والمعجزات واليهود. وبعدها يقوم بتطبيق تسعة «معايير أيديولوجية» مثل: الصيغ النمطية للاعتقاد، ردة فعل الفريسيين على الإشارات، الانقسام في الرأي حول يسوع، ولاسيما «غلبة السرد». ويتبع ذلك المعايير اللاهوتية، بما في ذلك المسيحانية ومذهب الخلاص. أخيراً، يتم توظيف خمسة معايير متنوعة.

كما يقدم تحليله سبعاً وثلاثين وحدة تغطي كل مصدر فورتنا تقريباً، وتوسعه بنسبة تقارب الثلث. يحتوي إنجيل الإشارات هذا على مقاطع انتقالية أكثر من إنجيل فورتنا، كما يحتوي على علامات تنذر بموت يسوع. ويفسر فون واهلد خلفية المصدر وعقيدته بنفس طريقة فورتنا.

فالإشارات تلفت الانتباه إلى قوة يسوع وتولد الإيمان به لاسيما بين عامة الناس. كما أن مسيحانية المصدر ضئيلة إلى جانب وجود خلفية خاصة لتصنيف موسى. ويؤكد محور إنجيل الإشارات على أن يسوع هو المسيح، حيث يحدد فون واهلد مكانه في يهودا، نظراً للتأكيد على كهنوت يسوع هناك، وربما تكون كتابته قد تمت في الفترة الواقعة بين 70 و80 م في المجتمع اليهودي المسيحي. على العموم، ليست طريقة فون واهلد طريقة متطورة أو مطبقة بدقة كطريقة فورتنا، فعمل الأخير يبقى المحاولة الرائدة في فهم مصدر الإشارات.

لقد ذكر ريموند براون بدقة: «لا يمكن للمرء في العقود الأخيرة من القرن العشرين التحدث عن نهج مجمع عليه ليوحنا.» وعلى وجه الخصوص بين أولئك الذين يتمسكون بمصدر الإشارات، وليس هناك توافق قوي حول ما يحويه بالضبط. إن النقطة الرئيسية في انعدام التوافق هذا تثير المخاوف فيما إذا كان مصدر الإشارات يحتوي على سرد للآلام والقيامة. هل مصدر الإشارات فريد بين جميع المصادر التي سبقت المصادر الكنسية باحتوائه على مثل هذا السرد، أم أنه احتوى على الإشارات فقط التي قام بها يسوع خلال كهنوته؟

لقد قام كل من فورتنا وفون واهلد بإعادة تجديد كاملة لأناجيل الإشارات بسرد عن الآلام والقيامة، إلا أن العديد من العلماء لم يوافقوا على ذلك. فعلى سبيل المثال، افترض بولتمان وآخرون جاؤوا بعده مصادر منفصلة عن الآلام والقيامة. فالقليل القليل في النصف الأول من مصدر الإشارات الذي أعده فورتنا يشير إلى موت يسوع، والقليل القليل في النصف الثاني يشير مجدداً إلى النصف الأول. وعلاوةً على ذلك، بوضع فورتنا تطهير المعبد ومؤامرة القتل في بداية سرد الآلام، لا يظهر النصف الأول لمصدر الإشارات الذي أعده أي عداء ضد يسوع الذي من شأنه أن يؤذن بموته. إن انعدام الإشارة إلى موت يسوع وقيامته غريب حقاً بالنسبة للنصف الأول من إنجيل كامل، حتى ولو كان إنجيلاً بدائياً. أيضاً، يظهر النصف الثاني لمصدر الإشارات الذي أعده الصيغة التالية: «وهكذا، تم الإيفاء بالكتاب المقدس»، الأمر الذي لم يظهره النصف الأول. يبدو هذا التناقض غير معقول في حال كان مصدر الإشارات يشكل إنجيلاً كاملاً بسرد عن الآلام والقيامة. لماذا يجب على إنجيل إشارات الإصرار على أن آلام يسوع هي الإيفاء بالكتاب المقدس بدلاً من استخدام حجة دينية واضحة لإثبات مسيحانية يسوع؟ علاوةً على ذلك، قد تكون الإشارات السبع، وهو عدد الكمال الإنجيلي، التي قام بها يسوع، دلالة على أن مصدر الإشارات تعامل فقط مع كهنوت يسوع العلني ولم يتعامل مع آلامه وقيامته كذلك.

«ق»: يسوع، وكيل مملكة الله

لطالما لاحظ قراء الأناجيل أن متّى ولوقا يتشابهان مع بعضهما البعض في طريقة عرضهما لتعاليم يسوع، وأن مرقص يفتقد إلى الكثير من هذه التعاليم. فهناك العديد من القصص والمواعظ وأقوال يسوع في متّى ولوقا أكثر من تلك الموجودة في مرقص، والمادة التي يتشارك فيها كل من متّى ولوقا قريبة جداً في الصياغة. فمنذ العصور القديمة، كان هذا الأمر يُفسر بالقول بأن متّى كُتب أولاً (أولوية متّى)، وأن مرقص ولوقا قاما باستخدام متّى كمصدر لهما، موسعين فيه أو موجزين وفقاً لحاجاتهما. أما اليوم، فيؤكد معظم العلماء على أن مرقص كُتب أولاً (أولوية مرقص). وأن كلاً من متّى ولوقا قاما بالالتفات إلى مصدرين رئيسيين هما: مرقص و«ق» [114]. إن نظرية العلاقات الأدبية بين الأناجيل السينوبتية معروفة بـ: «فرضية المَصدَرَين».

يمكن تعريف وثيقة «ق»، بكل بساطة لكن بدقة، بأنه شبيه بجميع المواد المتطابقة والمشتركة بين متّى ولوقا وغير موجودة في مرقص. إن وثيقة «ق» في جميع مصادر الأناجيل هو إلى حد بعيد أهم دراسة في العهد الجديد. فقد تم البحث فيه دون انقطاع لأكثر من مائة وخمسين سنة، وأصبح منذ حوالي عام 1970 نقطة محورية، ربما النقطة المحورية للدراسات التي تبحث في يسوع التاريخي. في حين أن وجود «م» و«ل»، ومصدر إشارات يوحنا غير مقبول من الناحية التماثلية، وتجمع الغالبية العظمى من العلماء على اعتناق فرضية «ق».

في هذا الفصل سوف نقوم باختصار بذكر بدائل فرضية المصدرين مع فرضياتها لـ «ق»، كما سنذكر بإيجاز محتويات وثيقة «ق» ووصف الدارسة الأخيرة له. ومن ثم سوف نركز على مسألتين هامتين بالنسبة لدراستنا: هل تصور وثيقة «ق» يسوع على أنه معلم يهودي كلبي؟ وما هي أهمية موت يسوع وقيامته بالنسبة لوثيقة «ق» ومجتمعها؟ فاهتمامنا الأساسي في البحث في وثيقة «ق» يركز على وضعه المفترض بأنه مصدر يسوع التاريخي، المصدر المستقل والسابق للأناجيل.

هل كانت وثيقة «ق» موجودة حقاً؟ حالما يتم القبول بأولوية مرقص، حينها يمكن تفسير المادة المشتركة في متّى ولوقا بإحدى الطريقتين الرئيسيتين: إما أن الأول استخدم الآخر، أو أنهما استخدما مصدراً مشتركاً. بما أن متّى ولوقا لم يستخدم أي منهما الآخر، يتضح ذلك لأسباب عدة. بادئ ذي بدء، كما لاحظنا أعلاه، يملك متّى ولوقا على حد سواء قدراً كبيراً من المواد الخاصة بإنجيليهما. في حال استخدم أي منهما الآخر، فمنطقياً أن نتوقع وجود أقل القليل من المواد

الخاصة بكل واحد منهما. ومن ثم أيضاً، لا يتفق متّى ولوقا بالترتيب والصياغة بالمقارنة مع مرقص. ففي حال استخدم أي منهما الآخر، فإننا نتوقع المزيد من الاتفاق في الترتيب والصياغة في متّى ولوقا عندما يختلفان عن مرقص. أيضاً، إن المواد المشتركة بين متّى ولوقا ومختلفة في مرقص واردة بترتيب مختلف في متّى ولوقا، وعادةً ما يبدو شكل لوقا أقل تطوراً. فمتّى يحتوي على مادة الأقوال في خمس أجزاء رئيسية (متّى 5 – 7، 10، 13، 18، 23 – 25)، في حين أنها ترد في لوقا على نحو متساو تماماً (لوقا 3 – 9). يصعب شرح هذا التباين في التوزيع في حال استخدم أي منهما الآخر. أضف إلى ذلك، أنه ما أن يتم عزل المادة التي لا تعود إلى مرقص التي يتشارك بها كل من متّى ولوقا، حتى يظهر قدر كبير من التماسك الداخلي في الشكل والمضمون، أكثر بكثير من ذلك الوارد في «ل» و«م». أخيراً، لقد أسكت اكتشاف إنجيل توما في عام 1945 أولئك الذين زعموا أنه لا يوجد تشابه في بداية ظهور المسيحية بالنسبة لمجموعة أقوال يسوع التي تفتقد إلى إطار سردي. نظراً لهذه الأسباب ولأسباب أخرى، توصلت الغالبية العظمى من العلماء إلى أن متّى ولوقا استخدما على نحو مستقل مصدراً منفصلاً للمادة المشتركة التي لم يستمداها من مرقص.

وعلى الرغم من أن وثيقة «ق» تبدو وفق مصطلحات دوغلاس غولدر: «القوة الماحقة» في الدراسات الحديثة، فهناك ما لا يقل عن أربعة تفسيرات أخرى لأوجه الشبه في متّى ولوقا بالمقارنة مع مرقص الذي ينكر وجود «ق». التفسير الأول هو: «فرضية الإنجيلين»، التي اعتنقها بشجاعة وليام آر فارمر وزملاؤه، حيث تقول إنه تم كتابة متّى أولاً، ومن ثم استخدم لوقا متّى كمصدر رئيسي، وقام مرقص باختصارهما. التفسير الثاني هو فرضية المراحل المتعددة لـ م ي بويسمارد، حيث تفترض هذه النظرية المعقدة للغاية أن أربعة من المصادر المكتوبة الخاصة بمتّى ومرقص ولوقا و«ق» كانت قد شكلت بداية منهج الإنجيل. ومن ثم أصبحت اثنتان من هذه الوثائق: «مرقص الأوسط» و«متّى الأوسط»، وفقاً للمصطلحات التي أطلقها عليهما بويسمارد. وبعد ذلك، خرج لوقا الأول بمادة «ق» وبمادة متّى الأوسط. أخيراً، أثرت أجزاء من مرقص الأوسط بالأشكال الراهنة لمتّى ولوقا، ويستخدم شكل مرقص الحالي لوقا الأول ومتّى الأوسط. وتعود الفرضية الثالثة إلى دوغلاس غولدر الذي قال: إن لوقا استخدم إنجيل متّى ودمجه بإنجيل مرقص، حيث يرى غولدر أن مادة لوقا الخاصة هي تطوير قام به لوقا لمتّى، ويقول أيضاً في أن كلاً من مادة متّى الخاصة وما يسميه الآخرون بـ «ق» هو تطوير قام به متّى لمرقص. ووفقاً لنظريته، فإن «ق» غير ضروري، لذا ينكر غولدر وجوده. ويقوم غولدر هنا بتوسيع أعمال أوستن فارير. أخيراً، حاول «بو ريك» شرح التوافقات الموجودة بين الأناجيل السينوبتية، بما في ذلك ما يسميه الآخرون بـ «ق»،

على أنها عبارة عن خطوط متوازية ناشئة عن تقاليد شفوية وليست ناشئة عن وثائق مكتوبة. فلم يكن مؤلفو الأناجيل على اتصال مع بعضهم بعضاً أو مع مصادر أخرى مكتوبة مثل «ق».

لقد رفضت أغلبية العلماء عن وجه حق هذه النظريات البديلة معتبريها غير كافية، حيث تعتمد اثنتان من الفرضيات، فرضيتا فارمر وغولدر، على أولوية متّى. فاحتمالية كتابة متّى أولاً أمر ممكن، لكن ليس بمقدور نظرية أولوية متّى تقديم التفسير الكافي لسبب استخدام مرقص لمتّى بهذا الشكل الغريب للغاية: توسيع بعض مواد متّى بصورة كاملة، وفي نفس الوقت حذف أجزاء أخرى جذرياً، كحذف أكثر من نصف تعاليم يسوع الواردة في متّى. كما لا تفسر نظرية أولوية متّى سبب كون الكثير من مواد لوقا مواد خاصة، وأن هذه المادة التي تمثل تطوير لوقا لمتّى بكل بساطة غير ذات مصداقية، نظراً لاختلاف المضمون والأمور التي تشدد عليها. بالإضافة إلى ذلك، فقد طُبعت فرضية بويسمارد في أذهان العلماء على أنها معقدة أكثر من اللازم، وتشكل انتهاكاً لمبدأ أهل العلم القائل في أن التفسير الأبسط هو الأفضل. فقد توصل بحق معظم العلماء بشأن نظرية ريك إلى أنه لا يمكن للتطور الشفهي وحده لتقاليد يسوع تفسير درجة التشابه الحرفي الكبير بين الأناجيل السينوبتية.

أما فيما يتعلق بالنتيجة الطبيعية لريك في أن مؤلفي الأناجيل لم يستخدموا مصادر مكتوبة، يشهد (لوقا 1 : 1 – 4) صراحة بأن المؤلف عرف مصادر أخرى، مما يجعل من الممكن استخدامه لها. لذلك، يتم تفضيل نظرية المصدرين بفرضيتها لـ «ق»، على الرغم من بعض المشاكل العالقة، على الفرضيات البديلة الأربع بوصفها الأبسط والأفضل تفسيراً لأصول وعلاقات الأناجيل السينوبتية. إن قضية «ق» أقوى بكثير من أي نظرية منافسة خاصة بعلاقات الأناجيل السينوبتية. وتبقى «ق» فرضية، ومثل أي فرضية، تستحق أن تخضع للاختبار باستمرار. ومع ذلك، فهي فرضية مفيدة ومثمرة ومن المرجح أن تظل كذلك.

لقد استمر البحث في حجم وصياغة «ق» في اللغة اليونانية أكثر من قرن حتى الآن، واليوم يعد هذا البحث جهداً خاصاً يرأسه مشروع «ق» الدولي الذي كان ينشر سنوياً منذ عام 1990 حتى عام 1997 في صحيفة الأدب الإنجيلي، المشروع الذي يجمع الآن نصاً مهماً لـ «ق». في حين تتفاوت إلى حد ما عمليات تجديد محتويات «ق» الحقيقية، يبقى المخطط الأساسي واضحاً. فالجدول التالي يلخص محتويات «ق» العامة والمقبولة للجميع.

محتويات «ق»:

لوقا	متّى	المحتويات

البدايات		
3: 7 – 9، 16 – 17	3: 7 ب – 12	يوحنا المعمدان: التحذيرات، الوعد بأن شخصاً ما سيأتي
4: 2 – 13	4: 2 ب – 11 أ	إغراءات (اختبارات) يسوع الثلاثة قدمها الشيطان (ترتيب مختلف في لوقا ومتّى)
العظة في السهل / على الجبل		
6: 20 ب – 23	5: 3، 6، 4، 11 – 12	تطويبات (ترتيب وصياغة مختلفة)
6: 27 – 30	5: 44، 39 ب – 40، 42	أحبوا أعداءكم، اعرض الخد الآخر، هب رداءك، أعطه للمتسولين
6: 31	7: 12	وكما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضاً بهم،
6: 32 – 33، 35 ب – 36	5: 46 – 47، 45، 48	أحبوا أكثر مما يفعل أولئك الذين يحبونكم، كونوا رحماء كما أن أباكم رحيم
6: 37 أ، 38 ج	7: 1 – 2	لا تدينوا فلا تدانوا، بنفس الكيل الذي به تكيلون يكال لكم
6: 39 – 40	15: 14، 10: 24 – 25 أ	هل يقدر أعمى أن يقود أعمى، ليس التلميذ أفضل من معلمه
6: 41 – 42	7: 3 – 5	القذى الذي بعين أخيك، الخشبة التي في عين شخص ما
6: 43 – 45	7: 16 – 20 (20: 33 – 35)	ما من شجرة جيدة تثمر ثمراً ردیئاً، لا يجتنون من الشوك تيناً
6: 46 – 49	7: 21، 24 – 27	ولماذا تدعونني: يا رب، يا رب، وأنتم لا تفعلون ما أقوله؟، الذي يسمعه ويعمل به
شفاء عبد لقائد المائة		
7: 1 – 2، 6 ب – 10	8: 5 أ – 10، 13	قائد المائة صاحب الإيمان العجيب في كفر ناحوم يطلب المساعدة في شفاء خادمه المريض، الأشخاص

		الذين يقوم يسوع بشفائهم
أقوال حول يوحنا المعمدان		
7: 18 – 28	11: 2 – 11	تلاميذ يوحنا، الرسالة الموجهة له، مديح يوحنا على اعتباره أكثر من نبي
7: 31 – 35	11: 16 – 19	لا يفرح هذا الجيل لا بيوحنا ولا بابن الإنسان
التلمذة والمهمة		
9: 57 – 60	8: 19 – 22	ابن الإنسان ليس له أين يسند رأسه، من أجل أن تتبعه دع الموتى يدفنون موتاهم
10: 2 – 12	9: 37 – 38، 10: 7 – 16	الحصاد كثير، الفعلة قليلون، تعاليم المهمة
10: 13 – 16	11: 21 – 23، 10: 40	ويل لكِ يا كورَزين، ويل لك يا بيت صيدا، الذي يسمع منكم يسمع مني
10: 21 – 24	11: 25 – 27، 13: 16 – 17	شكر الأب على الإعلان للأطفال، كل الأشياء تُدفع إلى الابن الذي يعرف هو وحده الآب، طوبى للعيون التي تنظر ما تنظرونه
تعاليم بخصوص الصلاة		
11: 2 – 4	6: 9 – 13	صلاة الرب (أشكال مختلفة – الصلاة الواردة في متّى أطول)
11: 9 – 13	7: 7 – 11	اسألوا تعطوا، أن تعطوا عطايا جيدة، فكم بالحري الآب سيعطي
خلافات ومضايقات		
11: 14 – 15، 17 – 23	12: 22 – 30	ببعلزبول يخرج الشياطين، يحفظ القوي داره، من ليس معي فهو عليّ
11: 24 – 26	12: 43 – 45	متى خرج الروح النجس من الإنسان ثم يذهب ويأخذ سبعة أرواح آخر أشر منه
11: 29 – 32	12: 38 – 42	هذا الجيل يطلب آية، آية يونان النبي، حكم أهل

		نينوى، ملكة الجنوب
11: 33 – 35	5: 15، 6: 22 – 23	ليس أحد يوقد سراجاً ويضعه في خفية، سراج الجسد هو العين، متى كانت شريرة فجسدك يكون مظلماً
11: 39 – 44	23: 25 – 26، 23، 6 – 7 أ، 27	أنتم الآن أيها الفريسيون تنقون خارج الكأس، ويل للعشير التافه، والذين يحبون المجلس الأول في المجامع
11: 46 – 48	23: 4، 29 – 31	ويل لكم أنتم أيها الناموسيون لأنكم تحمّلون الناس أحمالاً عسرة الحمل، لأنكم تبنون قبور الأنبياء
11: 49 – 52	23: 34 – 36، 13	أنا أقول / حكمة الله تقول: إني أرسل إليهم أنبياء سيعذبون، ويل لكم أنتم أيها الناموسيون
12: 2 – 10	10: 26 – 33، 12: 32	لا خفي لن يعرف، لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد، اعترفوا بي قدام الله
		عن القلق
12: 22 – 31	6: 25 – 33	لا تقلقوا بشأن الجسد، تأملوا زنابق الحقل، الآب يعرف ماذا تحتاجون
12: 33 – 34	6: 19 – 21	لا يوجد كنوز على الأرض بل في السماوات
		الاستعداد لمجيء الساعة
12: 39 – 40، 42 – 46	24: 43 – 44، 45 – 51	رب البيت والسارق، العبد المخلص المستعد لمجيء سيده
12: 51 – 53	10: 34 – 36	لم آتِ لأعطي سلاماً بل لأعطي سيفاً، انقسامات داخل العائلات
12: 54 – 56	16: 2 – 3	القدرة على معرفة علامات الطقس تمكن المرء من معرفة الوقت الحالي
12: 58 – 59	5: 25 – 26	التخلص من الخصم قبل الذهاب إلى القاضي
		قصص وأقوال حول التلمذة
13: 18 – 21	13: 31 – 33	ملكوت الله تشبه نمو حبة خردل، وتشبه خميرة

		وضعتها امرأة في الدقيق
13: 23 – 29	7: 13 – 14، 22 – 23، 8: 11 – 12	قليل هم الذين سيدخلون من الباب الضيق، رب البيت يرفض هؤلاء الذين يقرعون الباب، يأتي أناس من كل حدب وصوب للدخول في ملكوت السموات / الله
13: 34 – 35	23: 37 – 39	يا أورشليم، يا أورشليم! يا قاتلة الأنبياء، عليك مباركة ذلك الشخص الآتي باسم الرب
14: 16 – 24	22: 2 – 10	ملكوت السماوات / الله هي مأدبة عظيمة: يعتذر مدعوون، ويدعى آخرون
14: 26 – 27	10: 37 – 38	فضّلني على عائلتك، احمل صليبك واتبعنِ
14: 34 – 35	5: 13	عدم نفع الملح الذي فقد مذاقه
15: 4 – 7	18: 12 – 14	الإنسان الذي يترك 99 خروفاً ويذهب لأجل الخروف الضال
16: 13	6: 24	ليس بمقدوركم أن تخدموا سيدين
16: 16 – 18	11: 12 – 13، 5: 18، 32	كان الناموس والأنبياء إلى يوحنا، لن تسقط نقطة واحدة من الناموس، كل من يطلق امرأته ويتزوج بأخرى يزني
17: 1، 3 ب – 4	18: 7، 15، 21 – 22	ويل لأولئك الذين تأتي العثرات بواسطتهم، اغفر لأخيك بعد توبيخه، بطرس: كم مرة نغفر
17: 6	17: 20	لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل، لاستطعتم تحريك الجبال / واقتلاع الأشجار
مجيء ابن الإنسان في النهاية		
17: 23 – 24، 37	24: 26 – 28	علامات مجيء ابن الإنسان
17: 26 – 27، 30	24: 37 – 39	وكما كان في أيام نوح كذلك يكون أيضاً في أيام ابن الإنسان
17: 33	10: 39	من طلب أن يخلّص نفسه يهلكها، ومن أهلكها يحييها
17: 34 – 35	10: 41	إنه في تلك الليلة يكون اثنان، فيؤخذ الواحد ويترك

الآخر		
قصة الموهوبين	25: 14 – 30	19: 12 – 27
أتباع يسوع سيجلسون على كراسيه ويدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر	19: 28	22: 28، 30

وكما يُظهر هذا التلخيص بأن «ق» يحتوي على معظم تعاليم يسوع. فهو يحتوي على القليل من القصص السردية حيث يبدأ بيوحنا المعمدان والإغراءات التي تعرض لها يسوع، وبالقرب من المنتصف هناك سرد لإحدى المعجزات: «خادم قائد المائة الروماني». كما يمكن الاستدلال على الكثير من المعجزات الأخرى التي جاء بها يسوع في إنجيل لوقا (7 : 21 و10 : 13 و11 : 20). وفي بعض الأماكن، تحتوي التعاليم على سياق أو مقدمات سردية قصيرة، على سبيل المثال: لوقا (7 : 18 – 20، الأسئلة التي طرحها يوحنا المعمدان). إن تعاليم يسوع مقسمة بالتساوي تقريباً بين قصص وأقوال قصيرة. كما تكثر أقوال الحكمة والأقوال الأخروية التي هي بالمجمل عبارة عن تحذيرات. يتشارك الهيكل العام لـ «ق» بقسم لا بأس به مع أناجيل العهد الجديد اللاحقة. وبنفس طريقة أناجيل العهد الجديد، يبدأ «ق» مع يوحنا والإغراءات، ويزيد من ذكر يوحنا في أمكنة لاحقة. وينتهي «ق» والأناجيل السينوبتية بقسم القصص والأقوال الأخروية على قسمهم التعليمي الرئيسي الأخير.

يبقى الوضع الاجتماعي التاريخي الدقيق لـ «ق» غير مؤكد، لكن يوجد هناك شبه إجماع بخصوص ذلك. فمعظم الباحثين يحددون مكانه في فلسطين، وكثيرون يحددون مكانه في جنوب الجليل الأوسط، وقليلون يحددون مكانه في جنوب سورية. إن «ق» عمل يهودي مسيحي موجه لشعب إسرائيل. فتاريخ كتابته المقترح يتفاوت من 40 إلى 70م وعلى الأغلب تمت كتابته في منتصف هذه الفترة. قد يُظهر الجزء الأول من هذه الفترة حملات تبشيرية متجولة تكمل رسالة يسوع وكهنوته في جميع أنحاء المناطق التي كان يعمل فيها. وقد تعود المجموعة الأولى لأقوال يسوع التي استخدمتها هذه الحملات التبشيرية المتجولة إلى المجتمع الذي ظهر بعد عيد الفصح الأول. ومن المرجح أن هذه الحملات التبشيرية كانت قد أنشأت أول مجتمع مسيحي مستقر في جميع أنحاء الإقليم القديم من إسرائيل. وتشكل نهاية هذه الفترة، أي عام 70 م، فترة التمرد اليهودي. فقد تكون كل من الحملات التبشيرية والتجمعات السكنية المستقرة تعطلت إلى حد كبير جراء الحرب، ولم تشر التنبؤات حول القدس والمعبد إلى وجود عمل عسكري (لوقا: 13 : 34 – 35)، كما هو الحال في الأناجيل السينوبتية. كذلك الأمر، فإن استخدام «ق» من جانب متّى ولوقا، اللذين يعود

تاريخهما بصورة شائعة إلى الثمانينيات من القرن الأول، يتضمن أن «ق» كان قد تمت كتابته وتداوله في فترة سبقت ذلك العقد.

لقد كان «ق» وفقاً لكل الاحتمالات وثيقة مكتوبة. إن أفضل طريقة لتفسير الكمية الكبيرة من التوافقات الشفهية بين متّى ولوقا، لا سيما في الأجزاء الطويلة مثل القصص، هي عن طريق المصدر الكتابي بدلاً من الشفهي، حيث ترد الفقرات في نقاط كثيرة بترتيب متوازٍ في كل من متّى ولوقا، الأمر الذي يشير مرة أخرى إلى مصدر مكتوب. لقد تمت كتابة «ق» بصورة شبة مؤكدة باللغة اليونانية. ومن المرجح أن يكون الكثير من تعاليم «ق» في الأصل باللغة الآرامية، لغة يسوع وربما لغة الحملات التبشيرية الفلسطينية الأولى. ومع ذلك، فإن هذا ليس مؤكداً، وإن إعادة نصوص «ق» إلى الآرامية موضع شك كبير ولا تشكل موضوعاً هاماً في مجال البحث في «ق».

منذ نحو عام 1970، في أحدث موجة اهتمام بـ «ق»، تم تخصيص الكثير من عمليات البحث للنظر في المراحل التكوينية التي نشأ فيها «ق» والعمل على ربط نمو العمل بتاريخ المجتمع الذي أنتج «ق». فقد شكلت هذه المهمة العنصر الأكثر إثارة للجدل في عمليات البحث في يسوع، المهمة المحفوفة بالصعوبات. لا يسعنا هنا إلا أن نصف عدداً قليلاً من المقترحات الرائدة وأن نقدم نقداً وجيزاً. يفترض جون كلوبنبورغ في أكثر عمليات التجديد تأثيراً على تاريخ تكوين «ق» نموذجاً من ثلاث مراحل. تم تأليف «ق1» من «خطابات الحكمة» التي شجعت على اتباع أسلوب حياتي راديكالي مناهض للحضارة (على سبيل المثال: جوهر العظة في السهل / على الجبل، ولوقا (11: 2 – 4، 9 – 13، 12: 2 – 12، 22 – 34). «ق2» هو الطور الثاني، بإدانة إسرائيل عندما عارضت رسالة الحكمة ورسلها، «رسالة يوحنا المعمدان، شفاء عبد قائد المائة، جميع المواد الرؤيوية». «ق3» كان آخر ما تم إضافته، الطور التوضيحي الذي قرّب «ق» من اليهودية الحريصة على التقيد بالتوراة. كما تم في هذه المرحلة إضافة قصة الإغراء التي تعرض لها يسوع، القصة التي تقدمه على أنه نموذج للعلاقة الصحيحة مع الله. ويرى ديتر لوهرمان طبقتين رئيسيتين للمادة. تتضمن الطبقة الأولى طبقة أخروية بأقوال عن ابن الإنسان، الإدانة، والمجيء الثاني الوشيك ليسوع، وتتضمن الطبقة الثانية دمجاً بين البعثة الموجهة للوثنيين وبين تعاليم الحكمة، عندما يتضاءل الأمل في المجيء الثاني الوشيك ليسوع.

ويرى لوهرمان مجتمع «ق» على أنه مجموعة مسيحية لايهوديّة تعرضت للاضطهاد على أيدي اليهود. وتفترض عملية التجديد التي قام بها سيغفريد شولتز مرحلتين لـ «ق» ومجتمعها: الأولى: مجتمع فلسطيني يهودي مبكر يحمل توقعات أخروية قوية ومادة رؤيوية، والثانية: مرحلة يهودية هيلينستية متأخرة تحمل أنواعاً أخرى من المواد. أما إم ساتو فيتصور ثلاث خطوات:

«التنقيح أ» جمع مواد متعلقة بيوحنا المعمدان، «التنقيح ب» دمج المواد التي تتحدث عن البعثة، و«التنقيح ج» يتضمن بيانات إدانة إسرائيل وتعاليم الحكمة.

نظراً لتنوع مواده، فإنه من المرجح حقاً أن يكون «ق» تشكل على مراحل. ربما يكون قد بدأ بتجميع مواد الوعظ التي كانت متشابهة في الشكل والمضمون. وبعد ذلك، في الوقت الذي تواصلت فيه الإرسالية التبشيرية إلى إسرائيل، أدت المعارضة والفشل في نهاية المطاف إلى إدراج مواد تعليمية أخرى متنوعة تؤكد على إدانة إسرائيل والالتفات إلى الوثنيين. فماذا تكون أنواع المواد المضافة عندما يصعب التكهن بذلك؟ يقترح كلوبنبورغ أن عناصر الحكمة التي جاءت أولاً والعناصر الرؤيوية كان لهما التأثير في أمريكا الشمالية، لاسيما مع بيرتون ماك، وجون دومينيك كروسان، وأعضاء آخرين في منتدى يسوع، حيث يقولون بأن يسوع التاريخي كان معلم الحكمة. لكن كما يشير المخطط المختصر أعلاه، اقترح آخرون أن المادة المتعلقة بسفر الرؤيا جاءت أولاً ومن ثم جاءت مادة الحكمة. ربما يكون من الخطأ استنتاج فارق ثابت بين المادة الروحية والرؤيوية وإقحامه في طبقات مختلفة من «ق». فقبل ذلك في تاريخ اليهودية، تم الدمج بقوة بين الرؤيوية والحكمة في أدب مؤثر مثل أدب دانيال. هناك بعض المقاطع في «ق» تجعل من الصعب تحديد حكمتها والعناصر الرؤيوية لمختلف مراحل تكوينها. على سبيل المثال، أظهرت «أديلا ياربرو كولينز أن أقوال «ابن الإنسان» الأخروية تتكرر في كل طبقة من طبقات «ق» وفقاً لتصنيف الأبحاث الأخيرة. وقد صادق هيلموت كوستر مؤخراً على استنتاجاتها المتعلقة بالإيمان بالآخرة في «ق». وينطبق الشيء نفسه على المقاطع الأخرى. في إنجيل لوقا (11: 31 – 32)، ستكون ملكة الجنوب التي جاءت «من أقاصي الأرض للاستماع إلى حكمة سليمان» شاهدةً مع شعب نينوى في الحكم. في لوقا (11: 49) ترسل «حكمة الله» الأنبياء والرسل الذين سيتعرضون للاضطهاد «وبذلك يطلب من هذا الجيل دم جميع الأنبياء المهرق» منذ إنشاء العالم. في لوقا 12: 4 – 7 يُعطى الصمود في وجه الاضطهاد مبدأً أخروياً (الآيات 4 – 5: خافوا من الذي بعدما يقتل، له سلطان أن يلقي في جهنم ومن ثم يُعطى مبدأ حكمة) و(الآيات 6 – 7 الله: يكترث للعصافير، وأنتم أفضل من عصافير كثيرة، فلا تخافوا). تشير مثل هذه النصوص إلى أن الحكمة والمواد الأخروية قد تكون موجودة في «ق» في مختلف مراحل تكوينه.

إن الوقت والطريقة اللذين دخلت فيهما المادة إلى «ق» هما أيضاً موضع خلاف. هل كانت عناصر السرد موجودة في البداية، أم أنه تم إضافتها في وقت لاحق في الوقت الذي كانت فيه «ق» في طريقها لتصبح إنجيلاً قبل أن يتم دمجه في متّى ولوقا؟ وهل كان عبارة عن مادة لاحقة تم تلفيقها بكل صراحة؟ يلمح بعض الباحثين أو يصرحون علناً أن واضعي «ق» هم الذين قاموا

بإنشاء الطبقات الأخيرة له وأن الطبقة الأولى فقط هي التي تدعي تمثيل تعاليم يسوع الأصيلة. وهنا يجب علينا أن نتذكر القول المأثور «التاريخ التقليدي ليس تاريخاً أدبياً.» فمن الممكن للحالة المتغيرة لمجتمع «ق» أن تؤدي بهم إلى تبني تعاليم مختلفة ليسوع كانت تسبح في بحر تقاليد «ق» الشفوية، البحر الذي طافت على سطحه وثيقة «ق»، ومن ثم أدت بهم إلى إدراج تلك التعاليم بوثيقة «ق» مكتوبة.

يسأل الكثير من الباحثين فيما إذا كان باستطاعتنا الربط بين طبقات «ق» الأدبية وبين التاريخ العام للمجموعة التي من الواضح أنها أنتجته. على الرغم من ذلك، ما يزال ممكناً السؤال عن نوعية المجتمع الذي يعكسه «ق» ككل. فقد أولي الكثير من الاهتمام لدعاة «ق» المتجولين، لاسيما دورهم في استخدام وتطوير تقاليد يسوع. وتبدو مقاطع مثل: (لوقا 9: 57 – 10: 12، 12: 22 – 31، 33 – 34، 51 – 53) أنها تعكس نمط حياة الدعاة الذين تم إرسالهم لتوسيع كهنوت يسوع. فقد تركوا أسرهم وأصبحوا بلا مأوى، وقد ذاقوا طعم الفقر واعتمدوا على كرم الشعب الذي يعملون بينه من أجل عيشهم الزهيد، وتنقلوا من بلدة إلى أخرى يدعون قبل مجيء ابن الإنسان في نهاية الزمان. فهم يعيشون ويبلغون رسالة يسوع: «طوباكم أيها المساكين، لأن لكم ملكوت الله.» (لوقا 6: 20). كما يبدو أن وصف أتباع يسوع المتجولين الوارد في «ق» يشير إلى أنهم يصنعون المعجزات. ومع ذلك، هذا لا يحدث إلا مرة واحدة (لوقا 10: 9)، الأمر الذي قد يشرح سبب الذكر البسيط للمعجزات في «ق» نفسه.

إلى جانب نمط حياة المتجولين هذا، تقدم «ق» رغم ذلك مجتمعاً مستقراً من المؤمنين يعيشون نمط حياة مختلف. «أقيموا في ذلك البيت...لا تنتقلوا من بيت إلى آخر.» (لوقا 10: 7)، في حين يتحدث إلى المتجولين، يضع بعض القيمة لحياة الاستقرار. وفي المنع الصارم للطلاق من جانب يسوع، يتم التمسك بالزواج بصفته مشيئة الله المستمرة (لوقا 16: 18). وتُظهر القدرة على توفير السخاء الذي يبدو عبارة عن دعم مادي غير منقطع للآخرين (لوقا 6: 30) تُظهر أن ليس كل أفراد مجتمع «ق» قاموا بالتبرع بكل ما يملكون. كما تُظهر الضرورة المستمرة للاختيار بين الله والثروة (لوقا 16: 13) مجتمعاً يتمتع بما يكفي من الثروة التي يغريه بها الأغنياء. وتُظهر قصص «ق» الرمزية على وجه الخصوص، وإن لم تكن تقدم تعاليم تخص الممتلكات بصورة مباشرة، وتُظهر موقفاً أكثر إيجابية لحياة الاستقرار من خلال طرق معينة: الله هو بمثابة رب البيت (13: 25 – 30)، الله يعطي مأدبة غنية (14: 16)، الله هو بمثابة رجل يملك مائة من الغنم ويهتم بواحدة (15: 4 – 7)، والله يعطي لشعبه مواهب غنية متوقعاً منهم مضاعفتها (19: 12 – 27).

لا يمكن لمجتمع مؤلف من متجولين فقراء ينظرون إلى الممتلكات على أنها شر تصور هذا الرأي الإيجابي الضمني لحياة الاستقرار وبعض الثروة. فقد دخل الانحلال الروحي والنفاق في المجتمع، لأن بإمكان بعض الناس مناداة يسوع بـ «الرب» ولا ينفذون أوامره (لوقا 6: 46 – 49). ويمكن لمؤمنين مستقرين التأمل في هذا الوضع أكثر من أولئك المبشرين المتجولين الروحانيين. وهناك معنى لوجود كل من الدعاة المتجولين والمجتمعات المستقرة في مجتمع «ق» الكبير: ينجح المبشرون بدعوة الناس، وإذا انضم هؤلاء المتجولون إليهم في مهمتهم، فإن المجتمعات المستقرة للمؤمنين ستتطور بعد فترة وجيزة. ربما تدعم أو تطعن أنماط الحياة الراديكالية والتقليدية في مجتمع «ق» ببعضها بعضاً، السيناريو الذي لا يختلف عن ذلك المعروف في العهد الجديد وفي تاريخ الكنيسة اللاحق عندما كان المبشرون المتجولون والكنائس المستقرة يتمتعون بعلاقة خلاقة لكن متوترة.

كيف يصور «ق» يسوع؟ في حين أن يسوع يظهر بصورة المعلم بكل وضوح، إلا أنه يعتبر أكثر من ذلك. إن يسوع بتعاليمه هو وكيل الله للخلاص، وبذلك يقرّب ملكوت الله بالقدر الذي يكفي ليستجيب الشعب له. «ولكن إن كنت بإصبع الله أخرج الشياطين، فقد أقبل عليكم ملكوت الله.» (لوقا 11: 20). يظهر يسوع في افتتاحية «ق» على أنه «استيفاء الأنبياء وفي شخصه وكلامه البيان الحقيقي للناموس.» فهو ابن الإنسان (لوقا 8: 19 – 22، 11: 16 – 19) وابن الآب (لوقا 11: 25 – 27). وهو المبعوث الأخير لحكمة الله (لوقا 7: 35). وبصورة تثير الدهشة، لا يدعو «ق» يسوع بالمسيح، إلا أن مسيحانية يسوع تقر بيسوع على أنه المسيح بكل شيء باستثناء الاسم. وتحدد استجابة شخص ما على شخص يسوع وتعاليمه علاقته بالله في هذا العالم ومكانته في ملكوت الله في العالم الآخر (لوقا 12: 8 – 9). والحيادية بالنسبة ليسوع مستحيلة (لوقا 11: 23). فقد انكشف وقت الخلاص بظهور يسوع، وهؤلاء الذين يسمعونه ويطيعونه مباركون. وهؤلاء الذين ينكرون يسوع سيحاكمهم الله، وإن التحذيرات من الفرار من الحكم النهائي باللجوء إلى الله وفيرة في «ق». وتترافق المعجزات مع تعاليم يسوع الموثوقة. على الرغم من أن «ق» لا يذكر سوى معجزة واحدة، إلا أنه يوضح أن عمليات الشفاء كانت من سمات كهنوت يسوع كله. «إن العمي يبصرون، والعرج يمشون، والبرص يطهرون، والصم يسمعون، والموتى يقومون، والمساكين يبشرون.» (لوقا 7: 22). كما يرسل يسوع تلاميذه ليذيعون عرض الخلاص هذا وقُرب ملكوت الله (لوقا 10: 5 – 6، 9، 11). وهم ربما ضمناً كيسوع، «مثل الغنم بين الذئاب» وسيعانون من اضطهاد اليهود الذين لا يؤمنون (لوقا 10: 3، 6: 22 – 23). ومع ذلك، يتوجب عليهم حمل الصليب واتباع يسوع (14:27) ويقابلون الاضطهاد بالحب. إن يسوع في حياته الدنيوية مرتبط بيسوع الممجد الذي سيعود كابن الإنسان.

هل كان يسوع كلبياً يهودياً؟

في نهاية القرن الرابع، سأل غريغوريوس النيزنزي، الذي تقاعد مؤخراً من منصبه كبطريرك القسطنطينية وعاد إلى أحد الأديرة: «من منا لم يسمع بالكلب السينوبي؟» كان يتحدث عن ديوجين، مؤسس المدرسة الكلبية. لقد كان سؤاله بلاغياً، لأن كل متعلم أو شبه متعلم في الإمبراطورية الرومانية كان قد سمع بديوجين. فقد دعمه البعض بصفته نموذجاً للشجاعة الفكرية والأخلاقية، في حين ذمه آخرون واعتبروه تهديداً للخير والنظام. كما تعكس الدراسات الأخيرة التي أجريت على «ق» انقساماً مماثلاً حول الهوية الدينية ليسوع، انقسام تجسد في السؤال: هل كان يسوع كلبياً؟ يشكل هذا السؤال حالياً أحد أكثر القضايا جدلاً في الدراسات التي تجرى على مسيحية «ق». نظراً للفصل التقليدي بين اليهودية والمدارس الفلسفية اليونانية المتطرفة[115]، ونظراً للتركيز الحالي على رؤية يسوع داخل اليهودية، قد يبدو من الغريب أن نزعم أن يسوع كان كلبياً أو كان متأثراً بالكلبية إلى حد كبير. كما يتعين علينا التحدث بإيجاز عن الكلبية وما يوازيها من أمور متصورة عن يسوع.

لقد انحدر الكلبيون من مدرسة فلسفية يونانية انبثقت عن الرواقية في القرن الخامس قبل الميلاد. وقد دافع الكلبيون الأوائل عن الاكتفاء الذاتي، حياة الفضيلة الأخلاقية من خلال البساطة في الحياة. وقد رفضوا الأعراف العادية للكلام والسلوك واعتبروها ذرائع. وبالمقارنة مع أعضاء من المدارس الفلسفية الأخرى، كان الكلبيون عادة يفتقرون إلى أي نظرية، إلا أنهم كانوا عمليين إلى حد كبير. فالكلبي المثالي، متبعاً نمط ديوجين (حوالي 400 – 325 قبل الميلاد) يقلل من الاحتياجات إلى الحد الأدنى، ويرتدي عباءة ويحمل عصاً فقط مع حقيبة صغيرة لتسول الطعام، ويترك شعره وشعر لحيته دون تشذيب، ويكرس جرأته في الكلام للتنديد بالغباء والأعراف والأمور الأخلاقية. فقد نبذ الكلبيون السلع المادية جذرياً والبحث عن الحرية من خلال الارتباط بالممتلكات. ومن أبرز تلك الأمور أنهم أظهروا عدم حياء من خلال القيام بأمور مروعة وفاحشة لزعزعة الناس وإخراجهم من رضاهم الذاتي. فعلى سبيل المثال، كانوا أحياناً يأكلون طعاماً وهم يلقون المحاضرات فيبدأ فتات الطعام يخرج من أفواههم، ويقومون في نهاية محاضراتهم بصورة خاصة بالتغوط أو بممارسة نشاط جنسي، مع الآخرين أو لوحدهم، أمام العامة. وقد يكون هذا السلوك هو الذي أكسبهم اسم «الكلبي» الذي يعني الشبيه بالكلب. ونظراً لميولهم العملي، لم يتفوهوا بأي نظام فلسفي عام، حتى ولو كان عن علم الأخلاق. كما ازدادت الأفكار المنهجية عن الدين بين قلة من أتباع المذهب الكلبي، فقد اعتبروا الآلهة على أنها إنسان، ورفضوا الممارسات العبادية بصفتها خرافات

موروثة. وبدلاً من ذلك، عززوا الإله الحقيقي للطبيعة، ونمط حياتهم الطبيعي. لقد تعاظمت الكلبية ثم تضاءلت في العالم القديم، ودرجة الازدهار التي وصلت إليها في القرن الأول هي موضع خلاف. إلا أنها استمرت إلى القرن الثالث بعد الميلاد على الأقل عندما كتب ديوجين ليرتيوس كتابه: «حياة الفلاسفة».

من هذا الوصف، تظهر بعض أوجه الشبه الواضحة للكلبية في وصف يسوع الوارد في «ق»، فقد كان يسوع معلماً متجولاً، يدعو أتباعه لاتباع نمط حياة متنقل أيضاً، حيث كان يتوجب عليهم ترك أسرهم (لوقا 14: 26). وعادة ما كان يسوع يورد أشياءً في تعاليمه بطريقة استفزازية، فقد انتقد أولئك الذين يمتلكون الكثير (لوقا 7: 24 – 26، 16: 13). وبدلاً من ذلك، حث على نمط حياة قائم على البساطة والإيمان (لوقا 12: 22 – 24). وقد شدد يسوع على العمل أكثر من الاعتقاد الفارغ (لوقا 6: 46 – 49). كما تحمِل تعاليم رسالته لتلاميذه أوجه تشابه عديدة مع الممارسات الكلبية (لوقا 10). فهؤلاء الذين يقولون أن يسوع كان معلماً كلبياً يهودياً عادة ما يعتمدون على التقسيم الطبقي لـ «ق» الذي يضع الحكمة في الطبقة الأولى لأنها من المفروض أن تكون الطبقة الأكثر موثوقية. فهم ينظرون إلى الجليل أو إلى أجزاء منه على الأقل مثل مدينة صفورية على أنها إغريقية بما يكفي لاحتواء معلمين كلبيين.

إن أوجه الاختلاف مع مذهب الكلبية واضحة أيضاً في «ق». ففي (لوقا 10)، يتمتع يسوع بالسلطة على تلاميذه، الأمر الأكثر بعداً عن مذهب الكلبية حيث ينشد الناس الاستقلال الجذري. وقد كان يسوع يرسل تلاميذه اثنين اثنين، الأمر الذي يشير إلى الجماعة (الآية/ 1.، «نحن» في الآية/110، و«أنتم» التي تتخلل الآيات. 2 – 12). لكن الكلبيين وفقاً لرؤيتهم للاكتفاء الذاتي فهم عادة يسافرون فرادى. كما أن تعاليم رسالة يسوع أكثر راديكالية تقريباً من تعاليم الكلبيين، فلا توجب على أتباعه حمل حقيبة أو محفظة (الآية.4). ولا يتوجب عليهم التحدث إلى أي شخص في طريقهم، بل العمل فقط في البلدات (الآية.11)، ويعتمدون على أشخاص آخرين ليؤمّنوا لهم الطعام والمأوى (الآيات. 7 – 8). كما أن الوعظ الذي كان يقوم به يسوع وتلاميذه مختلف إلى حد كبير عن التعاليم الكلبية. فعلى سبيل المثال، يكتب ديو: «ألا ترون الحيوانات والطيور كم هي بعيدة عن الأحزان! وسعيدة أكثر من الإنسان، كم هي قوية وسليمة! كم كل واحدة منها تعيش إلى أطول فترة ممكنة على الرغم من أنها لا تملك يدين أو ذكاء بشرياً. لكن للتعويض عن هذه الأمور وغيرها من القيود، فهي لديها أعظم نعمة: فهم لا يقتنون أي ممتلكات». (ديو كريزوستوم، خطب 10. 16).

في المقابل، يرتبط حديث يسوع عن الطيور بالإيمان: الله يطعمهم، وسيطعمكم (لوقا 12: 22 – 31). وبالتالي، فإن أفكار يسوع حول «الاكتفاء الذاتي» مختلفة تماماً عن تلك الواردة في

الكلبية، فيسوع بدلاً من ذلك يوصي بالاعتماد على الله، السمة التي تتجسد في الفقراء المتواضعين في إسرائيل. وباختصار، لا تركز «ق» بأكملها على نمط الحياة، بل تركز على يسوع نفسه. فهذا الارتباط الشخصي بين المعلم وتلميذه مفقود في مذهب الكلبية، إلا أنه يشكل جوهر تقاليد يسوع في بداية المسيحية.

ما يزال النقاش حول هذه المقارنات مستمراً، حيث يدعي كل طرف أن الطرف الآخر يسيء فهمه. وبالطبع، هناك بعض أوجه الشبه الواضحة إلى حد قد يكفي عنده أن نقول أن يسوع قد تأثر على نحو مباشر أو غير مباشر بالمذهب الكلبي. لكن فيما يتعلق بسؤالنا: «هل كان يسوع كلبياً؟» فالجواب يميل بشدة إلى النفي. وبما أن «ق» عبارة عن ممارسات لفظية فذلك يجعل من الصعب أن نستنتج الكثير منه حول الأعمال التي قام بها يسوع. ولأن الكلبيين كانوا معروفين بأعمالهم أكثر من أقوالهم، يصعب تعريف يسوع الوارد ذكره في «ق» على أنه كلبي بأي قدر من اليقين. فكلام يسوع الوارد في «ق» لا يعكس البذاءة المعروفة عن الكلبيين، ومؤخراً تم رفض فكرة أن بعض أشكال الفحش في مذهب الكلبية قد تم ممارستها في القرن الأول. وربما تكون تعاليم الرسالة الواردة في «ق» التي أعطاها يسوع لتلاميذه قد عكست الأعمال التي قام بها، لكن يجب أن يبقى هذا مجرد افتراض. أضف إلى ذلك أن محتوى تعاليم يسوع بأكمله لا ينتمي إلى مذهب الكلبية بكل وضوح. فيسوع يعلّم الإيمان بإله اليهودية، كما تحتوي رسالته على خلفية ومعنى أخروي لا يمكن نقلهما من طبقة إلى أخرى من طبقات «ق». إن الإيمان بالآخرة ومعناها وضرورتها يعزز لوقا 10 وحياة مجتمع «ق». أخيراً، كما رأينا، يفترض «ق» وجود مجتمع مستقر بالإضافة إلى متجولين، الوضع الذي لا يثبت صحة تعريف يسوع على أنه كلبي. وإن من المفيد فهم مهمة ورسالة يسوع في كل من «ق» وتقاليد يسوع الأخرى وفقاً لنموذج النبي اليهودي الذي يؤمن بالآخرة.

أهناك قلق بشأن الصليب والقيامة؟

ما هو مغزى موت يسوع وقيامته بالنسبة لـ «ق» ومجتمعه؟ لأول وهلة، يبدو هذا السؤال دون معنى، لأن «ق» لا يورد أحداثاً سردية عن الآلام أو القيامة، ولا يذكر أي شيء واضح عن هذه الأحداث. فقد قال معظم مفسري «ق» الأوائل: إنه ومجتمعه يفترضون وجود بعض العظات عن الصليب والقيامة، وقد كان هذا في السابق أمراً متفقاً عليه.

في الآونة الأخيرة، قال بعض مفسري «ق» البارزين إنه نظراً لعدم تسجيل موت يسوع وقيامته في «ق»، لم يعرف مجتمع «ق» هذه الأحداث، أو لم يعتقدوا أنها ذات أهمية في حال كانت قد حدثت. فعلى سبيل المثال، كتب ستيفن جيه باترسون: «جنباً إلى جنب مع إنجيل توما، تخبرنا »ق« أنه لم يختر كل المسيحيين موت يسوع وقيامته كنقاط أساسية لتفكيرهم اللاهوتي.» في حين يقر جون كلوبنبورغ: «إنه من غير المعقول أن نفترض أن هؤلاء الذين وضعوا «ق» لم يكونوا على علم بموت يسوع». فقد فهموا موته بطريقة مختلفة مستمدين إياها من الممارسات الحكيمة وتاريخ سفر التثنية. ومع ذلك، يقول إن تي رايت: «سيكون من الجيد الحفاظ على فرض قيود صارمة على أي من النظريات التي تعتمد على أهمية عدم إيراد «ق» لأي سرد عن الآلام، على سبيل المثال. السير في هذا النوع من الطرق هو بمثابة المشي مغمض العينين في متاهة من دون خريطة». ولئن كان قد قيل مؤخراً ولاسيما من جانب إريك فرانكلين إن «ق» يحتوي على سرد للآلام يمكن اكتشافه من خلال الأمور المشابهة لسرد الآلام الوارد في متّى ولوقا، إلا أنه يبقى من الصعب إظهار الأدلة، ناهيك عن إثباتها.

إن الرأي القائل بأن «ق» تعكس شكلاً مبكراً لحركة يسوع التي لم تكترث بالصليب أو القيامة لهو رأي غير محتمل. فعلم الإيمان بالآخرة الوارد في «ق» يفترض موت يسوع وقيامته. وعلى الرغم من الجهود التي يبذلها بعض العلماء لاستبعاد جميع صور الإيمان بالآخرة من الطبقة/ الطبقات الأولى في «ق»، وجهودهم الرامية لإفراغ مصطلحات مثل «ملكوت الله» من محتواها الآخروي، إلا أن كل مرحلة من مراحل «ق» تحتوي على بعد آخروي هام، لاسيما أن «ق» يحتوي على إشارات محتملة لرفض يسوع وموته وعودته كابن الإنسان ليحكم العالم. فالأنبياء الذين يعودون إلى القدس يقتلون دائماً كما حدث مع يسوع. ومع ذلك، سينتصر يسوع بطريقة أو بأخرى على معارضة وشك أورشليم: «والحق أقول لكم: إنكم لا ترونني حتى يأتي وقت تقولون فيه: مبارك الآتي باسم الرب» (لوقا 13: 34 – 35).

يتجلى افتراض موت يسوع بأبرز صوره في القول بأن على تلاميذه حمل صليبهم والذهاب وراءه (لوقا 14: 27). ولا يمكن تفسير هذا على أنه صورة مجازية للاتباع الصعب دون الإشارة إلى ما حدث حقاً مع يسوع. ربما تأخذ الأقوال الكثيرة التي تتحدث عن اضطهاد أولئك الذين يتبعون يسوع ويبشرون برسالته في الحسبان موت يسوع. كذلك فإن أقوال ابن الإنسان تعرّف يسوع على أنه ابن الإنسان الذي سيأتي في النهاية ليحكم. وحتى في حال قام أحد ما بتصنيف طبقات «ق» وأوكل الأقوال التي تتحدث عن المعاناة لمراحل لاحقة، فإن هذا يدل على أن مجتمع «ق» نفسه أدرك أنه لا بد من استكمال مجموعة الأقوال الواردة في «ق» بفهم موت يسوع إلى حد ما. فأساس هذا هو الربط القوي الذي شكله «ق» بين شخص يسوع وبين تعاليمه. لذلك وعلى الرغم من أن «ق» كما ذكرنا لا تحتوي على سرد يتحدث عن الآلام أو القيامة، وربما لم يحتوِ على ذلك أبداً، لا ينبغي أن يؤخذ هذا النقص على أنه يعني أن «ق» ومجتمعها قلل أو لم يقدر أهمية موت يسوع وقيامته، ناهيك عن أنهم لم يكونوا يجهلون ذلك. كما أن الدليل الموجود بين أيدينا لا يسمح بمثل هذا الاستنتاج الواسع وربما يشير إلى الاتجاه المعاكس.

النتيجة

سيبقى على الأرجح وجود مصادر الأناجيل وقيمتها مواضيع حية للنقاش في البحوث التي تتطرق للعهد الجديد. بعضهم يقبل بـ «ل»، حيث تجرى بحوث مؤخراً تستند إليه. وربما يبقى «م» مصدراً وحيداً لمتّى. فمصدر إشارات يوحنا مقبول على نطاق واسع، إلا أن نطاقه موضع نزاع. كما أن «ق» مقبول كجزء من حل مشكلة الأناجيل السينوبتية، إلا أن الكثير من الجدل يخيم على أصله وتطوره وتفسيره. على الرغم من الإجماع الذي يرافق «ق» ويرافق «ل» ويرافق مصدر الإشارات الخاص بيوحنا إلى درجة أقل بكثير، تبقى هذه المصادر افتراضية. فمهما كانت درجة الإجماع لا يمكن لها التوصل إلى اليقين في هذا الصدد، ويمكن للطبيعية الافتراضية لهذه المصادر أن تنقشع فقط عن طريق اكتشاف وثائق حقيقية أو مراجع موثوقة لها في وثائق أخرى غير مكتشفة، وهذا أمر غير مرجح. وعلاوة على ذلك، قد تكون هذه المصادر ناقصة. فنحن نعرفها فقط لأن الأناجيل استخدمتها، ولا نعرف فيما لو كانوا قد استخدموها بالكامل. ولا يمكننا إعادة بناء الصياغة الدقيقة لنصل لدرجة اليقين، ولا نستطيع التأكد من ترتيبهم الداخلي الصحيح. فينبغي دائماً إبقاء الطبيعية الافتراضية لهذه المصادر المعاد بناؤها نصب أعيننا. ولنأخذ مثالاً صغيراً، في رأيي ينبغي الاستشهاد بفقرات «ق» بصيغة: لوقا (فصل كذا، آية كذا)، أو لوقا (فصل كذا، آية كذا) «ق»، وليس بصيغة: «ق» (فصل كذا، آية كذا).

كما ينبغي على البحوث أيضاً الترحيب بالأصوات المعارضة التي تتحدى وجود هذه المصادر، والطريقة التي أعاد بها النقاد بناء هذه المصادر، واستخدام البحوث التي تجرى على العهد الجديد لتلك المصادر. كما ينبغي على نقاد المصادر توخي الحذر في أعمالهم. وعلى الرغم من تطبيق أي عملية نقدية على مصادر الأناجيل بعناية، إلا أن ذلك يبقى محاولة ضرورية وغالباً ما تكون مثمرة. قد يرفض الرافضون ذلك تماماً معتبرين ذلك مشروعاً افتراضياً بطبيعته، لكن من الناحية الثانية، تبقى أي نظرية مصممة لتفسير المشكلة المتعلقة بالأناجيل السينوبتية نظرية افتراضية، حيث ينشأ نقد المصادر إلى حد كبير من النص نفسه وهو محاولة لإيجاد حل لألغازه. كما أن المقترحات الراديكالية هي موضع ترحيب باعتبارها جزءاً من النقاش الدائر حول أصول المسيحية. وطالما أن الفرضيات تخضع لعمليات اختبار، وأن الأمور الافتراضية يتم مقارنتها مع ما هو معروف نسبياً أنه يتحلى بمزيد من اليقين، فبصورة عامة ينبغي المضي قدماً في المناقشة.

ما يزال يشكل البحث في «ل» وفي مصدر إشارات يوحنا ثقلاً مقابلاً لكن أقل قيمة بالنسبة للبحث الذي يجرى على «ق». وكما رأينا، يتمتع «ل» بنفس قدر إدعاء «ق» أو أكثر بأنه يحتفظ بتقاليد يسوع الأصلية. بشكله السردي، وألقابه المسيحانية، ومعجزاته، يقدم مصدر إشارات يوحنا الطباق اللازم لـ «ق». ففي كثير من الأحيان يميل هؤلاء الذين يعززون قيمة «ق» إلى إغفال مصادر الإنجيل الأخرى ويلمحون إلى أن «ق» هو الذي يمثل المجتمع الفلسطيني الأول، لكن لن تتضح المساهمات النسبية لجميع المصادر إلا عند اتخاذ رؤية شاملة لمصادر الأناجيل.

ماذا حدث لهذه المصادر التي لم تعد موجودة؟ من الواضح أنها، وبغض النظر عن كونها استخدمت في الأناجيل، اختفت دون أن تترك أي أثر. فلم ينجُ أي دليل مكتوب، ولم يذكر أي كاتب مسيحي قديم تلك المصادر. كما لا يعتبر هذا الصمت في حد ذاته بالضرورة دليلاً على أنها لم تكن موجودة، كما يدعي مايكل غولدر. إن التفسير الذي يُطرح عادة هو أنه عندما تناول كتاب الأناجيل تلك المصادر، أصبحت قديمة و«فقدت». هذا معقول جداً، لكن المجتمعات التي استخدمتها ونسختها أيضاً اختفت على الأرجح في الكنائس التي استخدمت الأناجيل الكاملة.

أحياناً يكون هناك تمييز بين لاهوت المصادر وبين لاهوت الأناجيل حيث تم الحفاظ عليها. لكن هل استخدم كتّاب متّى ومرقص ولوقا المصادر بصورة تتعارض تماماً مع آرائهم الشخصية؟ هذا بالكاد يكون ممكناً. ينبغي علينا أن نفترض على الأقل بعض التوافق في اللاهوت بين الأناجيل ومصادرها. فاعتماد متّى وتكيفه مع مسيحية حكمة «ق» يوفر قضية بارزة في صميم الموضوع. فقد استخدم كتاب الأناجيل مصادرهم وجمعوها في بعض الأحيان مع مصادر أخرى ودائماً ما كانوا يجمعون معها مساهماتهم الإنشائية الخاصة بهم. لقد وضع «ق» في سياق أوسع، بإطار سردي لتعاليم يسوع المأخوذة إلى حد كبير من مرقص وبسرد عن الآلام والقيامة في النهاية. كما قام لوقا بدمج مصدره «ل» أيضاً، جاعلاً إياه يتفق مع أفكاره الدينية عموماً. وقد استخدم كاتب الإنجيل الرابع مصدر الإشارات في جزء كبير من النصف الأول لعمله، مؤكداً ومصححاً لرؤيته للإشارات أثناء كتابته. وهكذا، قد يكون كتّاب الأناجيل الكنسية نظروا إلى مصادرهم على أنها تقاليد صحيحة عن يسوع، إلا أنها تحتاج إلى الإضافة والتصحيح. وقد يكون هذا جزءاً مما يعنيه لوقا عندما قال إنه تتبع «كل شيء» من الأول بتدقيق (لوقا 1: 3). بطريقة أو بأخرى، واصلت الكنسية هذه العملية عن طريق إدراج أربعة أناجيل في العهد الجديد، وبذلك تبقى تتمتع بأربع وجهات نظر، حتى أن المسيحيين المتعلمين تمتعوا بتنوع أكثر، إذا أردنا التحدث وفق ما يقول نجع حمادي.

تتنوع صورة يسوع التي تنبثق من هذه المصادر. ف «ل» يصور يسوع على أنه المعلم المخول من الله، حيث تدعم معجزاته زعمه. ومصدر إشارات يوحنا يصوره على أنه مسيح الله،

حيث يجلب الإيمان به الحياة. أما «ق» فيصوره على أنه وكيل الله في الملكوت. وتنخفض مسيحانية هذه المصادر بالمقارنة مع المسيحانية الكاملة للأناجيل، لكن هذا أمر متوقع. فجميع المصادر تتحدث عن العلاقة بين تعاليم وأعمال يسوع وبين شخصه. فكلهم يدعون أن يسوع هو رسول الله المخول، ويصرون على أن موقف الشخص تجاه رسالة يسوع وشخصه تحدد موقف هذا الشخص من الله. وبهذا المعنى، فهم لا يمثلون «حركات يسوع» وإنما يمثلون المسيحية. رؤية يسوع هذه مهمة عندما نفكر بالطريقة التي نظر فيها أولئك الذين قرؤوا تلك المصادر إلى موت يسوع وقيامته. فلو كانت تعاليم يسوع مهمة في «ق» فقط، ولو لم يكن يسوع هو «وسيط» لحكم الله، حينها لن تكون حياته وموته وقيامته ذات أهمية. لكن في حال كان شخصه وتعاليمه مرتبطين ببعضهما بعضاً، حينها سيكون الباب مفتوحاً أمام هذه الوثائق ومجتمعاتها للانضمام إلى الأناجيل المتطورة والكاملة وكنائسها التي صنعت هذا الارتباط.

أخيراً، هل ينبغي لنا أن نعيد بناء المسيحية الحديثة على أساس مصادر تعود لحقبة ما قبل الفترة الكنسية؟ هل ينبغي، على سبيل المثال، إدخال «ق» إلى القانون الكنسي للعهد الجديد؟ لقد أصر روبرت فنك على برنامج كهذا. إن هذا الأمر يعد إلى حد كبير مسألة لاهوتية، حيث لا يمكن للدراسة التاريخية إلا أن تقدم إجابة جزئية فقط. ومع ذلك ونظراً لأن طبيعة المعتقد المسيحي يستند إلى التاريخ، تعتبر هذه القضية قضية مهمة، وينبغي أخذ المحاذير الأربعة التالية بعين الاعتبار.

أولاً، ما هو التفسير الذي ينبغي على المسيحية الاستناد إليه من بين هذه التفاسير الكثيرة لـ «ق»؟

ثانياً، إذا تم «إعادة النظر» في المسيحية على أساس «ق» فإن ذلك يعني تجاهل المصادر الأخرى التي جاءت قبل الفترة الكنسية التي تقدم أيضاً رؤية مبكرة ليسوع.

ثالثاً، إذا تم تغيير المسيحية على أساس البحث التاريخي فقط فذلك يعني تجاهل قيود المعرفة التاريخية. إن كانت عمليات البحث غير قادرة على اكتشاف متى ومن هو الذي أطلق المصطلح «ق» في القرن التاسع عشر بصورة أكيدة، وبالضبط ما الذي يعنيه هذا المصطلح بالنسبة لأولئك الذين استخدموه لأول مرة، كيف يمكن لعمليات البحث إعادة بناء وثيقة «ق» التي تعود للقرن الأول بدرجة من اليقين حيث سيخاطر الناس بحياتهم هذه وحياتهم الثانية بناءً عليها؟

رابعاً، ينبغي على المرء، عند التفكير ملياً في احتمالية إعادة بناء أصول المسيحية، النظر في الاستبعاد المتزايد لتلك الاحتمالات التي ترتكز على فرضيات متتالية ومتعددة. وتنص نظرية الاحتمالات على أن احتمالية التوصل إلى نتيجة تتم عن طريق مضاعفة احتمالات كل حلقة في

السلسلة التي تفضي إلى الاستنتاج. في هذه الحالة ترتكز نتيجة أن المجتمع الأول لـ «ق» يمثل أفضل نموذج للمسيحية على خمسة افتراضات على التوالي:

1- أولوية مرقص.

2- وجود «ق».

3- إعادة بناء صياغة «ق».

4- التصنيف الطبقي الصحيح لـ «ق».

5- الحكم النسبي بأن نسخة «ق» الأولى هي النسخة الأكثر تمثيلاً لتعاليم يسوع بالمقارنة مع غيرها من المؤلفات المسيحية الأولى.

ولمواصلة المسير نحو (5) في الوقت الذي يقبل فيه علماء العهد الجديد بـ (1) و(2)، يجب جعل هذا الموقف أكثر غموضاً والتباساً وبصورة متسارعة. وهذا لا يعني أنه لا يمكن أو لا ينبغي القيام بذلك، بل يعني أنه ينبغي على هؤلاء الذين يواصلون المسير نحو (3) و(4) و(5) الاعتراف بالضعف المتزايد لمواقفهم. وسينشغل مستقبل دراسات «ق» بكل الاحتمالات بمسألة أهمية «ق» القديمة والحديثة.

الفصل الخامس

يسوع في كتابات ما بعد العهد الجديد

في هذا الفصل الأخير، سنقوم بدراسة وثائق مسيحية تم كتابتها بعد العهد الجديد تشهد على يسوع التاريخي. أولاً، سنقوم بدراسة الأغرافا، وهي أقوال يسوع التي لم يتم «كتابتها» في الأناجيل الكنسية. ومن ثم سنقدم لمحة عامة عن كتابات نجع حمادي، كما سنقدم معالجة للوثيقة الأكثر أهمية بالنسبة لموضوعنا: إنجيل توما. وبعد ذلك، سنقوم بدراسة الأسفار الدينية التي لم يشملها العهد الجديد، لاسيما وثيقتين تظهران في البحوث التي أجريت مؤخراً على يسوع التاريخي: إنجيل بطرس وإنجيل مرقص السري. أخيراً، سندرس وثيقة يهودية مسيحية من الاعترافات الكليمنتية الكاذبة، وصعود يعقوب الذي يحتوي على شهادة أكمل ليسوع.

إن حجم الكتابات التي يتناولها هذا الفصل كبير جداً، وقد ازدادت الكتابات الثانوية بسرعة منذ نحو عام 1960. ونظراً لهذا الحجم، سنقوم بانتقاء التقاليد التي تسرد الآلام الواردة في هذه الوثائق من أجل أن نتناولها بصورة خاصة. وهنا وكما هو الحال في الفصول السابقة، سينصب تركيزنا على ما تقوله هذه المصادر عن يسوع التاريخي، وعلى قيمة معلومات هذه الوثائق في فهمه.

الأغرافا: أقوال يسوع المتفرقة

لم يكن ممكناً للأناجيل الكنسية الأربعة جمع كل شيء قام به يسوع أو قاله خلال تأدية رسالته، أو حتى ما تذكره الكنيسة الأولى عنه. فهذه الأناجيل لا تحتوي إلا على مقتطفات من تقاليد يسوع، وعندما ينظر المرء إلى التداخل الواسع في المحتويات، سيجد أن هذه المحتويات ضئيلة. توضح الآية (21: 25) من إنجيل يوحنا هذه الانتقائية، وتفسرها على أنه إذا تم تسجيل كل الأشياء التي قام بها يسوع، عندها لن يكون العالم قادراً على احتواء الكتب التي كانت ستكتب. ويتفق الباحثون بصورة عامة: على أنه تم الحفاظ على تدفق كبير من التقاليد الشفوية، حيث تم إخضاعها للتنسيق والتنظيم. ويقول كثيرون: إنه تم تحديد أقوال يسوع وأفعاله ليتم استخدام كل ذلك في الكنيسة. ولم ينضب هذا التدفق عندما تمت كتابة الأناجيل الكنسية بين عامي 70 إلى 100 م. بل استمر في التدفق خلال سنوات المسيحية الأولى، إلى جانب الكتابات المدونة والمستقلة عنها على حد سواء. ورغم كل ذلك، قام يسوع بالتعليم من خلال «صوته الحي»، وحافظت الكنيسة الأولى واستخدمت تعاليمه إلى حد بعيد مع الصوت الحي، حيث فضل ذلك بعض قادة الكنيسة في القرن الثاني مثل بابياس. وقد كانت التقاليد الشفوية لأقوال يسوع بارزة في كل فترة من فترات العهد الجديد، وفي تاريخ الكنيسة التالية في القرن الرابع، وأحياناً ما كانت تجد طريقها إلى كتابات المسيحيين. فهم يقدمون لنا لمحة قد تكون كاملة عن يسوع.

إن الكلمة اليونانية «أغرافا» تعني حرفياً: «أشياء غير مكتوبة». فهي مصطلح غريب ومضلل إلى حد ما، لأنه إذا كانت هذه الأقوال فعلاً غير مكتوبة، لما تم الحفاظ عليها على مدى ألفي عام. تشير الأغرافا في دراسة الكتابات المسيحية الأولى بصورة أساسية إلى التقاليد التي تتحدث عن يسوع ولم يتم كتابتها في الأناجيل الكنسية، إلا أنها وجدت طريقها من خلال عمليات الاقتباس التي وردت في كتابات أخرى للمسيحيين الأوائل. وعلى الرغم من أن المصطلح يمكن أن يشير إلى الأعمال التي قام بها يسوع أو إلى الروايات السردية عنه، إلا أنه يبقى في الغالب يشير إلى الأقوال التي تم الاستشهاد بها والحفاظ عليها. إن تلخيص سبب ذلك ليس صعباً. الأقوال وحدها أو الأقوال التي تُسبق بمقدمة قصيرة لإغناء السياق الضروري، أسهل على الحفظ والاستشهاد من الروايات السردية. فعلى سبيل المثال: وُجدت كمية قليلة من الأغرافا في العهد الجديد، فالإصحاح(20 : 35) يشير إلى قول ليسوع نقله بولس: «إنه لمن المبارك أن تعطي أكثر من أن تأخذ». ويشير بولس نفسه في مناسبة نادرة إشارة صريحة إلى أقوال يسوع (1 كورنثوس 7:

10، 9:14، 11: 24–25، كلمات قربانية)، وربما رسالة (ثيسالونيانز الأولى 4: 15–17). كذلك، تتكرر بعض الأغرافا في القراءات المختلفة لمخطوطات العهد الجديد. على سبيل المثال، هناك قراءة مختلفة للوقا (6: 5) في مخطوطة بزا من القرن الخامس، تقول:

في نفس اليوم، عندما رأى أحد الرجال يعمل في يوم السبت، قال له يسوع: «أيها الرجل، إذا كنت تعرف حقاً ما أنت فاعل، فأنت سعيد، لكن إذا لم تكن كذلك، فأنت رجيم وتنتهك القانون». إن أفضل مثال معروف عن كتابات الأغرافا السردية هي قصة المرأة التي وقعت في الزنا، القصة المحفوظة في بعض مخطوطات (يوحنا 7: 53 – 8: 11)، وهي تقليد غير موجود في أفضل مخطوطات يوحنا.

وسننظر أثناء تناولنا للأغرافا في أقوال يسوع غير المكتوبة التي سجلها آباء الكنيسة، بالإضافة إلى تلك الأقوال الموجودة في الكتب القديمة للعهد الجديد. فتدعي عدة مقاطع جاءت عن آباء الكنيسة الأوائل، على سبيل المثال: بابياس، جاستن الشهيد، ترتوليان، إكليمندس الإسكندري، وآخرون، أنها تحتوي على أقوال يسوع التي ربما جاءت من تقليد شفهي موثوق. فبعض الاستشهادات جاءت في وقت أبكر من غيرها، إلا أن هذه الاستشهادات وحدها لا تتضمن الأصالة. فقد كتب بابياس (60 – 130)، وهو أسقف هيرابوليس في فريجية، تفسيراً لكلمات الرب يقع في خمسة كتب أسماها: «الصوت الحي والباقي»، حيث كان الهدف منها جمع كل التقاليد الشفوية ليسوع، وهذا عمل غير موجود في الكتابات المسيحية. وهذا الكتاب مفقود حالياً، إلا أن إيريناوس اقتبسه في القرن الثاني، وكذلك الأمر بالنسبة ليوسبيوس في القرن الرابع. وإذا أردنا الحكم عليه من خلال نوعية الاقتباسات القليلة التي بقيت، فقيمة الكتاب لا تذكر. وقيل الشيء ذاته على القسم الأكبر للأغرافا التي بقيت على قيد الحياة. ويمكننا الاطلاع على بعض العينات من الأقوال القليلة ليسوع المشكوك في صحتها من أجل إظهار الطابع العام لها:

ستأتي الأيام عندما تحمل كل شجرة عنب 10000 غصن، وكل غص يحمل 10000 غصين، وكل غصين يحمل 10000 عنقود، وكل عنقود يحمل 10000 حبة عنب، وكل حبة عنبة عندما تُعصر ستنتج خمسة وعشرين مقداراً من الخمر. عندما يمسك أي قديس بأي عنقود، سيصرخ عنقود آخر: أنا عنقود أفضل، خذني! بارك الرب من خلالي.! وبالمثل، فإن حبة القمح ستنتج 10000 سنبلة، وكل سنبلة ستحمل 10000 حبة، وكل حبة ستنتج عشرة أرطال من الدقيق الفاخر النقي اللامع. وستصبح غيرها من الفواكه والبذور والأعشاب مثمرة وفقاً لطبيعتها بصورة نسبية. وستعيش جميع الحيوانات التي تتغذى على منتجات هذه التربة بسلام وانسجام مع بعضها البعض، وستخضع خضوعاً كاملاً للبشر. (إرنايوس، ضد الهرطقات 5. 33. 3).

والد الرب وإخوته يقولون له: يوحنا المعمدان يُعمد لمغفرة الخطايا. دعنا نذهب ليعمدنا. لكنه قال لهم: هل ارتكبت آثاماً، من أجل أن أذهب ليعمدني؟ إلا هذا الشيء الذي قلته للتو فهو خطيئة الجهل. (جيروم، حوار ضد البيلاجيين 3. 2، نقلاً عن إنجيل النصارى المفقود).

يشبه ملكوت الآب امرأً يريد قتل صاحب سلطان، وبينما هو في بيته، امتشق سيفه وطعن الجدار ليتأكد من قوة ساعده، ثم قتل صاحب السلطان. (إنجيل توما 98).

إن إخوتي وورثتي هم أولئك الذين ينفذون رغبة والدي، وبالتالي لا تصيح لأحد والدي على الأرض، لأن هناك سادة على الأرض، لكن الآب في السماء، ومنه تنحدر جميع العائلات سواءً كانت في السماء أو على الأرض. (إكليمندس، قصيدة الأنبياء 20).

أنا البوابة الحقيقية. (هيبوليتوس، التفنيد 5. 8. 20).

هذه هي الأغرافا التي كانت تخضع للفحص في معظم الأحيان من أجل موثوقيتها الممكنة:

اطلب الأشياء العظيمة، وسيمنحك الله ما هو صغير. (إكليمندس الإسكندري، ستروماتا 1. 24. 158).

اطلب الأشياء العظيمة، وسيتم منحك الأشياء الصغيرة، اطلب الأشياء السماوية، وسيتم منحك الأشياء الدنيوية. (أوريجانوس، في الصلاة 2).

القريب مني قريب من النار، والبعيد عني بعيد عن الملكوت. (أوريجانوس، مواعظ عن إرميا 3. 3، إنجيل توما 82).

سيأتي الكثيرون باسمي مرتدين من الخارج ملابس من جلود الغنم، لكنهم من الداخل ذئاب ضارية. (جاستن، حوار مع تريفون 35: 3).

سيكون هناك انقسامات وهرطقات. (جاستن، حوار مع تريفون 35: 3).

إن تم تجميعكم معي في حضني ولم تحافظوا على وصاياي، فسوف أطردكم وأقول لكم: اذهبوا عني! لا أعرف من أين جئتم، أنتم مرتكبو الخطيئة. (2 كليمنت).

لا يمكن لأحد الحصول على ملكوت السماء إن لم يفتتن. (ترتليان، في المعمودية 20).

لقد اخترت لنفسي الأفضل، أفضل أولئك الذين أعطاني إياهم أبي في السماء. (أوسابيوس من قيصرية، التجلي الإلهي 4. 12، نقلاً عن الإنجيل بحسب العبرانيين).

الذي يقف اليوم بعيداً سيكون غداً بالقرب مني. (أوكسيرينخوس بابيروس 1224).

وأخيراً يأتي هذا القول الذي يعد من أكثر أقوال الأغرافا إثارة والأكثر مناقشة:

كونوا صرافي نقود أكفاء! (أوريجانوس، تعليق على يوحنا 19. 7. 12، المواعظ 2. 51. 1، 3. 50. 2، 18. 20. 4، الكثير من آباء الكنيسة، بالمجمل نحو سبعين استشهاد أو تلميح).

كيف يمكن تقييم الأغرافا في مسيرة البحث عن يسوع التاريخي؟ فقد توصل معظم العلماء الذين عملوا على هذه التقييمات إلى استنتاج سلبي بالكامل فيما يتعلق بمصداقيتها. حتى أن العملية هي عملية سلبية ومستبعدة، وإن هذه الأقوال التي يمكن تفسيرها على أنها صدرت عن يسوع تلاشت قبل كل شيء. إن المعايير المستخدمة في المقام الأول هي تلك التي تتعلق بالمحتوى، التي تتخلص من الأقوال التي تم تضمينها في القصص السردية الأسطورية فيما بعد، على سبيل المثال، والتي هي بكل وضوح غنوصية، أو مستمدة من جدليات القرن الثاني، ومن تلك المتعلقة بتاريخ التقليد، التي تستبعد، على سبيل المثال: الأقوال التي تعتمد من الناحية الأدبية على الأناجيل الكنسية، أو تلك التي نشأت بصورة واضحة في كتابات أخرى. إن المجموعة الأولى من الأغرافا التي ذكرت أعلاه تندرج في هاتين الفئتين.

يختلف العلماء في تطبيق هذه المعايير، فبعضهم يستبعد ببساطة قولاً مثل: «إنه لمن المبارك أن تعطي أكثر من أن تأخذ». لأنه يعكس الحكمة اليهودية واليونانية الرومانية، حتى وإن كان القول يبدو أنه ينسجم شكلاً ومضموناً مع رسالة يسوع الحقيقية. في الوقت الذي عادةً ما يظهر فيه أن أقوال الحكمة العامة قد تم إدراجها في التقليد المسيحي، لا يمكن أن يكون هذا هو الوضع دائماً. إذا تم استبعاد كل شيء يحمل توجه الحكمة الشائعة، سيكون ذلك بمثابة أن نفترض خطأً أن يسوع لم يستخدم نهائياً الحكمة الشائعة حوله. وبعد تطبيق معياري المصداقية، يتم اختبار تلك الأقوال المتبقية وفق مواد يسوع المفترض أن تكون حقيقية في الأناجيل الكنسية.

في النهاية، قد يكون عدد من الأغرافا حقيقياً، وعلى الأرجح قلة مختارة من تلك الأغرافا، إلا أن الغالبية العظمى منها غير حقيقية نهائياً. ومع التيار الواسع للتقليد الشفوي والاهتمام بأقوال يسوع في الكنيسة الأولى، نتوقع أن يكون الكثير من تلك الأقوال حقيقياً، إلا أن هناك عدة أسباب لا تجعل القضية كذلك.

أولاً، الحفاظ على هذه الأقوال يرجع إلى حد ما إلى المصادفة التاريخية. ويعود فضل الاستشهاد بتلك الأقوال في الكتابات المسيحية إلى قضايا لاهوتية في القرون الأربعة التالية، وليس نظراً للاهتمام بأقوال يسوع في حد ذاتها. كما لم يتم الحفاظ على هذه الكتابات نظراً لأقوال يسوع التي احتوت عليها. وبالتالي، ليس لدينا أي طريقة يمكننا من خلالها أن نعرف على وجه اليقين إن كانت تلك الأقوال التي بقيت على قيد الحياة تمثل تلك التي لم تعد موجودة.

ثانياً، عادة ما تأتي هذه الأقوال بسياق وجيز أو معدوم، وبالتالي يكون الأمر أكثر صعوبة إذا ما أردنا التأكد من صحة ادعاءات هذه الأقوال. أحياناً يشير الكتّاب الذي يقتبسون تلك الأقوال إلى مكانها في العهد الجديد، لكن ليس دائماً. فتلك الأقوال هي حقاً «أقوال معزولة» كما وصفها أوتفريد هوفياس، وعزلتها تلك تجعل تفسيرها صعباً.

ثالثاً، على الرغم من أنه تم نقل هذه الأقوال على أنها ممعنة في القدم، إلا أنه تم تسجيلها بعد يسوع بفترة زمنية لا بأس بها. لكن لا يشكل هذا الأمر ضربة تلقائية لمصداقيتها، لأنه يمكن للتقليد الشفوي أن يكون متوازناً ومطابقاً للأصل لفترة طويلة. ومع ذلك، تنطبق القاعدة التاريخية العامة: كلما كان التقليد أقرب، سواءً كان مكتوباً أو شفوياً ولا يفتقد إلى أصله المزعوم، كلما كان أفضل.

رابعاً، كما مر سابقاً فأساس المقارنة هو أقوال يسوع في الأناجيل الكنسية، وعادة ما تكون الأناجيل السينوبتية، وهذا يعني أن الأقوال التي تختلف اختلافاً كبيراً من حيث الشكل أو المضمون من المرجح أن تكون مستبعدة على الرغم من أنها قد تكون حقيقية. وعلاوة على ذلك، يعني ذلك أن إمكانية الحصول على أي مناظير جديدة وهامة تتعلق بيسوع من الأغرافا تصبح بعيدة المنال. باختصار، في حين أن الحكم على حقيقية أقوال الأناجيل الكنسية صعب بما فيه الكفاية، إلا أن الحكم على حقيقة الأغرافا يعد تحدياً أكبر بكثير.

عندما يطبق الباحثون الحاليون هذه المعايير الصارمة يكون هناك نتائج هزيلة. فقد حدد يواكيم جيريمياس ثماني عشرة أغرافا يمكن أن تكون أقوالاً حقيقية ليسوع، تم اقتباس معظمها أعلاه، إلا أن هوفياس قلص تلك القائمة إلى سبع. ووفقاً لأي عدد من هذين العددين، تمثل الأقوال التي يمكن أن تكون حقيقية قسماً صغيراً للغاية من إجمالي الإغرافا. ويقول هوفياس إن الأقوال الوحيدة غير المشتقة فيما يتعلق بتاريخ التقليد، والتي يحق لها أن تكون حقيقية، هي تلك الأقوال الواردة في مخطوطة بزا، وقول «القريب مني / البعيد عني» من أوريجانوس وإنجيل توما، والقول من بابيروس أوكسيرينخوس، والقول الوارد في إنجيل العبرانيين. وأفضل طريقة لتفسير الأقوال الأخرى هي أنها اختلافات أو اندماجات بين مقاطع العهد الجديد. ولهذه النتيجة الهزيلة معنيان. الأول هو أن الجزء

الأكبر من الأغرافا الذي لا يمكن له الإدعاء بأنه حقيقي يصبح أكثر فائدة في فهم المجموعات المختلفة في بداية المسيحية التي قامت بإنتاجه. هذه هي المهمة الرئيسية للدراسة العلمية للأغرافا. أما المعنى الثاني فهو عندما يتم وزن هذه الأقوال السبعة أو الثمانية عشر، فإنها تضيف أقل القليل من حيث الكمية أو النوعية إلى التعاليم الكنسية ليسوع. وصحيح ما توصل إليه أحدث مسح قام به جون ماير أن تلك الأقوال لا تضيف شيئاً جديداً إلى تصورنا عن يسوع.

أدب نجع حمادي: «يسوع مفشي المعرفة الخفية».

لقد أحدث اكتشاف مكتبة نجع حمادي عام 1945 تغييراً كاملاً في معرفتنا بالأدب الغنوصي[116] . علاوة على ذلك، وكما كتب يوهانس فان أورت، فإن هذا الاكتشاف أحدث إلى حد كبير تغييراً فيما نعرفه عن بداية المسيحية. الآن أصبح بإمكان العلماء قراءة ما كان يقوله الغنوصيون لأنفسهم حول رؤيتهم ليسوع وحول شكل المسيحية الخاصة بهم، دون الحاجة للاعتماد على شهادات محدودة ومثيرة للجدل حولهم من ممثلي «الأرثوذكسية» الناشئة، أي، المهرطقين مثل إرينيوس وتيرتوليان. على الرغم من أن الغنوصيين أنفسهم أطلقوا على معظم كتاباتهم «أناجيل» وألفوها إلى حد ما لتكون مطابقة لأناجيل خصومهم في الكنيسة العظمى، إلا أن هذه الأناجيل غير سردية بصورة ملحوظة. فمعظمها منسجم إلى حد أبعد بكثير حتى من «ق» مع نمط «إنجيل الأقوال» الخالصة. وغرضهم من ذلك نقل المعرفة الخفية «الغنوصية» للمسيح المرفوع، وليس سرد حياة يسوع وموته ووضع تعاليمه بذلك السياق السردي[117] .

بالنسبة للجزء الأكبر، ينظر الغنوصيون إلى الخلاص خارج التاريخ، لذلك يبحث المرء عبثاً عن الروايات السردية التي تتحدث عن حياة يسوع وآلامه وقيامته في أناجيلهم التي ما تزال على قيد الحياة. فهل يعني هذا الغياب للروايات السردية عن الآلام أن الغنوصيين يتجاهلون دائماً موت يسوع ويسقطون قيمته من أجل معتقدهم؟ هذا ما يتهمهم به قادة التيار الذي سيصبح التيار السائد، ألا وهم قادة المسيحية الأرثوذكسية. بالنسبة للأرثوذكس، تعد آلام يسوع مركز المسيحية. فأناجيلهم روت ذلك على نحو كامل، وقد تم سرد نسخة أقصر من تلك الواردة في العقائد المتطورة في كل احتفال من احتفالات القربان المقدس. وقد أظهرت الدراسات البحثية مؤخراً بعض التنوع المهم داخل رؤية الغنوصيين لموت يسوع. ففي حين أن معظم الوثائق الغنوصية تنكر بالفعل أي أهمية خلاصية تتعلق بموت يسوع، مفسرين ذلك على نحو غنوصي عندما لا يتجاهلونه كلياً أو يقللون من شأنه، إلا أن هناك القليل من الكتابات الغنوصية التي تنظر بإيجابية إلى الآلام. ربما جاء أبرزها في القرن الثاني أو الثالث من خلال أوبوكريفا جيمس، حيث يقوم يسوع المرفوع بتعليم جيمس:

إذا كان الشيطان يضطهدك ويضايقك، وقمت بتنفيذ وصيته (وصية الآب)، أقول إنه سوف يحبك ويجعلك مساوياً لي... لذا ألن تتوقف عن محبة اللحم؟ والخوف من التعرض للمعاناة؟ ألست

تعلم أنك ستتعرض لسوء المعاملة؟ وتتهم ظلماً وعدواناً وترمى في السجن، وتدان بصورة غير مشروعة، وتُصلب من دون مسوغ، وتدفن كما دفنت، على أيدي الشر؟ هل تجرؤ على الحفاظ على اللحم؟ الروح من أجلك هي الحائط المسور، بصدق أقول لك: لن يتم إنقاذ أحد حتى يؤمن بصلبي... لذلك، قم بازدراء الموت وفكر في الحياة! تذكر صلبي وموتي، سوف تعيش. (4: 37 – 5: 35).

يربط هذا التعليم معاناة يسوع وموته بمعاناة أتباع الغنوصية وموتهم. ويؤكد على واقع آلام يسوع ويعتبره نمطاً للأتباع الذين تعرضوا للاضطهاد. فموت يسوع ليس تضحية للتكفير عن الخطيئة، لكنه نموذج يمثل كيف أن أحداً من خلال الشهادة يدمر الجسد ويحرر الروح. إن ظهور هذه الرؤية الغنوصية الإيجابية للشهادة في كتاب سري موجه إلى يعقوب ليس من قبيل الصدفة. هذا هو يعقوب البار، أخو يسوع، حيث كان زعيماً في كنيسة القدس الأولى، وكان معروفاً في القرون اللاحقة بالشهيد الشهير (على الرغم من أن استشهاده ليس صريحاً في هذا الكتاب).

لقد درست إلين باجلز بعناية وجهات نظر شخصية لآلام يسوع في المسيحية الأرثوذكسية الناشئة وفي الغنوصية، وقد خلصت إلى أن وجهات النظر هذه هي بمثابة «نماذج للردود المسيحية على الاضطهاد». وقد وافق المسيحيون الأرثوذكس على الشهادة وربطوها بالموت المنقذ ليسوع، لكن المسيحيين الغنوصيين تجاهلوا الشهادة وأنكروا كلاً من واقع موت يسوع وأهميته الافتدائية. إن تحليل باجلز منحصر بالقرنين الثاني والثالث ويعني أن الفهم الأرثوذكسي لتقليد موت يسوع يظهر من جديد في القرن الثاني رداً على الغنوصية. وبذلك يثار السؤال: هل يعكس هذا النقاش الأخير قلق المسيحية في القرن الأول من علاقة موت يسوع واضطهاد المسيحيين واستشهادهم؟ وترتبط الكتابات الأولى للعهد الجديد، رسالة ثيسالونيانز الأولى، «محاكاتنا مع الرب» بالمعاناة (1: 6، 2: 14 – 16 [مصداقيتها محل نزاع]، 3: 3 – 5). أما «ق» فيربط بصورة أوثق بين الاثنين في كلام يسوع حول حمل الصليب واتباعه (لوقا: 14: 27). ويؤكد إنجيل مرقص على الاتباع عن طريق الصليب (8: 34). في البداية، يربط بطرس معاناة المؤمن الصادقة بمعاناة يسوع المسيح، قائلاً «من أجل هذه [المعاناة] استدعيت، لأن يسوع المسيح عانى من أجلك أيضاً، تاركاً لك مثالاً تحتذي به.» (2: 21).

يمكن إيراد الكثير من هذه الأمثلة، لكن قيل ما فيه الكفاية لإظهار أن المسيحيين في القرن الأول كانوا يربطون بصورة وثيقة بين موت يسوع وبين موت المسيحيين تحت الاضطهاد، مؤكدين على أهمية (وضمنياً، حقيقة) كليهما. لا يوجد دليل واضح من العهد الجديد يظهر كيف كان المسيحيون الغنوصيون الأوائل ينظرون إلى الاستشهاد، فلم تظهر وجهة نظرهم حتى القرن الثاني.

فأي تحليل لهذا الموضوع في القرن الثاني والثالث لن يكون كاملاً دون تتبع أسلافه في كتابات مسيحية سابقة، حيث تمتاز هذه الأسلاف بأهمية خاصة إذا ما سعى أحد ما لاستخدام هذه القضية للإجابة عن سؤال أهم وأشمل فيما إذا كانت الغنوصية التي تطورت بصورة كاملة في القرن الثاني هي الوريثة الشرعية لفرق المسيحية في القرن الأول. ويصبح هذا السؤال دقيقاً عند تقييم إنجيل توما الذي سنناقشه الآن.

إنجيل توما

إن إنجيل توما الذي فُقد لفترة طويلة، وكان هيبوليتوس وأوريجانوس قد روياه، تم اكتشافه من جديد في عام 1945 بين وثائق نجع حمادي. ويقول التذييل المكتوب باللغة القبطية: «إنجيل توما»، وهو يبدأ: «هذه هي الكلمات الخفيَّة التي نطق بها يسوع الحيُّ، ودوَّنها يهوذا توما التوأم». وتضم هذه الوثيقة 114 قولاً ليسوع وفقاً للتقسيم العلمي الحديث. وتأتي هذه الأقوال بأشكال متعددة: أمثال وغيرها من أقوال الحكمة، حكايات رمزية، أقوال نبوية، وحوارات مختصرة جداً. ويتطابق عملياً نحو ربع هذه الأقوال، عادة الأقوال القصيرة، مع أقوال واردة في الأناجيل السينوبتية. ويتشابه تقريباً نحو نصف الأقوال مع تلك الواردة في الأناجيل الكنسية، وما يتراوح بين ربع إلى ثلث الأقوال هي أقوال غنوصية واضحة لكن بصورة لاهوتية مختلفة عن البقية. وكثيراً ما تنظم كلمات تثير الاهتمام هذه الأقوال.

فإنجيل توما لا يحتوي على عناوين مسيحانية، ولا مواد سردية، ولا يشير أي ذكر ضمن الأقوال الواردة فيه إلى أي عمل قام به يسوع ولا يشير إلى أي حادث في حياته. فهو مؤرخ بعد الـ70 وقبل 140 تقريباً، الفترة التي حددها علماء الآثار للوثائق المكتوبة على ورق البردي، حيث يصعب التوصل إلى المزيد من الدقة خلال هذه الفترة، على الرغم من أن أغلبية المفسرين حددوا تاريخ كتابته في القرن الثاني، مدركين أن الكثير من تقاليده الشفهية تعود لفترة أقدم بكثير من تلك الفترة. وحددت الأغلبية أن كتابته تمت في سورية، حيث كانت تقاليد توما، المؤلف المتخيل لهذا الكتاب، قوية. كما يظهر العمل في القول 12 أصلاً يهودياً مسيحياً عندما يتم مدح يعقوب أخي يسوع، ومن هناك ينتقل إلى ما هو أبعد: المسيحية اللايهودية (القول 53، التطهير الروحاني).

من بين الأناجيل غير المدرجة في القانون الكنسي، يعد إنجيل توما، على أكثر تقدير، بأنه الإنجيل الذي يدعي أنه يحتفظ بعدد كبير من أقوال يسوع الحقيقية. وهنا النص الكامل لإنجيل توما:

هذه هي الكلمات الخفيَّة التي نطق بها يسوع الحيُّ ودوَّنها يهوذا توما التوأم.

1- قال: من يكتشف تأويل هذه الأقوال لن يذوق الموت.

2- قال يسوع: مَنْ يطلب فلا يستنكف عن الطلب إلى أن يجد، وحين يجد سوف يضطرب، وعندما يضطرب سوف يَعْجَب ويسود على الكل.

3- قال يسوع: إذا قال لكم قادتكم: هو ذا الملكوت في السماء، فسوف تسبقكم طيور السماء. إذا قالوا لكم: إنه في البحر، فسوف تسبقكم الأسماك. الملكوت بالأحرى في داخلكم وهو في خارجكم.

عندما تعرفون أنفسكم، إذ ذاك ستُعرَفون، وتَفهمون أنكم أنتم أبناء الآب الحيّ. لكنكم إذا لم تعرفوا أنفسكم، أقمتم في الفقر، وكنتم الفقر.

4- قال يسوع: الشيخ الطاعن في السن لن يتأخر عن سؤال الطفل ابن السبعة أيام عن مكان الحياة، وذلك الشخص سوف يحيا. فكثيرون من الأوَّلين سيكونون آخرين ويصيرون واحداً.

5- قال يسوع: اعرفْ ما يواجهك، وما يخفى عليك ينكشف لك. فما من خفيٍّ إلا سينكشف.

6- سأله تلاميذه قائلين: أتريدنا أن نصوم؟ كيف نصلِّي؟ أيجب علينا أن نتصدَّق؟ وأية حمية نتَّبع؟

قال يسوع: لا تكذبوا، وما تكرهون لا تفعلوا، لأن كل الأمور مكشوفة أمام السماء، فما من خفيٍّ إلا وينكشف وما من مستور إلا ويُعلَن.

7- قال يسوع: طوبى للأسد الذي يأكله الإنسان، فيصير الأسد إنساناً. وملعون الإنسان الذي يأكله الأسد، فيصير الأسد بشراً!

8- ثم قال: الإنسان أشبه بصياد حكيم ألقى شبكته في البحر وسحبها من البحر ملأى أسماكاً صغيرة. وجد الصياد الحكيم بينها سمكة جيدة كبيرة، فطرح الأسماك الصغيرة كلَّها في البحر، وبدون توانٍ اختار السمكة الكبيرة. مَنْ له أُذنان للسمع فليسمع.

9- قال يسوع: هو ذا الزارع خرج، وأخذ حفنة [من البذار] ونثره[ا]. بعضـ[ها] سقط على الطريق، فأتت الطيور ونقدته. وسقط [بعضها] الآخر على الصخر، فلم يضرب جذوراً في الأرض ولم يُثمِر سنابل. وسقط [بعضها] الآخر على الشوك، فخنقه [الشوك] والتهمته الديدان. وسقط [بعضها] الآخر على أرض طيبة، فأنبت محصولاً طيباً: أعطى المكيال ستين و[حتى] مئة وعشرين.

10- قال يسوع: ها إني قد أصليت العالم ناراً، وها إني ساهر عليها إلى أن تضطرم.

11- قال يسوع: هذه السماء ستزول، والتي فوقها ستزول.

الموتى ليسوا أحياءً، والأحياء لن يموتوا.

أيام كنتم تأكلون الميّتة، كنتم تُحيونها. عندما تصبحون في النور، ماذا ستفعلون؟

يوم كنتم واحداً، صرتم اثنين. عندما تصيرون اثنين، ماذا ستفعلون؟

12- قال التلاميذ ليسوع: نعلم أنك سوف تغادرنا- فمَنْ سيكون القائد؟

قال لهم يسوع: أينما كنتم، فلتمضوا إلى يعقوب البارّ، مَنْ لأجله صُنِعت السماء والأرض.

13- قال يسوع لتلاميذه: وازنوا بيني وبين شيء ما وقولوا لي ماذا أشبه.

قال له سمعان بطرس: أنت تشبه ملاكاً باراً.

قال له متى: أنت تشبه فيلسوفاً حكيماً.

وقال له توما: يا معلِّم، إن فمي أعجز من أن يقول ماذا تشبه.

قال يسوع: لستُ معلِّمك لأنك شربتَ وسكرت من النبع الفوَّار الذي أرقتُه.

ثم أخذه وتنحَّى، وقال له ثلاث كلمات.

وعندما عاد توما إلى رفاقه، سألوه: ماذا قال لكَ يسوع؟

أجابهم توما: إذا أخبرتكم بواحدة من الكلمات التي قالها لي، ستتناولون حجارة وترجمونني، فتخرج نار من الحجارة وتُحرِقكم.

14- قال لهم يسوع: إذا صمتم جلبتم الخطيئة على أنفسكم، وإذا صلَّيتم أُدِنتُم، وإذا تصدَّقتم أذيتُم أرواحكم.

حين تضربون في أيِّ أرض وتجوبون الريف، عندما يستقبلكم القوم، كُلوا مما يقدمون لكم واشفوا المرضى بينهم. لأن ما يدخل فمكم لا ينجِّسكم، بل إن ما يخرج من فمكم هو الذي ينجِّسكم.

15- قال يسوع: حين ترَون مَنْ لم يولد من المرأة، خُرُّوا على وجوهكم واخشعوا، ذلك هو أبوكم.

16- قال يسوع: ربما ظن الناس أني جئت ألقي سلاماً على العالم، إنهم لا يعلمون أني جئت لألقي على الأرض الخلاف: نار، سيف، حرب. فإذا كان في منزل خمسة، فسيكونون ثلاثة ضد اثنين، واثنين ضد ثلاثة، أبٌ ضد ابن، وابنٌ ضد أب، ووحدهم سيقفون.

17- قال يسوع: سأعطيكم ما لم تره عينٌ، ولا سمعته أُذنٌ، ولا لمسته يدٌ، ولا صعد من القلب البشري قط.

18- قال التلاميذ ليسوع: قُلْ لنا كيف تكون نهايتنا.

قال يسوع: هل كشفتم البداية حتى تسألوا إذ ذاك عن النهاية؟ فحيث هي البداية، هناك تكون النهاية. طوبى لِمَنْ يقف في البداية، ذاك سوف يعرف النهاية ولن يذوق الموت.

19- قال يسوع: طوبى لمَنْ وُجِدَ قبل أن يوجد.

إذا أصبحتم تلاميذي وسمعتم كلماتي، خدمتكم هذه الحجارة.

لكم، في الجنَّة، خمس أشجار لا تتبدَّل، لا صيفاً ولا شتاءً، ولا تسقط أوراقها. مَنْ يعرفها لن يذوق الموت.

20- قال التلاميذ ليسوع: قلْ لنا مَنْ يُشبِه ملكوت السماوات.

قال لهم: يشبه حبة خردل. هي أصغر البذور كلِّها، لكنها عندما تسقط على تربة خصبة، تُنتِج نبتة كبيرة وتصبح مأوى لطيور السماء.

21- قالت مريم ليسوع: ماذا يشبه تلاميذك؟

قال لها: يشبهون أطفالاً صغاراً يعيشون في حقل لا يخصُّهم. عندما يأتي مالكو الحقل يقولون: غادروا حقلنا. فيخلعون ثيابهم أمامهم حتى يغادروا، ويعيدوا لهم حقلهم.

لهذا السبب أقول لكم: لو علم مالك البيت أن السارق آتٍ، لسهرَ قبل أن يصل السارق، ولما ترك السارق يقتحم بيت ملكه ويسرق أملاكه. فكونوا أنتم ساهرين ضد العالم. تسلَّحوا بقوة عظيمة لئلا يجد اللصوص منفذاً إليكم. فإن البلوى التي تترقبونها ستأتي، فليكن بينكم امرؤ يفهم.

عندما نضج المحصول، أتى المرء على عجل، ومنجله في يده، وحصده. مَنْ له أذنان للسمع فليسمع.

22- رأى يسوع أطفالاً يرضعون، فقال لتلاميذه: إن هؤلاء الأطفال الرُضَّع يشبهون الذين يدخلون الملكوت.

قالوا له: فهل ندخل الملكوت أطفالاً؟

قال لهم يسوع: عندما تجعلون الاثنين واحداً، وعندما تجعلون الباطن كالظاهر والظاهر كالباطن، والأعلى كالأسفل، وعندما تجعلون الذكر والأنثى واحداً، حتى لا يبقى الذكر ذكراً ولا الأُنثى أُنثى، وعندما تجعلون عينين مكان عين واحدة، ويداً مكان يد، ورِجْلاً مكان رِجْل، وصورةً مكان صورة، عندئذٍ تدخلون [الملكوت].

23- قال يسوع: سأختاركم، واحداً بين ألف واثنين بين عشرة آلاف، ولسوف يقفون كواحد.

24- قال له تلاميذه: أرنا المكان الذي أنت فيه، فإننا يجب أن نطلبه.

قال لهم: مَنْ له أذنان فليسمع. هناك نورٌ داخل امرئ من نور، وهو ينير العالم بأسره، فإذا لم يُنِرْ كان ظلمة.

25- قال يسوع: أحبب أخاك كنفسك، اسهَرْ عليه [سهرَك] على إنسان عينك.

26- قال يسوع: القشة التي في عين أخيك، تراها. لكن الرافدة التي في عينك، لا تراها. عندما تُخرِج الرافدة من عينك، عندئذٍ سترى بها بوضوح، لتُخرِج الرافدة من عين أخيك.

27- إنْ لم تصوموا عن العالم، لن تجدوا الملكوت. إنْ لم تقيموا السبت سبتاً، لن ترَوا الآب.

28- قال يسوع: وقفت وسط العالم، وبالجسد ظهرت لهم. ووجدتهم جميعاً سكارى، ولم أجد أي واحد منهم ظمآن. وحزنت نفسي على أبناء البشر، لأنهم عميان في قلوبهم ولا يرون، فارغين أتوا إلى العالم، وما فتئوا يسعون لمغادرة العالم فارغين. لكنهم الآن سكارى. عندما سوف ينفضون عنهم خمرهم، عندئذٍ سوف يتوبون.

29- قال يسوع: إذا نشأ الجسد بسبب الروح، فهي معجزة. أما إذا نشأت الروح بسبب الجسد، فهي معجزة المعجزات. غير أني أعجب كيف اتفق لهذا الغنى العظيم أن يأتي ويقيم في هذا الفقر.

30- قال يسوع: حيث يوجد ثلاثة آلهة، يكونون إلهين. حيث يوجد اثنان، أو واحد، أنا مع ذلك الواحد.

31- قال يسوع: لا يُقبَل نبيٌّ في بلد النبي، ولا يشفي طبيب أولئك الذين يعرفون الطبيب.

32- قال يسوع: إن مدينة مبنيَّة على تلة عالية وحصينة لا يمكن أن تسقط، ولا يمكن سترها.

33- قال يسوع: ما تسمعه في أذنك، في الأُذن الأخرى أَعلِنْه من فوق سطوحك. فما من أحد يوقد سراجاً ويضعه تحت مكيال أو يضعه في مكان خفي. إنه بالحري يضعه على منصب حتى يرى نوره الغادي والرائح.

34- قال يسوع: إذا قاد امرؤٌ أعمى امرأً أعمى، سقط كلاهما في حفرة.

35- قال يسوع: لا تقدر أن تدخل دار القوي وتأخذه عنوة بدون أن توثِق يديه. عندئذٍ تقدر أن تسطو على داره.

36- قال يسوع: لا تهتموا، من الصباح إلى المساء ومن المساء إلى الصباح، بما تلبسون.

37- قال تلاميذه: متى تظهر لنا، ومتى نراك؟

قال يسوع: عندما تتعرَّون بدون أن تخجلوا، وتخلعون ثيابكم وتضعونها تحت أرجلكم كالأطفال الصغار وتدوسونها، عندئذٍ ترون ابن الحيّ ولن تخافوا.

38- قال يسوع: مراراً رغبتم في سماع هذه الكلمات التي أقولها لكم، وليس لديكم آخر تسمعونها منه، ستكون أيام تطلبونني فلا تجدونني.

39- قال يسوع: أخذ الفريسيون والكتبة مفاتيح المعرفة وأخفوها، فلا هم دخلوا ولا أجازوا للذين أرادوا الدخول أن يدخلوا. أما أنتم، فكونوا فطنين كالحيَّات وسذَّجاً كالحمام.

40- قال يسوع: زُرِعَت كرمةٌ بعيداً عن الآب. وبما أنها ليست قوية، فإنها سوف تُقتلَع من جذرها وتفنى.

41- قال يسوع: مَنْ في يده شيء يُجزَل له العطاء، ومَنْ ليس [في يده] شيء يُحرَم حتى من القليل الذي له.

42- قال يسوع: كونوا عابري سبيل.

43- قال له تلاميذه: من أنت حتى تقول لنا هذه الأشياء؟

أنتم لا تعرفون من أنا من الأشياء التي أقولها لكم. صرتم بالحري أشبه باليهود: يحبون الشجرة ويكرهون ثمرها، أو يحبون الثمرة ويكرهون الشجرة.

44- قال يسوع: مَنْ جدَّف على الآب يُغفَر له، ومَنْ جدَّف على الابن يُغفَر له، إنما من يجدِّف على الروح القدس لا يُغفَر له، لا على الأرض ولا في السماء.

45- قال يسوع: لا يُجنى عنب من الشوك، ولا يُقطَف تين من الحسك، فهي لا تعطي ثمراً. إن المرء الصالح يُخرِج الخير من مخزنه، والمرء الطالح يُخرِج الشر من مخزنه الفاسد في قلبه ويقول أشياء طالحة. فمن فيض القلب يُخرِج هذا المرء الأشياء الطالحة.

46- قال يسوع: من آدم إلى يوحنا المعمدان، بين الذين ولدتهم النساء، ليس من هو أعظم من يوحنا المعمدان ينكسر [أمامه] بصر المرء. لكني قلت أن مَنْ منكم يصير طفلاً سيعرف الملكوت ويصير أعظم من يوحنا.

47- قال يسوع: يتعذَّر على المرء أن يمتطي حصانين أو أن يشدَّ قوسين. ويتعذَّر على العبد أن يخدم سيِّدين، وإلا فإن ذلك العبد سوف يكرِّم أحدهما ويُغضِب الآخر. ما من امرئ يشرب خمراً عتيقة ويشتهي فوراً أن يشرب خمراً جديدة. الخمر الجديدة لا تُسكَب في قُرَبٍ قديمة، لئلا تنشقَّ، والخمر العتيقة لا تُسكَب في قربة جديدة، لئلا تفسد. الرقعة العتيقة لا تُخاط إلى ثوب جديد، لئلا تمزِّقه.

48- قال يسوع: إذا تسالم اثنان في بيت واحد، لقالا للجبل: انتقلْ من هنا، فينتقل.

49- قال يسوع: طوبى للمتوحِّدين والمصطفين، فإنكم ستجدون الملكوت. لأنكم منه أتيتم، وإليه ستُرجَعون.

50- قال يسوع: إذا سألوكم: من أين جئتم؟ أجيبوهم: جئنا من النور، من المكان الذي تكوَّن فيه النور بذاته، وأقام [ذاته]، وظهر على صورتهم. وإذا سألوكم: هل هو أنتم؟ قولوا: نحن أبناؤه، ونحن مصطفو الآب الحيِّ. وإذا سألوكم: ما هي آية أبيكم فيكم؟ قولوا: هي الحركة والراحة.

51- قال له تلاميذه: متى تحلُّ الراحة للأموات، ومتى يأتي العالم الجديد؟

قال لهم: ما تنتظرونه قد أتى، لكنكم لا تعرفونه.

52- قال له تلاميذه: أربعة وعشرون نبياً تكلموا في إسرائيل، وكلُّهم تكلَّموا عنك.

قال لهم: أنتم في غفلة عن الحيِّ الذي أمامكم وتتكلَّمون عن الأموات.

53– قال له تلاميذه: هل الختان مفيد أم لا؟

قال لهم: لو كان مفيداً لكان أبو الأبناء أنجبهم من أمهم مختونين أصلاً. بالحري الختان الحقيقي في الروح صار مفيداً من كل وجه.

54– قال يسوع: طوبى للفقراء، فإن لكم ملكوت السموات.

55. قال يسوع: مَنْ لا يُبغِض أباه وأُمه لا يستطيع أن يكون تلميذي، ومن لا يُبغِض إخوته وأخواته ولا يحمل صليبه كما أفعل لن يكون أهلاً لي.

56– قال يسوع: مَنْ اتفق له أن يعرف العالم اكتشف جيفة، ومَنْ اكتشف جيفة، ليس العالم أهلاً له.

57– قال يسوع: يشبه ملكوت الآب امرأ يملك بذاراً [طيباً]، جاء عدوُّه ليلاً وزرع زؤاناً فوق البذار الطيب. لم يدعهم المرء يجتثون الزؤان، بل قال لهم: لا، لئلا تهموا باجتثاث الزؤان فتجتثوا القمح معه. ففي يوم الحصاد سيكون الزؤان بارزاً فيُجتثُّ ويُحرَق.

58– قال يسوع: طوبى للمرء الذي جاهد ووجد الحياة.

59– قال يسوع: انظروا إلى الحيِّ مادمتم أحياء، لئلا تموتوا وتحاولوا عندئذٍ رؤية الحيِّ، فلا تستطيعوا رؤيته.

60– رأى سامرياً يحمل حَمَلاً ويمضي إلى اليهودية.

قال لتلاميذه: ... ذلك المرء ... حول الحَمَل؟

أجابوه: حتى يقتله ويأكله.

قال لهم: إنه لن يأكله مادام حياً، بل فقط بعد أن يقتله ويصير جثة.

قالوا: وإلا فلا يستطيع أن يفعل ذلك.

قال لهم: كذلك أنتم، فتشوا لأنفسكم عن مكان راحة، لئلا تصيروا جثة فتؤكَلوا.

61– قال يسوع: اثنان يرتاحان على سرير، واحد يموت، وواحد يحيا.

قالت صالومة: مَنْ أنتَ، يا سيِّد؟ وقد صعدت إلى سريري وأكلت من مائدتي كأنك من واحد.

قال لها يسوع: أنا الذي يأتي مما هو تامٌّ، أُعطيتُ من أشياء أبي.

أنا تلميذتك.

لهذا السبب أقول: إذا كان المرء <تاماً>، يكون ممتلئاً نوراً، ولكنْ إذا كان منقسماً، يكون ممتلئاً ظلمة.

62- قال يسوع: أكشف أسراري لأولئك [المستحقين] أسرار[ي]. لا تدعْ يدك اليسرى تدري ما تفعل يدك اليمنى.

63- قال يسوع: كان رجل غني يملك مالاً طائلاً. قال: سوف أستثمر مالي لأبذر، وأحصد، وأزرع، وأملأ أهرائي غلالاً، بحيث لا ينقصني شيء. تلك كانت الأمور التي كان يفكِّر بها في قلبه، لكنه في تلك الليلة عينها مات. مَنْ له أذنان للسمع فليسمع.

64- قال يسوع: كان امرؤ يستقبل ضيوفاً، عندما أولم للعشاء، أرسل عبده يدعو الضيوف.

مضى العبد إلى الأول وقال له: سيدي يدعوك.

قال الرجل: بعض التجار مدين لي بمال، وهم قادمون عليَّ هذه الليلة. ينبغي أن أذهب وأعطيهم تعليمات. أرجو أن تعذرني عن الوليمة.

مضى [العبد] إلى آخر وقال له: سيدي قد دعاك.

قال الرجل للعبد: اشتريتُ داراً وقد استُدعيتُ يوماً ولن يكون عندي وقت.

مضى إلى آخر وقال لذاك الواحد: سيِّدي يدعوك.

قال ذاك الرجل للعبد: صديقي مزمع أن يتزوَّج، وعليَّ أن أتولَّى أمر ترتيب الوليمة. لن أستطيع المجيء. أرجو أن تعذرني عن الوليمة.

مضى إلى آخر وقال لذاك الواحد: سيدي يدعوك.

قال ذاك الرجل للعبد: اشتريت عقاراً وأنا ذاهب لقبض الإيجار. لن أستطيع المجيء، أرجو أن تعذرني.

عاد العبد وقال لسيِّده: القوم الذين دعوتهم إلى الوليمة طلبوا أن يُعذَروا.

قال السيد لعبده: اخرج إلى الشوارع، وائتِ بكل من تجد هم للوليمة.

الباعة والتجار لن يدخلوا أماكن أبي.

65- قال: كان رجل يملك كرماً أجَّره لبعض الكرَّامين ليستغلوه فيقبض منهم ريعه. أرسل عبده لكي يعطيه الكرَّامون ريعَ الكرم. [لكن]هم قبضوا على عبده، وضربوه وكادوا أن يقتلوه، وعاد العبد وأخبر سيَّده [بما حصل]. قال سيده: لعلَّه لم يعرفهم. أرسل عبداً آخر، فضرب الكرَّامون ذلك الواحد أيضاً. عندئذٍ أرسل السيد ابنه وقال: لعلهم يتهيَّبون ابني. لكن الكرَّامين لمَّا علموا أنه كان وارث الكرم، أمسكوا به وقتلوه. مَنْ له أذنان فليسمع.

66- قال يسوع: أروني الحجر الذي رذله البنَّاؤون: ذلك هو حجر الزاوية.

67. قال يسوع: من يعرف الكلَّ لكنه مفتقر في نفسه مفتقرٌ [افتقاراً] تاماً.

68- قال يسوع: طوبى لكم عندما تُبغَضون وتُضطهَدون، فلن يُعثَر على محلٍّ اضطُهِدتم فيه.

69- قال يسوع: طوبى لأولئك الذين اضطُّهِدوا في قلوبهم: فهم الذين عرفوا الآب حق معرفته. طوبى للجياع، فإن بطن الذي في عوز سوف يُملأ.

70- قال يسوع: عندما تستولد ما في باطنك، فإن ما عندك سوف يخلِّصك. فإذا لم يكن عندك ذلك في باطنك، فما تعدمه في باطنك [سوف] يقتلك.

71- قال يسوع: سوف أهدم [هذا] البيت، وما من أحد سيتمكَّن من بنائه [...].

72- [قال] له [امرؤ]: مُرْ إخوتي أن يقتسموا معي أموال أبي.

أجاب المرءَ: يا رجل، من جعلني قسَّاماً؟

التفت نحو تلاميذه وقال لهم: لست قسَّاماً ولن أكون.

73- قال يسوع: الحصاد وافر لكن الأُجَراء قليلون، فتوسَّلوا إلى الرب أن يُرسِل أُجَراء إلى الحصاد.

74- قال: يا ربّ، هناك كثيرون [واقفون] حول ميزاب الشرب لكن ما من شيء في البئر.

75- قال يسوع: كثيرون واقفون بالباب، لكن المتوحِّدين وحدهم يدخلون مخدع العرس.

76- قال يسوع: يشبه ملكوت الآب تاجراً كان لديه حِملٌ من البضائع ثم وجد لؤلؤة. كان هذا التاجر فطناً فباع البضاعة واشترى لنفسه اللؤلؤة وحدها. أنتم أيضاً، فتشوا عن كنزه الذي لا يخيِّب، الذي يبقى، حيث لا سوس يأتي لينخر ولا ديدان تخرِّب.

77- قال يسوع: أنا النور الذي فوق كل شيء، أنا الكل، مني خرج الكل وإليَّ الكل وصل. اشطُر حطبة فأكون هناك. ارفَعِ الحجر فتجدني هناك.

78- قال يسوع: لِمَ خرجتم إلى الريف؟ لرؤية قصبة تهزُّها الريح؟ ولرؤية امرئ في ثياب ناعمة، [مثل] حكَّامكم وسلاطينكم؟ إنهم يرتدون ناعم الملبس، وليس بوسعهم أن يفهموا الحقيقة.

79- قالت له امرأة في الجمع: طوبى للبطن الذي حملك وللثديين اللذين أرضعاك.

قال لـ[ها]: طوبى للَّذين سمعوا كلمة الآب وحفظوها. فستأتي حقاً أيام تقولون فيها: طوبى لبطن لم يحمِل ولثديين لم يدرَّا لبناً.

80- قال يسوع: مَنْ اتفق له أن يعرف العالم اكتشف الجسم، ومَنْ اكتشف الجسم، فالعالم ليس أهلاً لذاك المرء.

81- قال يسوع: ليحكُمنَّ من اغتنى، وليزهدنَّ صاحب السلطان في [سلطانه].

82- قال يسوع: القريب مني قريب من النار، والبعيد عني بعيد عن الملكوت.

83- قال يسوع: الصوَر يراها القوم، لكن النور في باطنها مستور في صورة نور الآب. ولسوف ينكشف، لكن صورته محجوبة بنوره.

84- قال يسوع: عندما ترَون مظهركم تُسَرَّون. لكنْ عندما ترون صوركم التي وُجِدت قبلكم والتي لا تموت ولا تظهر، كم ستتحمَّلون؟

85- قال يسوع: إن آدم نشأ في قوة عظيمة وغنى عظيم، لكنه لم يكن أهلاً لكم. فلو كان أهلاً ما [ذاق] الموت.

86- قال يسوع: [للثعالب] أوجرة وللطيور أعشاش[ها]، لكن ليس لابن الإنسان موضع يضع عليه رأسه ويرتاح.

87- قال يسوع: الجسم العالة على جسم ما أشقاه، والنفس العالة على هذين الاثنين ما أشقاها.

88- قال يسوع: الملائكة والأنبياء سيأتون إليكم ويعطونكم ما يخصُّكم. أنتم، بدوركم، أعطوهم ما لديكم، وقولوا لأنفسكم: متى يأتون ويأخذوا ما يخصُّهم؟

89- قال يسوع: لِمَ تغسلون ظاهر الكأس؟ ألا تفهمون أن الذي صنع الباطن هو أيضاً الواحد الذي صنع الظاهر؟

90- قال يسوع: تعالوا إليَّ فإن نيري هيِّن وسيادتي لطيفة، ولسوف تجدون الراحة لنفوسكم.

91- قالوا له: قُلْ لنا مَنْ أنت فنؤمن بك.

قال لهم: تفحصون عن وجه السماء والأرض، لكنْ لم يتسنَ لكم أن تعرفوا الواحد الذي أمامكم، وهذه اللحظة لا تعرفون كيف تفحصون عنها.

92- قال يسوع: اطلبوا فتجدوا. لكني فيما مضى لم أقل لكم الأشياء التي سألتموني عنها عندئذٍ. أنا الآن مستعدٌ أن أقولها لكم، لكنكم لا تطلبونها.

93- لا تُعطوا ما هو مقدَّس للكلاب لئلا ترميه على كوم الزبل. لا ترموا اللآلئ [لـ]لخنازير لئلا ... [...]ها.

94- [قال] يسوع: مَنْ يطلب يجد، فـ[منْ يقرع] يُفتَح [له].

95- [قال يسوع:] إذا كان لديكم مال، لا تُقرِضوه بالربا. بل أعطو[هـ] لمَنْ لن يردَّه لكم.

96- قال يسوع: يشبه ملكوت الآب امرأةً وضعت قليلاً من الخميرة، [وأخفتـ]ـه في العجين وصنعت منه أرغفة كبيرة. مَنْ له أذنان فليسمع.

97- قال يسوع: يشبه ملكوت [الآب] امرأة كانت تحمل [جرة] مملوءة طحيناً. وبينما كانت تسير في طريق طويلة، انكسر مقبض الجرة فانسكب الطحين خلفها على [طول] الطريق. لم تدرِ به، ولم تلحظ مشكلة. عندما بلغت دارها وضعت الجرة على الأرض فاكتشفت أنها فارغة.

98- يشبه ملكوت الآب امرأ يريد قتل صاحب سلطان. وبينما هو في بيته، امتشق سيفه وطعن الجدار ليتأكد من قوة ساعده. ثم قتل صاحب السلطان.

99 - قال له التلاميذ: إخوتك وأمك يقفون خارجاً.

قال لهم: الذين يعملون منكم إرادة أبي هم إخوتي وأمي. هم من يدخلون ملكوت أبي.

100- عُرِضت على يسوع عملةٌ ذهبية وقيل له: قوم قيصر يطلبون منا جزية.

قال لهم: أعطوا قيصر ما لقيصر، وأعطوا الله ما لله، وأعطوني ما لي.

101- مَنْ لم يُبغِضْ [أباً] وأماً كما أفعل لا يستطيع أن يكون [تلميذ]ي، ومَنْ [لم] يحبب [أباً و] أماً كما أفعل لا يستطيع أن يكون [تلميذ]ي. فإن أمي [...]، لكن [أمي] الحقة وهبتني الحياة.

102- قال يسوع: الويل للفريسيين، فإنهم أشبه بكلب نائم فوق معلف للماشية، فلا هو يأكل ولا هو [يدع] الماشية تأكل.

103- قال يسوع: طوبى للمرءِ الذي يعرف أين سيدخل اللصوص، حتى [يـ]صحو، ويجمع أملاكه، ويتسلَّح قبل أن يدخلوا.

104- قالوا ليسوع: هيا نصلِّي اليوم ونصوم.

قال يسوع: أي خطيئة اقترفت، أو الأحرى كيف هُزِمت؟ عندما يغادر العروس مخدع العرس، دعوا القوم يصومون ويصلون.

105- قال يسوع: من عرف الأب والأم يدعى ابن عاهرة.

106- قال يسوع: عندما تجعلون الاثنين واحداً، تصيرون ابن البشر، وعندما تقولون: أيها الجبل، انتقل من هنا ينتقل.

107. قال يسوع: يشبه الملكوت راعياً كان صاحب مئة خروف. أحدها [هو] أكبرها ضلَّ. فترك التسعة والتسعين وفتَّش عن الواحد حتى وجده. وبعد أن تجشم هذا العناء، قال للخروف: أحبك أكثر من التسعة والتسعين.

108- قال يسوع: مَنْ يشرب من فمي يصبح مثلي، أنا نفسي أصير ذلك المرء، والأشياء المستورة تنكشف لذاك المرء.

109- قال يسوع: يشبه الملكوت رجلاً كان لديه في حقله كنز [مخبوء] ولا يعلم ذلك، و[عندما] مات، تركه لـ[إبنه]. الابن [لم] يكن يعلم، فاستلم الحقل وباعه. شرع الشاري يحرثه، [فاكتشف] الكنز، وبدأ يُقرِض المال بالربا لمن يريد.

110- قال يسوع: مَنْ وجد العالم واغتنى فليزهد في العالم.

111- قال يسوع: السماوات والأرض سوف تُلَفُّ في حضرتكم، ومَنْ يحيا ممَّن هو حيٌّ لن يرى الموت.

ألا يقول يسوع: مَنْ وجد نفسه، فالعالم ليس أهلاً لذاك المرء؟

112- قال يسوع: ملعون الجسد العالة على النفس. والويل للنفس العالة على الجسد.

113- قال له تلاميذه: متى يأتي الملكوت؟

لن يأتي بترقُّبه، لن يقال: انظر، هو ذا هنا، أو انظروا، هو ذا هناك. بالواقع ملكوت الآب مبسوط على الأرض والناس لا يرونه.

114- قال لهم سمعان بطرس: على مريم أن تغادرنا، فإن الإناث لسن أهلاً للحياة.

فقال يسوع: انظر، فإني سوف أرشِدها لأجعلها ذكراً، حتى تصير هي الأخرى روحاً حيَّة تشبهكم أنتم الذكور، فإن كل أنثى تجعل نفسها ذكراً تدخل ملكوت السموات.

الإنجيل بحسب توما

يعتمد البرهان على استقلالية ومن ثم قيمة تقاليد أقوال يسوع في إنجيل توما على ثلاثة عوامل رئيسية.

العامل الأول: وهو النوع الأدبي، بصفته مجموعة من الأقوال يمثل إنجيل توما النوع الأدبي الذي جُمعت فيه مواد يسوع الأولى ومن ثم انتقلت، كما هو الحال في «ق»، فلا يمكن العثور على مثل هذه المجموعات بعد عام 150 م تقريباً، فقد تم استيعاب النوع الأدبي للأقوال في شكل حِواري. لذا، فمن المحتمل أن تكون جذور إنجيل توما منبثقة عن مجموعة سابقة يعود تاريخها إلى القرن الأول.

العامل الثاني: هو ترتيب الأقوال، حيث أن الأقوال الواردة في إنجيل توما مستقلة عن الترتيب الوارد في الأناجيل السينوبتية. ويعود سبب ذلك إلى تركيبة كلماته المثيرة للاهتمام، فهي كلمات نمطية للتقليد الشفهي. وإلى بنيته غير السردية البتة، بالإضافة إلى عوامل أخرى. وهذا الترتيب المختلف يجعل من غير المرجح أن يكون توما من الناحية الأدبية اعتمد على الأناجيل السينوبتية. وأحياناً يتوافق إنجيل توما وإنجيل لوقا في الترتيب خلافاً لإنجيل مرقص، لكن هذا التوافق لا يعني أن توما استخدم إنجيل لوقا، بل يمكن أن يفسر على أنه شكل مختلف لتقاليد «ق» المشتركة بين لوقا وتوما.

العامل الثالث: يقول تاريخ الجدال حول التقاليد إن إنجيل توما عادة ما يقدم أقوال يسوع بشكل يسبق ذاك الشكل الموجود في الأناجيل السينوبتية، فعلى سبيل المثال، قصص يسوع في إنجيل توما أقل مجازاً بكثير من تلك الموجودة في الأناجيل السينوبتية، كما في القول 65/ قصة الأزواج الأشرار.

وإن الشكل الموجود في إنجيل توما أبسط وأقصر من تلك الأشكال الموجودة في الأناجيل السينوبتية (مرقص 12: 1 – 12على نحو متساو)، كما أنها لا تشير إلى أشعيا (5: 1 – 2)، ولا يظهر أي أثر للمجازية. وهكذا، فإنه يمكن القول إن الشكل الوارد في إنجيل توما قد يكون أقرب إلى الشكل الأول للقصص التي طرحها يسوع.

إن معالجة أقوال يسوع في إنجيل توما محكومة بأهدافه اللاهوتية، التي يمكن وصفها بأنها «شبه غنوصية»، أو «جعلها غنوصية» أي على طريق الغنوصية (الأقوال 18، 29، 83 – 84). فحتى هذه اللحظة لا تتوفر الكوزمولوجيا (علم الكون)، ولا الميثولوجيا (علم الأساطير) الرسمية الخاصة بالغنوصية. ويظهر السياق السردي القصير لعدد قليل من الأقوال (22، 60، 100) أن إنجيل توما لا يحتوي على مشاهد ما بعد القيامة، كما هو الحال في جميع الأناجيل الغنوصية تقريباً. فيسوع هو حصراً كاشف التعاليم الخفية الذي يجلب الخلاص عن طريق تعاليمه فقط. وكما تقول العبارة الأولى في إنجيل توما: «من يكتشف تأويل هذه الأقوال لن يذوق الموت». إن العالم وجسم الإنسان أشرار تماماً وإلى الأبد (27، 56، 80، 111)، الأنوثة تتساوى مع السقوط: «فإن كل أنثى تجعل نفسها ذكراً تدخل ملكوت السموات» (114، قارن مع 22). إن المسيحانية متاحة فملكوت الله خارج الزمان والمكان، ولكن دائماً موجودة، ويدخلها الناس عن طريق معرفة الذات (3، 49، 50، 113). التلمذة فردية، وليست مسألة مجتمع، فكلمة «أنت» في إنجيل توما دائماً تأتي بصيغة المفرد، في حين أنها تأتي دائماً بصيغة الجمع في الأناجيل السينوبتية. فالفرد يجب أن يطوف هذه الحياة رافضاً جميع أشكال التملك، والجنس، والأسرة، والأعمال الدينية الرسمية مثل الصوم والصلاة والتضحية والتطهير والختان (6، 14، 42، 53، 55، 60، 89، 99، 101، 104).

ماذا يقدم إنجيل توما لدراسة يسوع التاريخي؟ من الواضح أنه لا يقدم أي سرد عن حياة أو موت أو قيامة يسوع. ومع ذلك، تلقي المجموعة الغنية من الأقوال الواردة في إنجيل توما، حيث تعود أكثر تلك الأقوال إلى مراحل مبكرة من تقاليد يسوع، تلقي بالضوء على مقاطع مشابهة في الأناجيل السينوبتية. ويرى العديد من العلماء تياراً مستقلاً من التقاليد في هذه الأقوال، وهذه هي القيمة الأساسية في إنجيل توما فيما يتعلق بدراسة يسوع. لكن يجب تحليل هذه الأقوال كل قول على حدة، ومن الصعب أن تصدر حكماً عاماً على قيمة تلك الأقوال. كما يجب الأخذ بعين الاعتبار بُعدها عن يسوع لاهوتياً وزمنياً. ومن الواضح وجوب إسقاط الأقوال التي تعكس أي اتجاه غنوصي واضح من الاعتبار، وما يتبقى هو ذو قيمة ممكنة لفهم تعاليم يسوع، ولفهم الأقوال الفردية والمعنى العام. على سبيل المثال، قد يشير عدم وجود ألقاب مسيحانية في إنجيل توما إلى أن يسوع لم يطالب بتلك الألقاب لنفسه. أيضاً، لو قمنا بتصفية الروحانيات الغنوصية من تعاليم يسوع لتلاميذه، سيكون لدينا المزيد من الأدلة على الجذابين المتجولين المتطرفين الذين، مع آخرين، بشروا بالرسالة الأولى حول يسوع. قد يكون الموقف الاجتماعي المتطرف لبعض فرق المسيحية الأولى وجد موطناً جديداً في المسيحية الغنوصية في القرن الثاني.

أبوغريفا العهد الجديد: تقاليد وأساطير حول يسوع

تعتبر أبوغريفا العهد الجديد جزءاً كبيراً من الكتابات المسيحية الأولى من نهاية القرن الأول حتى القرن التاسع. وتدّعي هذا الكتابات أنها كتبت بيد الحواريين أو أولئك المقربين منهم، حيث تم استخدام القليل من تلك الكتابات على نطاق واسع في الكنيسة. وقد رفضت الكنيسة الكبرى قانونية تلك الكتابات على مر الزمن، ومن ثم أصبحت هذه الكتابات أبوغريفا أي «كتابات مشكوك في صحتها» أو «كتابات خفية». فقد قام مؤرخو الكنيسة الأولى بترتيب أبوغريفا العهد الجديد بأساليب تحتوي على: أناجيل، وإصحاحات، ورسائل، وكتابات رؤيوية. وما تزال الدراسة العلمية لأبوغريفا العهد الجديد في مرحلة متوسطة، إلا أن اكتشاف أدب نجع حمادي نفخ الحياة من جديد في تلك الدراسة. وعلى العكس من أبوغريفا العهد القديم، التي يقر معظم المسيحيين بأنها كنسية وقانونية، يتم رفض أبوغريفا العهد الجديد عالمياً ولا تعتبر جزءاً صحيحاً من العهد الكنسي الجديد. ومع ذلك، تشكل شاهداً رئيسياً لآراء مسيحية عن يسوع، تُقبل وترفض، في القرون الأولى للعقيدة. وبطبيعة الحال، ترد معظم آراء أبوغريفا العهد الجديد عن يسوع التاريخي في أناجيل مشكوك في صحتها.

أناجيل الطفولة

إن النوع الأول من الأناجيل المشكوك في صحتها والذي نتناوله هنا هو «إنجيل الطفولة». تدعى هذه الأناجيل بـ «أناجيل الطفولة» لأنها تحتوي على قصص يسوع، وإن كانت تلك القصص قصص سنواته الأولى فقط. ففي الأناجيل الكنسية، لا يورد مرقص أي شيء عن ولادة يسوع. أما متّى ولوقا فيورد كل واحد منهما فصلين كمقدمة لمهمة يسوع التبشيرية، كما أن يوحنا لا يورد شيئاً عن ولادة يسوع. ولإصدار حكم بناءً على هذه الكتابات، وبناءً على كل كتابات المسيحية الأرثوذكسية والمسيحية الغنوصية خارج العهد الجديد، يبدو أن المسيحيين كانوا يهتمون في المقام الأول بأقوال وأفعال يسوع الراشد. ومع مرور الوقت، ابتداءً من القرن الأول، زاد الكثير من المسيحيين اهتمامهم بولادة يسوع وبسنواته الأولى، حيث ظهرت التقاليد الشفهية لتكمل إنجيل متّى ولوقا، في أغلب الأوقات، بخيال مسيحي شعبي، وبأساطير يونانية رومانية وهندية حول ولادة الأطفال الخارقين.

لم يكن هدف أناجيل الطفولة ملء فجوات موجودة في الأناجيل. لقد كان لديها دافع عقائدي واعتذاري كبير، وهو: التعريف بنسب يسوع الذي يعود إلى داود عن طريق افتراض أن مريم من ذرية داود، وصد الهجمات اليهودية المتزايدة التي تطعن في شرعية ولادة يسوع. إن أناجيل الطفولة في مراحلها الشفهية والمكتوبة استمدت أفكارها من إنجيلي متّى ولوقا، إلا أنها ذهبت إلى أبعد من ذلك. وكما ذكر أوسكار كولمان: «يزداد إلى حد كبير الاتجاه نحو الاستفادة من الأساطير الغريبة التي تم ملاحظتها مسبقاً في القصص السردية عن الطفولة الواردة في إنجيلي متّى ولوقا.» كما سنقوم بمسح مختصر على إنجيلي الطفولة الرئيسيين اللذين يتم دراستهما من حين إلى آخر من أجل التقاليد الأولى ليسوع التاريخي، وهما إنجيل يعقوب التمهيدي وقصة الطفولة لتوما.

إن إنجيل يعقوب التمهيدي، المعروف في العالم القديم بالعنوان الأكثر دقة ألا وهو: «ولادة مريم»، هو عمل يعود للقرن الثاني لكاتب مسيحي غير يهودي. وبما أنه يحظى بشعبية واسعة في مسيحية العصور القديمة والوسطى نظراً لأنه عمل نابع من الورع ونظراً لجماله الأدبي، بقي على قيد الحياة في العديد من المخطوطات في الأصل اليوناني وفي النسخ اللاحقة في ثماني لغات مختلفة. فهذا العمل يروي قصة مريم أم يسوع: والديها: يواخيم وآنا، حملها المعجز، لكن ليس الطاهر بعد، ولادتها، طفولتها ونشأتها في المعبد، خطوبتها من الكثيرين وصولاً إلى يوسف الشيخ الأرمل، وعذريتها الدائمة، وأخيراً حملها بيسوع.

يستخدم إنجيل يعقوب التمهيدي القصص السردية للطفولة الواردة في متّى ولوقا، ومن ثم يقوم بتوسيع هذه القصص وإكمالها لأغراض خاصة. إن الموضوع الرئيسي لهذا العمل هو الثناء على العذرية، الأمر الهام في حركات الزهد والرهبنة في المسيحية. ولأنه يركز على مريم العذراء، مستخدماً التنميق الأسطوري لسرد قصتها ومستمداً ما يقوله عن ولادة يسوع من الأناجيل الكنسية والأسطورة الشعبية، فإنه يتمتع بالقليل من الأهمية أو حتى لا يتمتع بأية أهمية بالنسبة لدراستنا ليسوع التاريخي.

نشأت قصة الطفولة لتوما في أواخر القرن الثاني، حيث تروي معجزات يسوع الغلام التي حصلت بين عامه الخامس وعامه الثاني عشر كما رواها تلميذ يسوع توما. كما توجد قصة الطفولة هذه اليوم في الأصل اليوناني، وفي خمس نسخ بلغات أخرى. كما أنها ليست متطورة من الناحية الأدبية واللاهوتية كإنجيل يعقوب التمهيدي، إلا أن قصة الطفولة لتوما تتصف بالتأكيد الصريح على المعجزات، حيث يملك يسوع حتى عندما كان غلاماً قدرة كلية ومعرفية ونفوذاً غير محدود، الصفات التي لا تنسبها الأناجيل الكنسية ليسوع الراشد خلال مهمته التبشيرية. ويقوم يسوع الغلام ببعض الأعمال الخيرة مستخدماً قوته الإعجازية، إلا أنه غالباً ما يستخدمها بقسوة، كما هو الحال مثلاً عندما قتل طفلاً آخر كان قد ضربه على كتفه (4: 12)، ويُذهب ببصر أولئك الذين يتهمونه (5: 1)، حتى أنه وجه تهديداً خفياً ليوسف عندما كان يقوم بتأديبه (5: 2). وتتجه محتويات هذه الوثيقة إلى حد كبير نحو الورع الشعبي الذي جاء في وقت لاحق، حيث لا تشير إلى تقاليد القرن الأول حول يسوع.

إنجيل بطرس

في عام 1886، وجد فريق آثار فرنسي كان ينقب في مقبرة تعود لدير باتشوميان، الذي يبعد نحو 250 ميلاً جنوب القاهرة، كتاباً صغيراً في قبر راهب. فقد احتوت الصفحات من 2 إلى 10 من الكتاب، الذي يعود تاريخه إلى الفترة الواقعة ما بين القرن السابع والتاسع، وصفاً لموت يسوع وقيامته، حيث خلص العلماء بعد فترة قصيرة إلى أن هذا الكتاب هو جزء من إنجيل بطرس الذي ذكره آباء الكنيسة المبكرة من بداية القرن الثالث. ولم يتم العثور على أي أجزاء أخرى من إنجيل بطرس.

اهتم الباحثون في البداية اهتماماً كبيراً بإنجيل بطرس، لكن عندما تم التوصل بالإجماع إلى أن إنجيل بطرس كان عبارة عن تعميم وتعديل غنوصي للأناجيل الكنسية، لاسيما متّى، قاموا بتهميش هذا الأمر بعد فترة قصيرة. إلا أن العلماء في السنوات القليلة الماضية جددوا اهتمامهم بهذا الكتاب، فقام هيلموت كوستر وجون دومينيك كروسان بإثارة هذا الاهتمام من خلال ادعائهم بأن مصدر القصص السردية للآلام الواردة في إنجيل بطرس كان أيضاً مصدر القصص السردية للآلام الواردة في الأناجيل الكنسية.

وهذه ترجمة حرفية إلى حد ما للقصص السردية للآلام في إنجيل بطرس:

(1: 1) ولم يغسل أحد من اليهود يديه، ولا هيرودس ولا أحد من قضاته، وحيث أنهم لم يريدوا أن يغسلوا (2) قام بيلاطس. وبعد ذلك أمرهم هيرودس أن يأخذوا السيد في أيديهم، وقال لهم: ما أمرتكم أن تفعلوه به فافعلوا.

(2: 3) في هذا الوقت كان يقف هناك يوسف صديق بيلاطس والرب، وهو كان يعلم أنهم على وشك أن يصلبوه، فذهب إلى بيلاطس وتوسل إليه أن يقبر جسد يسوع.(4) وأرسل بيلاطس إلى هيرودس يتوسل إليه في جسد المسيح. (5) وقال هيرودس: يا أخي بيلاطس حتى ولو لم يتوسل أحد له كنا سوف ندفنه، لأنه أيضاً السبت يبدأ، لأنه مكتوب في الناموس لا يجب أن تغرب الشمس على المقتول (في جريمة).

وسلمه للشعب قبل اليوم الأول للفطير، حتى في عيدهم. (3: 6) وبعد أن أخذوا السيد دفعوه وهم يجرون، وقالوا: هلم نسوق ابن الله، فنحن الآن لدينا السلطة في شأنه. (7) ووضعوا عليه ثوباً أرجوانياً، وأجلسوه على كرسي الحكم قائلين: احكم بالعدل يا ملك إسرائيل. (8) وأحضر أحدهم إكليلا من الشوك ووضعوه على رأسه. (9) وآخرون وقفوا وبصقوا في عينيه، وآخرون لطموه على خده، وآخرون وخزوه بقصبة، وآخرون جلدوه قائلين: بهذه الكرامة دعونا نكرم ابن الله.

(4: 10) وأحضروا مجرمين اثنين وصلبوا السيد وسطهم. ولكنه ظل صامتاً كما لم يشعر بألم. (11) وعندما نصبوا الصليب كتبوا عليه «ملك إسرائيل». (12) وطرحوا ملابسه عنه وقسموها بينهم، ووزعوا نصيبهم عليهم. (13) ولكن أحد المجرمين وبخهم قائلاً: هكذا نعاني من الآثام التي فعلناها، ولكن هذا الرجل الذي أصبح مخلص الرجال، أين ألحق بكم ضرراً؟ (14) وكانوا غاضبين جداً منه، وحكموا ألا تقطع رجلاه حتى يموت في عذابه.

(5: 15) في ذلك الوقت كان منتصف النهار، وساد الظلام كل مدن اليهود، وكانوا قلقين وفي جهاد عنيف خشية أن تغيب الشمس عليه وهو لا يزال حياً لأنه مكتوب يجب ألا تغيب الشمس على المقتول(في جريمة). (16) وقال أحدهم أعطوه ليشرب خلاً وخمراً: ومزجوه وأعطوه ليشرب. (17) وحققوا وأتموا خطاياهم على رؤوسهم.

(18) وأشعل العديد قناديل مفترضين قدوم الليل، وبعضهم سقط. (19) وصرخ السيد عالياً قائلاً: إلهي إلهي لماذا تركتني. وعندما قال ذلك كان قد قُبض. وفي نفس الساعة انشق حجاب الهيكل بأورشليم إلي نصفين.

(6: 21) وبعد ذلك قلعوا الأظافر من يد الرب، وطرحوه على الأرض، وارتجت كل الأرض وأتى على الجميع خوف عظيم. (22) وأشرقت الشمس، وكانت الساعة التاسعة. (23) وابتهج اليهود وأعطوا جسده ليوسف ليدفنه لأنه شاهد كل الأعمال الجيدة التي صنعها. (24) وأخذ الرب وغسله ولفه في كتان ووضعه في قبره الذي يدعى بستان يوسف.

(7: 25) وبعد ذلك أدرك اليهود والشيوخ والكهنة كم هو عظيم الشر الذي فعلوه بأنفسهم، وبدؤوا يندبون ويقولون: لقد جلبنا البلاء بخطايانا، لقد اقتربت الدينونة ونهاية أورشليم. (26) ولكني كنت مع رفقائي في حزن، وكنا مصابين في عقولنا، فكنا مختبئين لأنهم كانوا يروننا مجرمين كما لو كنا نفكر في إشعال حريق بالهيكل. (27) بالإضافة إلى ذلك كنا صائمين، وظللنا في حزن وبكاء نهاراً وليلاً حتى السبت.

(8: 28) ولكن الكتبة والفريسيين والشيوخ اجتمعوا مع بعضهم لأنهم سمعوا أن الناس يدمدمون ويضربون على صدورهم قائلين: إذا كانت هناك آيات عظيمة حدثت عند موته انتبهوا كم كان هو صالحاً. (29) وكان الشيوخ خائفين، وذهبوا إلى بيلاطس وتوسلوا إليه قائلين: أعطنا جنوداً حتى نحرس القبر ثلاثة أيام خشية أن يسرق التلاميذ جثته فيظن الناس أنه قام من بين الأموات، ويلحقوا بنا الضرر. (31) وأعطاهم بيلاطس بيترونيوس قائد المائة وجنوداً لمراقبة القبر، وذهب معهم الشيوخ والكتبة إلى المقبرة. (32) ودحرجوا هم وقائد المائة والجنود صخرة كبيرة لحبسه. (33) ووضعوا سبعة أختام عليه، ووضعوا خيمة وظلوا يحرسون.

على الرغم من أن الدراسات البحثية في البداية وصفت إنجيل بطرس بالغنوصي، إلا أن الدراسات التي أجريت مؤخراً اعتبرته مساوياً لما جاءت به المسيحية الأرثوذكسية. فإنجيل بطرس يشترك حقاً في العديد من خصائص الأدب المسيحي الأرثوذكسي للقرن الثاني. فهو يعمم التقاليد التي يعمل بها، كما هو ملاحظ في كل من أسلوبه، الذي يفتقد إلى حروف عطف إلى حد ما، ومضمونه. كما أنه يشدد على المعجزات أكثر من تشديد الأناجيل الكنسية على ذلك، حيث يجعل من المعجزات تبدو وكأنها براهين قاطعة على الإيمان. كما يحتوي على بعض الروابط القوية، شفهية ومكتوبة، مع الأناجيل الكنسية. مثل: أعمال بيلاطس، القصة السردية الرئيسية الأخرى عن الآلام في ذلك الوقت، ويحتوي إنجيل بطرس على جدلية قوية مناهضة لليهود. وقد يكون هذا ذا صلة مع أوساطه الشعبية، حيث كانت معاداة اليهودية أقوى في الأوساط الشعبية من أوساط الدوائر الرسمية. أخيراً، يحتوي إنجيل بطرس على عنصر تعبدي واضح، لاسيما ذاك الملاحظ في استخدامه الدائم لكلمة «الرب» بدلاً من «يسوع».

ومع ذلك، يمكن قراءة إنجيل بطرس على أنه على الأقل وبصورة أولية غنوصي ويروق للمسيحيين الغنوصيين. فالعبارة «ولكنه ظل صامتاً كما لم يشعر بألم.» (4: 10) تروق للمسيحيين الغنوصيين الذين يقللون أو ينكرون معاناة السيد المسيح. كما ستروق صرخة الهجران، «إلهي إلهي لماذا تركتني» (5: 19) للغنوصيين الذين اعتبروا أن العنصر الإلهي ليسوع هجره قبل وقت قصير من صلبه. فإنجيل بطرس يروق للمسيحيين الأرثوذكس والغنوصيين اللذين يستخدمانه أيضاً، وهذا أمر لا ينبغي أن يفاجئنا. رغم كل ذلك، كلا الفريقين يستخدمان إنجيل يوحنا ورسائل بولس.

إن القضية الأكثر إثارة للجدل في الدراسات البحثية الحالية حول إنجيل بطرس تركز على ما إذا كان الشكل الأول لقصصه السردية عن الآلام كان أيضاً مصدر القصص السردية للآلام الواردة في الأناجيل الكنسية. فهيلموت كوستر وجون دومينيك كروسان يعتبران من أبرز المدافعين عن هذا الموقف، إلا أنهما أخفقا في إقناع جمهور العلماء بذلك. كما تفتقد الرواية الرئيسية لفرضية

كروسان الواردة في كتابه: «الصليب الذي نطق»، إلى هذا النوع من التحليل النقدي المفصل للمصدر، الأمر الذي طالب به الكثير من العلماء. إلى أن يطابق أولئك الذين يدعمون مثل فرضية المصدر هذه الخاصة بإنجيل بطرس، مع حجج المصدر النقدية لأولئك الذين يعارضونها أمثال: جويل بي غرين، ريموند ي براون، آلان كيرك، وسوزان ب شيفر. وستبقى هذه الفرضية المثيرة تتمتع بدعم الأقلية. كما تتوافق القصص السردية للآلام الواردة في إنجيل بطرس مع القرن الثاني تماماً، والحجة التي تعارض احتواء هذه القصص على مصدر للآلام قبل الفترة الكنسية تبدو في الوقت الراهن أقوى بكثير من الحجة التي في صالح تلك القصص.

إنجيل مرقص السري

في عام 1958، عثر مورتون سميث في دير مار سابا الأرثوذكسي اليوناني الواقع بالقرب من القدس على نسخة مجتزأة لرسالة مجهولة من إكليمندس الإسكندري إلى تيودور. وقد كتبت نسخة مخطوطة رسالة إكليمندس باللغة اليونانية في القرن الثامن عشر على الأغلب، على ظهر نسخة لرسائل أغناطيوس النوراني التي تعود للقرن السابع عشر. في هذه الرسالة، يعلم إكليمندس تيودور بإنجيل مرقص «السري»، قائلاً له إنه النسخة «الروحية» الثانية لإنجيل مرقص وإن نفس المبشر هو الذي كتبه. ويقول إكليمندس إن طائفة غنوصية معروفة باسم الكاربوكريتيين كانت قد أساءت تفسير واستخدام هذا الإنجيل، ولتوضيح وجهة نظره، قام إكليمندس باقتباس فقرة واحدة من إنجيل مرقص السري:

«ثم جاؤوا إلى بيت عنيا، فحضرت إليه امرأة هناك مات أخوها وسجدت أمامه قائلة: يا ابن داود ارحمني. فانتهرها التلاميذ. ولكن يسوع غضب ومضى معها إلى البستان حيث القبر الذي دُفن فيه. ولدى اقترابه نَدَت من داخل القبر صيحة عظيمة. فدنا يسوع ودحرج الحجر عن مدخل القبر ودخل لفوره إلى حيث كان الفتى فمدّ ذراعه إليه وأقامه ممسكاً بيده. ولما رآه الفتى أحبّه وتوسّل إليه البقاء معه. وبعد خروجهما من القبر توجهوا إلى بيت الفتى لأنه كان غنياً. وبعد ستة أيام لقّنه يسوع ما يتوجّب عليه فعله. وفي المساء جاء إليه الفتى وهو يرتدي ثوباً من الكتان على جسده العاري وبقي معه في تلك الليلة، لأن يسوع كان يعلمه أسرار ملكوت الله. وعندما قام عاد إلى الجهة الأخرى من الأردن.

(الجزء 2) وجاؤوا إلى أريحا. وكانت أخت الفتى الذي أحبه يسوع وأمه وسالومة موجودات هناك، إلا أن يسوع لم يستقبلهن».

على الرغم من أن العلماء المستقلين لم يتمكنوا حتى الآن من دراسة هذه الوثيقة، قبلت الدراسات البحثية بالإجماع تقريباً بأصالة هذا الاكتشاف، وقبلت الأغلبية بأن هذه الفقرات هي حقاً من رسالة إكليمندس. ومع ذلك، فإن صحة إنجيل مرقص السري، الذي كُتب بيد المبشر نفسه الذي كتب إنجيل مرقص الكنسي، هي موضع جدل على نطاق واسع.

وقد قال مورتون سميث، ثم تلاه كروسان وكوستر وغيرهم، إن إنجيل مرقص السري كان مصدراً للقصص السردية الواردة في إنجيل مرقص الكنسي. ورغم ذلك، لا يمكن الدفاع عن هذا

الموقف لعدة أسباب:

أولاً، على الرغم من الإجماع الحديث، إلا أنه لم يتم استبعاد إمكانية أن تكون الرسالة رسالة مزورة في القرن الثامن عشر.

ثانياً، لا يمكن في أغلب الأوقات التعويل على استخدام إكليمندس للمصادر، حتى لو كانت رسالته أصلية، هذا لا يعني أن كل ما يقوله عن إنجيل مرقص السري صحيحاً.

ثالثاً، ما نملكه من هذه الوثيقة مجرد رسالة مجتزأة.

رابعاً، لا يوجد إجماع بين أولئك الذين يرون في هذه الوثيقة مصدراً لمرقص.

لذلك، فمن المستبعد أن يكون إنجيل مرقص السري، إن وجد أصلاً، مصدراً لإنجيل مرقص الكنسي. إن جهود سميث لإعادة بناء تاريخ المسيحية المبكرة على هذا الأساس غير المؤكد، حيث يقول إن تقاليد الأناجيل الكنسية اللاحقة أعادت تفسير يسوع الساحر والفاجر جنسياً، تعتبرها الغالبية الساحقة من العلماء ضرباً من الخيال.

وتسهم مخطوطة إجرتون 2 المكتوبة على ورق البردي، التي تسمى أحياناً «إنجيل إجرتون»، في دراسة يسوع التاريخي، حيث يعود تاريخها إلى نحو عام 200م ونشرت لأول مرة في عام 1935، كما أنها غير كاملة وتالفة إلى حد بعيد. وتُبرز القصة السردية الأولى والمجتزأة الواردة في هذه المخطوطة نزاعاً بين يسوع وخصومه المحامين بشأن انتهاك يسوع لشريعة موسى. ويروي قسمها الثاني قصة شفاء الأبرص، وجدلاً حول دفع ضرائب. وتُختتم بمعجزة ليسوع في نهر الأردن لا تؤكدها الأناجيل الأخرى. إن قيمة مخطوطة إجرتون 2 المكتوبة على ورق البردي محل نزاع، لكن يخلص معظم الباحثين من طبيعتها المجتزأة ودمج قصصها السردية بين عناصر غنوصية وعناصر خاصة بيوحنا أنها عمل معاد صياغته في وقت لاحق لتقاليدهم. من ناحية أخرى، يقول هيلموت كوستر إن هذه المخطوطة تشهد على المرحلة المبكرة لتقاليد يسوع حيث لا ينفصل التيار الغنوصي والتيار الخاص بيوحنا عن بعضهما بعضاً.

صعود يعقوب

بين مسيحيي القرن الثاني والثالث الذين جمعوا ما بين المسيحية واليهودية فيما عُرف باسم «المسيحية اليهودية»[118]، كان أدب الأناجيل شائعاً في تلك الفترة. ونعرف ثلاثة أناجيل أساسية عن طريق استشهاد كتّاب مسيحيين بها: إنجيل الناصريين، وإنجيل الإيبونيين، وإنجيل العبرانيين. ولسوء الحظ لم تحفظ الكنيسة العظيمة هذه الأناجيل، وبقي منها النزر اليسير من خلال الاستشهاد بها في كتب أخرى، مما يجعل من معرفتنا بها أمراً صعباً وغير مؤكد. وحسب «إ. ف. جيه. كلين» الذي يقول: رغم الإشارات العديدة للأناجيل المسيحية اليهودية في الأدب القديم وأدب العصور الوسطى، فقد بقي الكثير منها غامضاً وبالأخص فيما يتعلق بالأرقام والأسماء التي عرفت بها أصلاً، واللغة التي كتبت بها.

لقد كان إنجيل الناصريين ذا صلة وثيقة بإنجيل متّى، والذي ظنّ الكثير من المسيحيين القدامى خطأً أنه كتب أصلاً بالعبرية أو الآرامية. ويشهد على أشهر إنجيل مسيحي يهودي معروف لكتّاب الكنيسة العظيمة، ثلاثة وعشرون اقتباساً من العصور القديمة، وثلاثة عشر اقتباساً من العصور الوسطى مما يدل على أقدمية الاهتمام بهذا الإنجيل.

وسمي إنجيل الإبيونيين على اسم المجموعة المسيحية اليهودية. وقد بقيت سبع إشارات لهذا الإنجيل فقط، وكلها من مُلاحق المهرطقين إبيفانيوس الذي عاش في القرن الرابع. وقد بقيت سبع إشارات لإنجيل اليهود أيضاً. وعند الحكم من خلال هذه العينة الصغيرة من الإثباتات، نجد أن هذا الإنجيل كان على الأرجح مستقلاً أدبياً عن الإنجيلين الآخرين، وعن الأناجيل الكنسية الأربعة، حيث تعود هذه الأناجيل الثلاثة بالزمن إلى منتصف القرن الثاني. وبحكم تاريخها المتأخر وتوجهاتها المسيحية اليهودية وطبيعتها المجتزأة، تترك لنا هذه الأناجيل القليل أو لا شيء مما من شأنه إفادتنا في دراسة شخصية يسوع التاريخي.

وبقيت وثيقة مسيحية يهودية واحدة فقط سلمت من التلف، وهي مذكورة في كتاب وثّقه إبيفانيوس تحت اسم «صعود يعقوب» يعود إلى منتصف القرن الثاني. وتمّ دمج «صعود يعقوب» الآن بصورة مجتزأة بمجموعة كبيرة من المواد الأدبية تدعى الاعترافات الكليمنتية الكاذبة، ويُزعم أنها قصة إكليمندس وهو من أوائل أساقفة روما وشريك بطرس. وكتبت هذه الوثيقة في الأصل باليونانية وبقي منها إلى هذا الحين النسخ اللاتينية والسريانية فقط. إن «صعود يعقوب» هو وثيقة

مسيحية يهودية تخبرنا قصة أتباع الله من أيام إبراهيم إلى الكنيسة المبكرة. وتصور يسوع كنبي مثل موسى والمسيح المنتظر. ويشير العنوان اليوناني للوثيقة «أناباثموي لاكوبو» إلى رحلات «الصعود» إلى المعبد لعقد مناظرات مع الكاهن الأعلى حول يسوع، وهي مناظرة كان بإمكانها جذب كامل الأمة اليهودية إلى المسيحية، ما لم يتدخل «الأعداء» (بولس المتخفي).

يحوي «صعود يعقوب» سرداً قصيراً لآلام يسوع يمثل مجموع المحتويات ككلّ، والنسخة اللاتينية، التي يختلف عنوانها قليلاً عن النسخة السريانية، وهي كما يلي:

(1-41-2) هذا النبي مثل موسى والذي تنبأ بصعوده بنفسه، ورغم شفائه لكلّ مرض وعلّة أصابت الناس، واجتراحه لمعجزات لا تحصى، ونشره لتعاليم حول الحياة الأبدية، إلا أن الأشرار اقتادوه إلى الصليب. لكن هذا الصنيع تحول إلى شيء خيّر بفضل قوته. (3) وأخيراً عندما عانى، شاركه المعاناة كل العالم. حيث أظلمت الشمس، واضطربت النجوم، وهاج البحر، وتحركت الجبال، وانفتحت القبور، وانشق ستار المعبد، كما لو كان يبكي الدمار الحاصل في المكان. (4) ورغم هذا وذاك، ومع أن العالم بأكمله اهتز، إلا أنهم أنفسهم لم يتأثروا بهذه الأحداث العظيمة...(ويأتي بعد ذلك نقاش مختصر عن مهمة من مهام المسيحيين من أجل «تلبية الرقم» الذي ظهر لإبراهيم).

(43-3) وفي هذه الأثناء، وبعد معاناته وبعد أن لفّ الظلام العالم بأسره من الساعة السادسة إلى التاسعة، وعندما عادت الشمس إلى وضعها الطبيعي، عاد الأشرار مجدداً إلى طبيعتهم وعاداتهم القديمة، لأن خوفهم انتهى. (4) وبعضهم قام بعد حراسة المكان بعناية شديدة بوصفه بالساحر، الذي لم يتمكنوا من منعه من الصعود، وادّعى البعض أن جسده سُرق[119]. (الاعترافات الكليمنتية 1-41-2-4، 43-3-4).

إن سرد الآلام هذا أقصر بصورة ملحوظة من ذاك الوارد في الأناجيل الكنسية، لكنه رغم قصره يُظهر ثلاثة مجالات للاعتماد على مواد سردية للآلام يتصف بها إنجيل متى بصورة حصرية. ونظراً لعدم وجود النسخة اليونانية من «صعود يعقوب» فلن نستطيع التأكد من الكلمات الأصلية، لذا فمن المستحيل أن نحدّد بكامل الثقة كون هذا الاعتماد حرفياً أو شفهياً.

أولاً، يأخذ نص «صعود يعقوب» كلمات متّى «اهتزاز الأرض» (51:27) ويضيف عليها «وهاج البحر» (اعترافات 1-41-3). حيث يضيف هذه الكلمات للدلالة على اشتراك كل العالم المحسوس في أعجوبة موت المسيح، كما يؤكد القسم (1-41-3) بذكره الجملة التالية: «عندما عانى، شاركه العالم بأكمله المعاناة.»

ثانياً، «صعود يعقوب» يربط ما بين اهتزاز الجبال (متى51:27 تزعزعت الصخور) وانفتاح القبور، وهو حدث ورد في إنجيل متّى على أنه حصل عند قيامة المسيح من موته.

ثالثاً، يحاكي نص «صعود يعقوب» التقليد المستخدم في إنجيل متّى حول حراس قبر المسيح (متّى، 62:27 إلى 66، 11:28 إلى 15). وبصورة عامة، يتبع نص «صعود يعقوب» نظام إنجيل متّى في هذه الأعجوبة. ويطوّر النص لأغراض خاصة به مواد سردية للآلام الخاصة بإنجيل متّى، رغم عدم تماثلها بالشكل الذي يمكننا فيه اعتبارها مستمدة من المصدر «م».

وهناك ميزة أخرى للقصص السردية للآلام في «صعود يعقوب» وهي النظرة غير الخلاصيّة أو الفدائية لهذه الآلام، فبالنسبة للجمهور الذي قرأ هذه الوثيقة، لم يجلب صلب يسوع لهم الخلاص، ولم يُصوّر موت يسوع كتضحية عن الخطيئة، إذ لم يكن هناك أي ذكر لكون يسوع حمل الرب ولا تأكيد على براءته، ولم يُذكر أن لموته سلطة تكفّر عن الذنوب والخطايا، وبالأحرى يأتي الخلاص عبر المعمودية باسم يسوع، وهي معمودية جاء بها يسوع ليستبدل بها الأضاحي في المعابد (اعترافات 1. 39. 1 – 2، 1. 55. 3 – 4، 1. 69. 8 – 1. 70. 1). حيث يأتي الخلاص من خلال المعمودية التي علّمنا إياها يسوع وليس من خلال موته.

إن افتقار هذه الوثيقة إلى التأكيد على أهمية الخلاص في موت يسوع تتوافق مع كثير من كتابات المسيحية اليهودية المبكرة. وهذا يوضح لنا السبب وراء وجود اهتمام بالغ في «صعود يعقوب» انصبّ على الأعاجيب التي رافقت موت يسوع، إنها أعاجيب مثيرة للإعجاب طالما أنها تدوم، ولكنها تفقد هذه الخاصية حالما تنتهي. وهذا يعني أن الأعاجيب التي رافقت الصلب تشكّل الموضوع الحقيقي لهذا القسم، لا بل ويُمكن لنا أن ندعوه سرداً للأعاجيب بدلاً من سرد للآلام. إن هذا يُشكل تبايناً مثيراً للاهتمام مع إنجيل بطرس، والذي يروّج لفكرة القوة الواضحة والمقنعة للأعاجيب بصورة دائمة. وتطلّب إقناع الشعب اليهودي أن يسوع هو المسيح المنتظر قدرة يعقوب أخ يسوع في الإقناع. كما أن افتقار النص إلى خاصية الإقناع الدائم بالأعاجيب يشرح التناقض الكبير في سرد هذه الوثيقة لآلام يسوع. فلم يعتنق الشعب اليهودي الدين الجديد عند معاينته لصلب يسوع، فتوجّب عندها على المسيحيين أن يأخذوا على عاتقهم مهمة التعويض عن حالة النقص تلك. وربما كانت تلك أول حالات التفكير المنطقي للكنيسة المسيحية اليهودية المبكرة متمثّلة بمهمة المسيحيين تلك.

النتيجة

في هذا الفصل، وجدنا أن الأغرافا لديها عدد محدود من الشهود على تعاليم يسوع التاريخي. ورغم أن النتائج شحيحة على نحو يثير الإحباط، تظهر لدينا بعض الأقوال المعزولة والمرشّحة للتمتع بالموثوقية. وقد قمنا بطرح المسألة المنهجية للتعميم، أي أن ما يعتبر صحيحاً وموثوقاً في «الأغرافا» معلّق بوجود تحديد مسبق لما يعتبر صحيحاً وموثوقاً في الأناجيل الكنسية، مع التوصّل إلى نتيجة أن «الأغرافا» الموثوقة تميل لنسخ الأقوال المذكورة في النصوص الكنسية بحرفيتها. ويجب على البحث المستفيض أن يوضّح فيما لو كان اتباع هذا المنهج سيؤدي إلى التوصّل إلى نتائج تكون محافظة زيادة عن اللزوم.

ثانياً، هل تأتي مصادر إنجيل بطرس وإنجيل مارك السري تباعاً بعد الأناجيل الكنسية؟ إن هذا، كما رأينا، أمرٌ غير مرجّح كثيراً. قد تُذكر فيها بعض الأفكار المتبصّرة والمتفرّقة والمساهمات البسيطة، ولكن كونها براهين صحيحة على شخصية يسوع التاريخي، هو برمّته، أمرٌ واهٍ يتعذّر الدفاع عنه.

ثالثاً، يمثّل إنجيل توما حالة متفرّدة. فهو كوثيقة، يعود للقرن الثاني في أيام المسيحيين الغنوصيّين. كما أن العديد من الأقوال المفردة المذكورة فيه قد تمّ اعتبارها بدقّة أقوالاً مهمّة في البحث عن تعاليم يسوع. بيد أنه لا يمكن النظر إلى أسلوب توما على أنه يدعم بصورة مقنعة عمليات إعادة صياغة «ق» التي تجعل من يسوع رجلاً حكيماً فحسب. إن المعلومات التي وردت عن يوحنا المعمدان في «ق»، ومراجعه الواضحة حول أعاجيب يسوع وسرده لأعجوبة واحدة ومراجعه القوية المصدر عن موت ومجيء يسوع، كلّ هذه الأمور، تميّز هذا «ق» عن إنجيل توما. ورغم اختلاف الأسلوب ووجود موقف متباين إزاء الأعاجيب في «ق» وفي إنجيل مرقص، إلا أن «ق» أقرب في وجهة نظره إلى إنجيل مرقص أكثر من إنجيل توما.

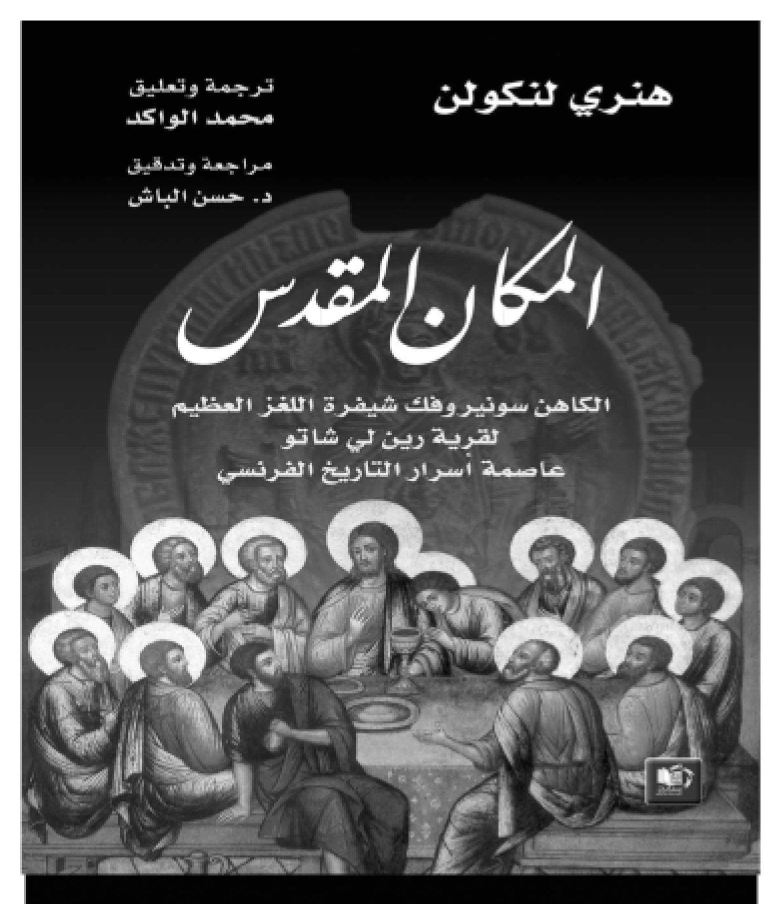
رابعاً، هل نجد في القرنين الثاني والثالث أية معلومات تاريخية قيّمة ومستقلّة عن يسوع تمكّننا بصورة ملحوظة من مراجعة وتعديل فهمنا لشخصيّته؟ أو بكلام آخر، هل تخبرنا الكتابات الأدبية التي تعود إلى تلك الحقبة أي معلومة تاريخية عن يسوع لم نكن نعرفها مسبقاً عنه مع وجود بعض الأمور التي تؤكد هذه المعلومة من الأناجيل الكنسيّة؟ إجمالاً، وعلى الأرجح هذا ليس بصحيح، يسوع لم يكن معادياً للساميّة، كما يلمح إلى ذلك إنجيل بطرس، ولم يكن «رجل أقوال

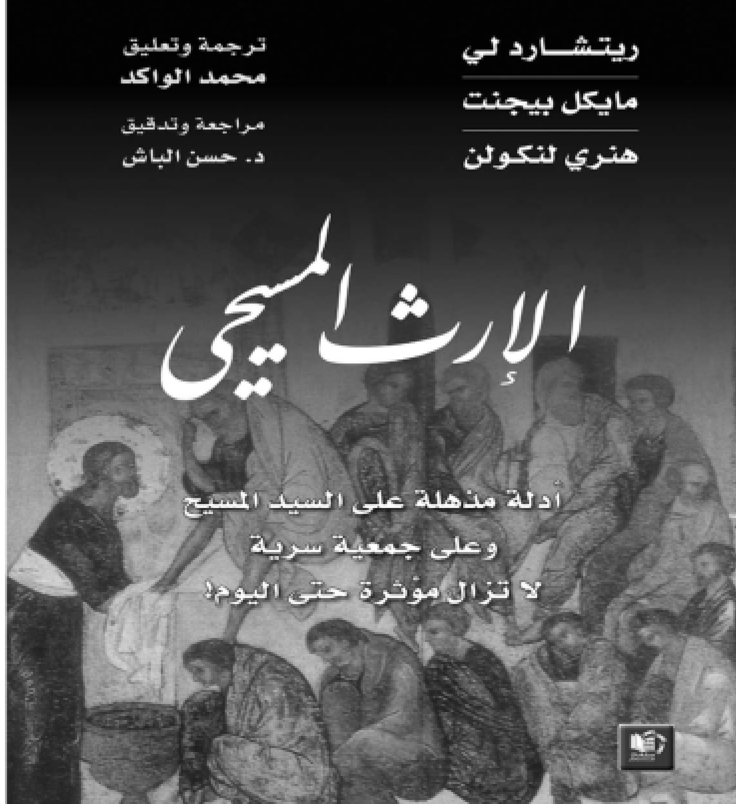
وكلامٍ تافه» كما صوّره إنجيل توما، ولم يكن بالتأكيد فاسقاً ماجناً كما صوّره إنجيل مرقص السري. فلم تكن مصادر القصص السردية لآلام يسوع من القرنين الثاني والثالث على الأرجح المصادر الكنسيّة للقصص السردية لآلام يسوع.

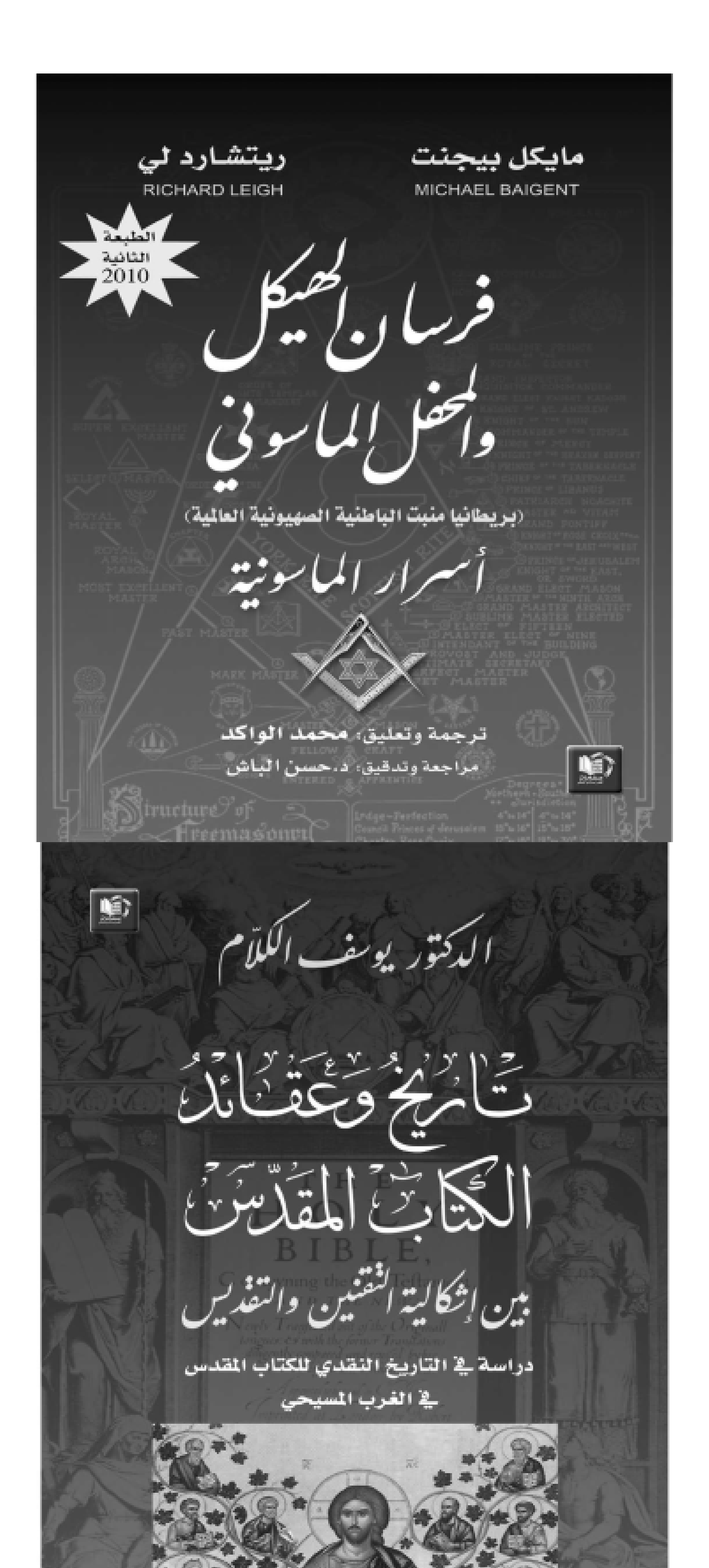
وأخيراً وليس آخراً، إن القيمة التاريخية الأساسية لهذه الوثائق مترسّخة في زمانها ومكانها. وينطبق الأمر ذاته بالطبع على الأناجيل الكنسيّة، إلا أنها أقرب زمنياً من فترة كهنوت يسوع العام ومن المرجّح أنها خضعت للنقد والتصحيح من جانب أتباع يسوع من الجيل الأول من المسيحيين. وبذلك، وباتباع القواعد المقبولة عموماً للإثبات التاريخي، تكون الأناجيل الكنسيّة ذات قيمة أكبر في فهم شخصية يسوع التاريخي. وإن الكتابات التي تأملنا فيها أعلاه تعطينا منظوراً غنياً عن تنوّع المسيحيّة بعد حقبة العهد الجديد. كما تعكس تلك الوثائق الآراء المتنوعة ضمن المذهب الغنوصيّ، وعمق الميول الشعبيّة في الأرثوذكسية الناشئة والشاهد المميّز للمسيحيّة اليهوديّة. ففي بعض النقاط المحدّدة، تقدّم لنا هذه الوثائق بعض المعلومات القيّمة عن يسوع والمسيحيّة المبكرة. ورغم الاقتراحات الصارخة التي تدعو إلى إعادة صياغة يسوع والمسيحيّة المكبرة على أساس وثائق القرنين الثاني والثالث، الحقيقية منها والافتراضيّة، ترى الدراسات الحالية عموماً قيمة تلك الكتابات في أنها في المقام الأول شهود على العصور التي كتبت فيها، وعلاقتها مع العهد الجديد، رغم أن تلك مسألة مهمّة ودائمة، قد قلّ مستوى الاهتمام بها، في حين يتمّ إيلاء الجانب الأكبر من الاهتمام على دورها في إعادة تركيب التاريخ الديني والاجتماعي للمسيحيّة في القرنين الثاني والثالث. ويمكن ملاحظة هذه النزعة في الدراسات والبحوث، على سبيل المثال، في مقدّمة وليم ستروكر عن «الأغرافا» وفي النسخة الإنكليزية المنقّحة للعمل المرجعي المؤثر لفيلهلم شنيميلتشر بعنوان «أسفار الأبوغريفا المنتحلة في العهد الجديد».

ما هي الخطوط العريضة التي ستتكشّف أمامنا من خلال هذه الدراسة عن يسوع خارج إطار العهد الجديد؟ إن دليل الكتّاب غير المسيحيّين يعامل وبنفس الشكل يسوع على أنه شخصيّة تاريخية، إذ لم يكن معظم المؤلفين والكتّاب غير المسيحيّين مهتمّين بتفاصيل حياته وتعاليمه، وراحوا ينظرون إلى شخصيّته من خلال المسيحيّة التي عرفوها حينئذ، فقدّموا برهاناً مؤكّداً لكن موجزاً لتقاليد تاريخية محدّدة في العهد الجديد تتعلّق بخلفية عائلة يسوع والفترة التي عاشها وكهنوته وموته، كما وقدّموا دليلاً على محتوى الوعظ والتبشير المسيحي المستقلّ عن العهد الجديد. ويبقى الإثبات الوثني ليسوع شيّقاً وساحراً، رغم وصوله إلى استنتاجات ثابتة نسبياً في البحث المعاصر. ويقدّم الإثبات اليهودي صورة أكمل ليسوع، أيضاً مع وصول البحث إلى استنتاجات ثابتة. وفيما يخصّ الإثبات المسيحي من خارج الأناجيل الكنسيّة، فإن البحث هو في وضع مغاير تماماً لما

ذُكر سابقاً. إذ يتمّ بذل جهود جبارة لإدراك مصادر الأناجيل، لاسيما «ق»، لكن البحث المتواصل في «ل» ومصدر إشارات يوحنا سيساهم في وضع صورة أكمل وأكثر توازناً ليسوع. بالنسبة لعدد كبير من الباحثين، تحمل الكتابات الأدبية من القرن الثاني بين ثناياها الوعد في إعادة اكتشاف الأصول الحقيقية ليسوع وللكنيسة المبكرة، وقد رأينا أن بعض أهم المعلومات عن التقاليد الأولى المتعلّقة بيسوع قد نشأت عن دراسة هذا الأدب. إلا أن الاقتراحات الأكثر تطرفاً تكون بعيدة الاحتمال، ويعتمد ذلك على تطبيقها على الافتراضات المتعدّدة وعلى النقد الجدلي للمصدر وعلى عمليات إعادة الصياغة التي تطلبت بذل جهد كبير لتاريخ التقليد المتعلّق بيسوع. لذا لم يبق أمامنا إلا الخطّان الرئيسان لنتأمل فيهما والتفاصيل حول حياة يسوع وتعاليمه مع العهد الجديد. كما ستشير دراستنا ليسوع خارج نطاق العهد الجديد إلى نهاية وجود يسوع داخل نطاق العهد الجديد.


هنري لنكولن
ترجمة وتعليق
محمد الواكد
مراجعة وتدقيق
د. حسن الباش
المكان المقدس
الكاهن سونير وفك شيفرة اللغز العظيم
لقرية رين لي شاتو
عاصمة أسرار التاريخ الفرنسي


ريتشـــارد لي
مايكل بيجنت
هنري لنكولن
ترجمة وتعليق
محمد الواكد
مراجعة وتدقيق
د. حسن الباش
الإرث المسيحي
أدلة مذهلة على السيد المسيح
وعلى جمعية سرية
لا تزال مؤثرة حتى اليوم!



ريتشارد لي
RICHARD LEIGH
مايكل بيجنت
MICHAEL BAIGENT
الطبعة الثانية 2010
فرسان الهيكل والمحفل الماسوني
(بريطانيا منبت الباطنية الصهيونية العالمية)
أسرار الماسونية
ترجمة وتعليق: محمد الواكد
مراجعة وتدقيق: د.حسن الباش
الدكتور يوسف الكلاّم
تاريخ وعقائد الكتاب المقدس
بين إشكالية التقنين والتقديس
دراسة في التاريخ النقدي للكتاب المقدس في الغرب المسيحي

[1] – الناصري: نسبة لبلدة الناصرة في فلسطين، ففيها ولدت مريم العذراء وبشرت بالمسيح، وفيها نشأ يسوع المسيح وقضى معظم حياته.

[2] – يعد المسلمون المسيح واحداً من أهم الأنبياء، وفي القرآن الكريم والسنة الشريفة أمثلة لا تحصى على إيمان المسلمين بالسيد المسيح نبياً من أولي العزم، وتقديرهم الكبير ومحبتهم له ولأمه السيدة مريم.

[3] – الملحدون: ينكرون وجود أي إله بالمطلق.

– المشككون: يعتقدون بأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال الجزم بوجود الله أو عدم وجوده.

[4] – عظة الجبل: وردت في إنجيل متى الإصحاحات الخامس والسادس والسابع. هي عظة استثنائية ألقاها يسوع على تلاميذه وحشد كبير من الجماهير. ومن أشهر ما جاء فيها هو افتتاحيتها، وتُعرف بالتطويبات، كما تضمنت وصايا متنوعة كعدم مقابلة الشر بالشر، وتحويل الخد الآخر للمعتدي، وعدم إدانة أحد فالدينونة لله. أما أكثر ما ميز هذه العظة فهو إعلان المسيح فيها بأنه لم يأت لينقض ما جاء قبله بل ليكمله. ويعتقد علماء الكتاب المقدس بأن هذه العظة ضمت النقاط الرئيسية للتلمذة المسيحية. وقد تم تبني الأفكار التي تضمنتها من قبل بعض المفكرين، مثل: تولستوي وغاندي.

[5] – ندوة عيسى: حلقة دراسية تضم باحثين أكاديميين متخصصين في دراسات الكتاب المقدس، أسسها عام 1985 «روبرت فنك» و«جون دومينيك كروسان»، وتقوم بالنشر العام لأبحاث حول يسوع التاريخي، وهي من أنشط المجموعات في مجالها.

[6] – نيكوس كزانتزاكس: ولد عام 1883 في جزيرة كريت، حصل على الدكتوراه في الحقوق من أثينا ثم سافر لدراسة الفلسفة في باريس. وأمضى معظم فترة شبابه في رحلات تأملية. يعد من أبرز الكتَّاب والشعراء والفلاسفة في القرن العشرين. فقد ألَّف العديد من الأعمال الهامة. ورغم انتقاده الدائم للأديان إلا أنه لم يكن ينتقد رجال الدين كأفراد، فحسب وجهة نظره أن المسيح كان ينظر إلى الحياة نظرةً مبسَّطة ومتفائلة جدًّا، على عكس بوذا الذي ينظر إلى الكون بعين ثاقبة وعميقة. لقد كان بوذا في نظر كازنتزاكيس المرشد الذي نظَّم فوضى أسئلته، وأعطاه السكينة والسلام. توفي سنة 1957 ورفضت الكنيسة الأرثوذكسية تشييعه ودفنه في أثينا، فنُقِلَ إلى كريت، وكُتِبَتْ على شاهدة ضريحه، بناءً على طلبه: «لا آمُل في شيء، لا أخشى شيئًا، أنا حر».

[7] – الإغواء الأخير: الرواية الأشهر لكزنتزاكس، والتي تبلغ حبكتها عندما يغمى على المسيح وهو على الصليب، فيحلم أن ملاكاً خلصه من الصلب الذي كان مجرد حلم، فيتابع حياته ليعشق مريم المجدلية ويتزوجها، وبعد أن غدا رجلاً كهلاً ذا لحية بيضاء يزوره تلامذته السابقون وهم مجموعة عجزة ليوبخوه على غدره بهم. وفي المشهد الأخير نجد المسيح عجوزاً يتذكر أيام شبابه ويصفها بالعاقلة والرائعة لاختياره سبيل البشر، وتخلصه من الحرمان الجنسي. عن ذلك يستيقظ ليجد أنه في الواقع يموت على الصليب. وختم كزانتزاكس الرواية بأن جعل المسيح يفتح عينيه ويهز رأسه بعنف. لا، إنه لم يكن خائناً للرب. ولم يتخذ له زوجات. ولم يعش حياة سعيدة. لقد وصل إلى ذروة التضحية ثم أغمض عينيه راضياً.

[8] – نورمان ميلر: ولد عام 1924 في نيوجرسي وتوفي في نيويورك عام 2007، بعد تخرجه من هارفارد خدم في الجيش، وفي عام 1948 نشر روايته الأولى التي جعلت منه كاتباً مشهوراً في يوم وليلة. أما روايته «إنجيل الابن» فهي عمله رقم 30. وقد اختلف النقاد كثيراً حولها، فهي رواية تعيد خلق عالم فلسطين منذ ألفي سنة، أما المسيح فيها فهو إنسان مفعم بالأهواء والشكوك، بالقوة والضعف بالشجاعة والخوف، بالحب والكراهية. ولعل ميلر قد كتب روايته هذه في محاولة لإعادة الاهتمام بالرأفة ومساعدة الضعفاء في وجه قوى لا تعرف إلا الربح والمال.

[9] – الغنوصية: اشتقت من كلمة يونانية تعني المعرفة، وهي معتقدات دينية فلسفية ظهرت في القرن الأول الميلادي، ويبدو أنه كان لها جذور وثنية قديمة. تطورت الغنوصية في القرن الرابع الميلادي، وصار لها عدة مذاهب، وقد أضفى الغنوصيون على الفكر اللاهوتي طابعاً علمياً باستخدام المنطق. ومع أنها لم تعارض الديانة المسيحية لكن الكنيسة حاربتها بشدة.

[10] – الأناجيل المنتحلة: التي لم يتم اعتمادها في المجامع الكنسية، حيث اعتمدت أناجيل محددة وجمعتها في كتاب واحد دعي الكتاب المقدس.

[11] – آباء الكنيسة: عدد من رجال الدين المسيحي الذين أثروا في بناء العقيدة المسيحية.

[12] – الوثيقة «Q»: يقصد بها مصدر أناجيل: مرقص ومتّى ولوقا، فهذه الأناجيل نقلت عن بعضها وعن ما يُعرف باسم «الإنجيل الأصل» الذي يشار إليه بكلمة ألمانية هي: «Quelle» بمعنى الأصل، وتختصر إلى أول حروفها Q.

[13] – غيبيّة: تقوم على الماورائيات والغيبيات، وما يتعلق بالحياة الآخرة وما بعد الموت، والحساب والجنّة والنار.

[14] – الأناجيل السينوبتية: تعني كلمة سينوبتي في اليونانية ذا رؤية مشتركة، وبسبب الاشتراكات الكثيرة بين أناجيل: متى ومرقص ولوقا، سميت هذه الأناجيل «السينوبتية»، ويقابلها إنجيل يوحنا المستقل.

[15] – إنجيل الآيات: وهو نص مفترض كان متداولاً في العصر المسيحي الأول، واتخذه يوحنا مصدراً لإنجيله، وقد وضع فرضية هذا الإنجيل «رودلف بولتمان» عام 1941، واقترح أن يوحنا اعتمد على رواياته التي تصف معجزات المسيح، وهي مستقلة عن الأناجيل السينوبتية. واستنتج «بولتمان» أن يوحنا فسر تقاليد هيلينية عن عيسى كصانع معجزات، أي أنه ساحر حسب نظرة العالم الهيليني ولذلك رفعت دعوى تجديف ضد بولتمان.

[16] – الأكثر تميّزاً كان «جون مير» في كتابه: «إعادة التفكير بيسوع التاريخيّ»، مجلدين، نيويورك: 1991. وأيضاً «جيرد ثيزن» وآنيت ميرز، في كتابه: «يسوع التاريخيّ: الدليل الشامل»، مينابوليس: 1998.

[17] – يقول الباحث في العهد الجديد «ساموبل ساندميل»: أعتقد أنه ليس من المبالغة القول أنه منذ عام 1800 تمت كتابة العديد من المقالات اليهوديّة، التاريخيّة واللاهوتيّة، عن يسوع أكثر مما كتب عن موسى (علم المسيحيّة، بيركي وإدواردز، نيويورك: 1982). وللإطلاع على مناهج البحث اليهوديّ حول يسوع، انظر: دونالد هاغنر، التصحيح اليهودي ليسوع، غراند رابيدز: 1984، وانظر أيضاً: روي فولر، «الرؤى اليهودية المعاصرة ليسوع»، أطروحة، معهد اللاهوت المعمداني الجنوبي، 1992.

[18] – يجسّد النقص في دراسة هذه القضيّة اثنان من أكثر التواريخ تأثيراً في تفسير العهد الجديد، هما:

1- ورن رجي.كميل، في كتاب «العهد الجديد، تاريخ التحقيق في مشاكله»، ولكنه يذكر هذه المشكلة ضمن الحواشي السفلية فقط، ويعلل ذلك بقوله: «إن الإنكار لوجود يسوع... اعتباطيّ ومبنيّ على أسس خاطئة». (447- 367).

2- نيل ورايت، في كتاب «التفسير»، وهما لا يذكران هذه المشكلة على الإطلاق. وتبعاً لـ«بورنكام»: «أن تشكّ بالوجود التاريخيّ ليسوع بالمطلق ... كان أمراً متروكاً لنقد مقصود من الوقت المعاصر، وهو أمر لا يستحق الذكر هنا». (يسوع، 28).

[19] – ميير، اليهودي الهامشيّ، 1:68. انظر أيضاً: النعي الساخر ليسوع في أهم المجلات البريطانية، ذا إيكونميست، 3 نيسان 1999، 77. وعلى الرغم من معاملة حياة وموت يسوع على أنها تاريخيّة بالكامل، لكن يبدو أنه كان مجبراً على القول: إن الدلائل من مصادر قديمة غير مسيحيّة يؤمّن تأويلات غير متحيزة، وشبه عصرية تقول: إن يسوع قد وجد بالفعل.

[20] – المبشرون : هم أصحاب الأناجيل الأربعة: متى، ومرقص، ولوقا، ويوحنا.

[21] – على سبيل المثال: خلص رادولف بالتمان، الذي شكك بالعديد من أعراف الأناجيل الكنسية، إلى أنّ: «الشك بوجود يسوع لا أساس له، ولا يستحق الدحض. حيث لا يستطيع إنسان عاقل أن يشك بأن يسوع هو مؤسس حركة تاريخية تتمثل مرحلتها الأولى بالمجتمع الفلسطينيّ». (يسوع والكلمة، 13).

[22] – ف. م. فولتير، يسوع: من الله والإنسان، في الأعمال الكاملة لفولتير. 279

[23] – يتحدث وود في كتابه: «هل عاش المسيح فعلاً؟» ص7، عن رؤيته عام 1931 ملصقات مضادة للدين في نادي شيكاغو للعمال الروس، يساوون فيها بين يسوع وإله الشمس الفارسي ميثرا وإله الأرض المصري إيزيس. (للمزيد عن بور وماركس، انظر زفاي روزن، «برونو بور وكارل ماركس». (هيغ، 1977).

[24] – أعطى الألمان هذا الاسم للمجموعة التي جعلت من مدرسة توبينغن تبدو معتدلة.

[25] – دي فريز، الكتاب المقدّس وعلم اللاهوت في هولندا، 54. يشير إلى أن «فولتير»، و«إتش. يو. ميبوم»، و«ج. ي. فان دين بيرغ»، على أنهم امتداد القرن العشرين لهذه المدرسة.

[26] – ورد في التلمود البابلي: أن فيفوس بن يهوذا كان يقفل الباب على زوجته مريم ويخرج لكي لا يراها الناس، فكرهته وخانته مع جندي روماني اسمه يوسف بانديرا، وبانديرا تعني نمر باللاتينية، وتلفظ أحياناً «بانثيرا». فعوقبت مريم بتهمة الزنا، وطلقت من زوجها، مما أجبرها على تربية ابنها لوحدها، ومن ثم هاجر ابنها يشوع بن بانديرا إلى مصر وهناك تعلم المعجزات وعاد.

[27] – أَلِكسندر جانيوس: ملك من السلالة المكابية، وسع مملكته في فلسطين، وبعد وفاته اختلف أبناؤه فتدخل العرب الأنباط لمساعدة ابنه هيركانوس.

[28] – كونيبير، المسيح التاريخيّ (لندن: 1914). كان كونيبير، مثل روبيرتسون، عضواً قيادياً في الجمعية الصحفيّة العقلانية. لكنّه كان يعرّض آراء روبيرتسون للنقد اللاذع.

[29] – سميث، الدين عند الآلهة (جينا: 1906)

[30] – ويلز، يسوع المسيحيّة الأولى (لندن: 1971). مرجع سابق، هل وجد يسوع؟ (لندن : 1975؛). مرجع سابق، الدليل التاريخي لوجود يسوع (بوفالو: 1982). مرجع سابق، أسطورة يسوع (شيكاغو: 1996).

[31] – دافع الفيلسوف «مايكل مارتن» من جامعة بوسطن عن «ويلز» في جدله بأن يسوع لم يوجد، وتبعه بمعظم ما قال في الفصل الأول من كتابه الدليل ضد المسيحيّة (فيلاديلفيا: 1991). ومن النقاد الذين يرفضون فرضيات ويلز: مايكل غرانت في كتابه: «يسوع: مراجعة تارخية للأناجيل الكنسية»، (نيويورك: 1977) وإيان ويلسن في كتابه: «يسوع: الدليل» (سان فرانسيسكو: 1984)، وغراي هابيرماس في كتابه: الدليل القديم لحياة المسيح (ناشفيل: 1984)، الذي يقول في ص67: إن ما يعيب حجج «مارتن» هو اعتماده على «ويلز» في معلوماته حول أبحاث العهد الجديد، مع ذلك فإن «مارتن» يعتبر حجج «ويلز» موثوقة، ويضيف: «إلا أنني لن أعتمد عليها في بقية الكتاب حيث أنها جدلية وليست مقبولة بشكل كبير».

[32] – انظر: موراي هاريس، ثلاثة أسئلة جوهرية عن يسوع (غراند رابيز: 1994)، حيث أن السؤال الأول هو: «هل وجد يسوع؟» فإن هذا الأمر جوهري من أجل الإيمان بيسوع، لكنه لم يعد جوهرياً من أجل دراسته.

[33] – بيلاطس البنطي: كان الحاكم الروماني لمنطقة «اليهودية» بين عامي 26 إلى 36م. وحسب ما هو وارد في الأناجيل المعتمدة، فإنه هو الذي تولى محاكمة المسيح، وأصدر الحكم بصلبه، وذلك في عهد الإمبراطور الروماني طيباريوس قيصر، وقد أصدر بيلاطس الحكم بصلب المسيح خوفًا من اليهود الذين هددوا برفع الأمر إلى الإمبراطور واتهامه بالخيانة إذا قام بتبرئة المسيح الذي صرّح بأنه ملك، وهي تهمة سياسية خطيرة بالنسبة للرومان.

[34] – المحاولة الوحيدة المعروفة في هذا الجدل تتمثل بكتاب «يوستنيوس الشهيد، حوار مع ترايفو»، المكتوب منتصف القرن الثاني الميلادي.

[35] – الربوبيين: فلسفة تؤمن بوجود خالق عظيم خلق الكون، وبأن هذه الحقيقة يمكن الوصول إليها باستخدام العقل، ومراقبة العالم الطبيعي وحده دون الحاجة إلى أي دين. فيختلفون بذلك عن الملحدين.

[36] – علماً بأن رسل، في كتابه: «لماذا لست مسيحياً» (نيويورك: 1957) يقبل بشكل ضمني تاريخيّة يسوع.

[37] – هي الأسفار التي لم يتم اعتمادها في المجامع الكنسية، حيث اعتمدت أناجيل محددة وجمعتها في كتاب واحد باسم «bible»باللاتينية بايبل تعني الكتاب، وما عداها من أناجيل تصنف على أنها منتحلة.

[38] – اكتشف عام 1945 بالقرب من قرية نجع حمادي بصعيد مصر جرة خزفية، كان بداخلها أكثر من 12 مخطوطة، هي ما عرف فيما بعد بمخطوطات نجع حمادي، وهذه المخطوطات تضم بعض الأناجيل، وبعض الكتابات الغنوصية.

[39] – أغرافا: مفرد أغرافون اليونانية، أي غير مكتوب، وهي تستخدم عادة لوصف أقوال يسوع غير الموجودة في الأناجيل القانونية. وقد استخدمت الكلمة لأول مرة في عام 1776 من قبل باحث ألماني.

[40] – بعض الدراسات عن يسوع خارج العهد الجديد تعاملت، إضافة لكل ما ذكرنا، مع يسوع في القرآن وفي الأعراف الإسلامية الأخرى، كذلك مع أساطير حول رحلات يسوع المفروضة إلى الهند والتيبت، وقبره الذي في سرينغار كشمير، وما إلى ذلك. وقد اتفق الباحثون بشكل كامل تقريبا أن هذه الإشارات إلى يسوع قديمة، وتميل إلى احتواء ما هو عديم القيمة لفهم يسوع التاريخيّ، حيث أنها لم تشكل جزءاً من الجدل الثقافي حول يسوع، لذلك فلن ندرسها هنا. والقراء الذين يودون الحصول على هذه المواضيع بإمكانهم البدء بالمفاهيم الإسلامية مع «كريغ إفانز»، في بحثه: «يسوع في مصادر غير مسيحية»، ومع «جول غرين، سكوت ماكنايت، وهاورد مارشال»، في قاموس يسوع والأناجيل، ص 367–68. انظر أيضاً: دادلي وودبيري، «الفهم الإسلامي للمسيح»، الكلمة والعالم 16 (1996) ص 173–78، وكذلك «كينيث كراغ»، يسوع والإسلام (لندن، 1985). ومن أجل يسوع في الشرق الأقصى، انظر دراسة «نيكولاس نوتوفيتش» الحياة غير المعروفة للمسيح (1894) في غوودسبيد، الأناجيل المنتحلة العصرية (بوسطن: 1956) ص 3–14.

[41] – تيبريوس: قيصر أوغسطس، ولد عام 42 ق م، وهو الإمبراطور الروماني الثاني. وكان ابناً لأوغسطس بالتبني وصهره. بنى هيرودس أنتيباس حاكم الجليل مدينة طبرية على اسمه، وفي عهده صلب المسيح. وقد توفي عام 37 م، وخلفه كاليغولا.

[42] - السامرة: طائفة دينية يرجع أصلها إلى بني إسرائيل، وينسبون إلى مدينة شامر أو سامر، ولهم توراتهم الخاصة. وقد ظهر الخلاف بين السامريين واليهود بعد العودة من السبي البابلي حيث تمسك كل منهم بتوراته على أنها التوراة الصحيحة.

[43] – أغريباس: هيرودس أغريباس الأول ابن أرسطوبولوس، وحفيد هيرودس الكبير. كان يعيش في روما، ثم عين حاكماً على قسم من فلسطين سنة 39 م، زمن الإمبراطور كاليجولا. يقول الكتاب المقدس إنه ذبح يعقوب أخا يوحنا المعمدان وسجن بطرس. مات أغريباس سنة 44 م.

[44] – أوغسطس: 27ق.م– 14م، هو جايوس أوكتافيوس وقد تبناه عمه يوليوس قيصر، وبعد مقتل يوليوس اشترك أوكتافيوس مع أنطونيوس في الحكم ثم اصطدما في معركة إكتيوم البحرية سنة 31ق.م. حيث انتصر أوكتافيوس، وانتحر أنطونيوس وكليوباترا بعد حصار الإسكندرية، فانفرد أوكتافيوس بالحكم. وفي سنة 27ق.م منحه مجلس الشيوخ لقب أوغسطس ومعناه: الجدير بالاحترام كإله. وأعلن أوغسطس قيصر الإمبراطورية سنة 23ق.م. وفي مدة حكمه وُلِدَ السيد المسيح.

[45] – تراجان: 53– 117 م، ثاني الأباطرة الأنطونيين. كان والده حاكم سورية، فانتسب تراجان للجيش الروماني وارتقى فيه حتى تم تعيينه قنصلاً، فاصطحب المهندس أبوللودور الدمشقي معه إلى روما، فقام بتصميم أكثر المباني شهرة في روما وفي إقليم الراين. شارك تراجان الإمبراطور دوميتيان في حروبه ولما مات خلفه نيرفا، الذي كان غير مرغوب فيه من الجيش فقاما بتسمية تراجان ابناً بالتبني، وعندما توفي نيرفا تولى تراجان حكم الإمبراطورية فأوصلها أوج اتساعها.

[46]– إن هذه العبارة من قبل حاكمٍ روماني: «بأن هؤلاء المتهمين العنيدين وغير المتعاونين يستحقون الموت»، والتي يوافق عليها تراجان ضمنيّاً في رده، قد توضّح توجّهات «بيلاطس» وأفعاله في محاكمة يسوع. إذا كان حاكم إنسانيّ إلى حدّ ما مثل «بليني» يفكّر بهذه الطريقة، فكيف بحاكم مثل «بيلاطس» الذي كان معروفاً بافتقاره للإنسانية؟.

[47] – تيرتولين: فيلسوف معاصر لأوغستين، كان معروفاً بعدائه للمرأة.

[48] – العبارة هي: «carmenque Christo quasi deo dicere secum invicem».

[49] – يوليوس قيصر: جيوس يوليوس قيصر (100 ق.م – 41 ق.م) كان قائداً سياسياً وعسكرياً بارعاً، ويعد واحداً من أكثر الرجال نفوذاً في تاريخ العالم. وهو الذي قام بتحويل الجمهورية الرومانية إلى إمبراطورية وكان أول أباطرتها.

[50] – دوميتيان: تيتوس فيلافيوس دوميتيانوس ولد عام 51م – 18 سبتمبر 96) كان آخر إمبراطور من سلالة فلافيان، أمضى الكثير من شبابه في ظل شقيقه تيتوس، والذي اكتسب شهرة أثناء الحملات العسكرية في جيرمانيا . وكذلك مع فسبسيان، الذي أصبح الإمبراطور. كان قاسياً وطاغية ولا يعرف الرحمة ولكنه كان متسلطاً كفوءاً.

[51] – كلاوديوس المعظّم: ماركوس كلاوديوس مارسيلوس ولد عام 268 ق.م تولى مناصب قيادية في الجيش، واحتل مكانة مرموقة فانتخب خمس مرات قنصلاً، شارك في الحرب ضد القبائل الغالية، كما شارك في الحرب البونيقية الثانية.وقتل في إحدى معاركها عام 208 ق.م.

[52] – مقدونيا: كانت مملكة إغريقية، ظهر فيها الإسكندر الأكبر الذي وحد اليونان وغزا الشرق. ثم تبعت الإمبراطورية الرومانية.

– رودوس: جزيرة يونانية، تقع بالقرب من الساحل الجنوبي لتركيا، كان يعتقد بأنها مقر الإله أبولو، وكان تمثاله فيها واحداً من عجائب الدنيا السبع.

– طروادة: مدينة تاريخية قديمة تقع في غرب الأناضول، ازدهرت في الألف الثالث قبل الميلاد. وقد اشتهرت قصة حصان طروادة الخشبي الذي اختبأ داخله الجنود الإسبرطيون وتسللوا ليلاً لفتح أبواب المدينة أمام جيوش الملك مينلاوس ملك إسبرطة بقيادة أخيه أجاممنون، الذي حاصر المدينة المنيعة ردهاً من الزمن يقارب العشر سنوات، وما كان من الممكن إسقاطها إلا بالخدعة.

– ليشيا: منطقة في آسية الصغرى تقع على الساحل الجنوبي للأناضول، حول مدينة أنطاكيا الحالية. كانت ضمن اتحاد مدن للمنطقة ما بين القرن الرابع عشر والخامس عشر ق.م، وفي ما بعد أصبحت إقليماً يتبع للإمبراطورية الرومانية.

[53] – النص هو: «Judaeos impulsore Chresto assidue tumultuantis Roma expulit».

[54] – كلمة «مسيح» هي بالإنكليزية: كريست– Christ، وباللاتينية: كريستو– Christus، وباليونانية: خريستو Christos.

[55] – لوب: (Loeb classical library) مكتبة متخصصة في مخطوطات ودراسات الآداب والتاريخ للعصور الكلاسيكية، أي اليونانية والرومانية.

[56] – الزيلوت: طائفة يهودية قديمة نشأت في القرن الأول الميلادي، عرفت بتعصبها الشديد ومقاومتها للرومان. ودعا الزيلوت إلى الثورة المسلحة والتحرر نهائياً من الحكم الروماني، ومن بين الزيلوت ظهر مجموعة تقوم بعمليات الاغتيال المنظمة كانوا يعرفون باسم السيكاري، أي حملة الخناجر، فقد كانوا يطعنون الرومان بخناجرهم.

[57] – بردية 72: تتضمن رسالة يهوذا، ورسالتي بطرس الأولى والثانية، وهي واحدة من أقدم المخطوطات اليونانية، وهي أجزاء غير كاملة للعهد الجديد مكتوبة على ورق البردي، ويرجع تاريخها إلى الفترة من منتصف القرن الثاني حتى القرن الرابع الميلاديين، ورغم أن هذه المخطوطات ترجع إلى زمن مبكر إلا أنها فقدت الكثير من أهميتها لأنها مكتوبة بخط كتبة غير مؤهلين، ويبدو فيها عدم الاهتمام بالتفاصيل الصغيرة.

[58] – فريجية: إقليم روماني كان يقع في الوسط الغربي للأناضول، وقديماً كان يسكنه الفريجيون الذين حكموا آسيا الصغرى بعد انهيار الإمبراطورية الحثية في القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

[59] – ما بين الأقواس هو ما تمّ إكماله من الأحرف اللاتينية المفقودة.

[60] – تعتمد المدرسة الرواقية التي ظهرت بعد فلسفة أرسطو على إرساء فن الفضيلة ومحاولة اصطناعها في الحياة العملية، ولم تعد الفلسفة تبحث عن الحقيقة في ذاتها، بل أصبحت معياراً خارجياً تتجه إلى ربط الفلسفة بالمقوم الأخلاقي. وتعد الفلسفة عند الرواقيين مدخلاً أساسياً للدخول إلى المنطق والأخلاق والطبيعة. ارتبطت هذه المدرسة بالفيلسوف زينون (336–264ق.م) الفينيقي الأصل. وازدهرت منذ ق 4 ق م وحتّى ق 4 م.

[61] – سقراط: سقراط (469 . 399 ق.م.). فيلسوف ومعلم يوناني جعلت منه حياته وآراؤه وطريقة موته الشجاعة، أحد أشهر الشخصيات التي نالت الإعجاب في التاريخ. فنتيجة لتهكمه على الديمقراطية في أثينا تمت إدانته وحكم عليه بالإعدام.

[62] – فيثاغورث: فيلسوف ورياضي إغريقي عاش في القرن السادس قبل الميلاد، ولد في جزيرة ساموس على الساحل اليوناني. في شبابه قام برحلة إلى بلاد ما بين النهرين وأقام في منف بمصر. وبعد تعلم كل ما هو معروف في الرياضيات من مختلف الحضارات المعروفة آنذاك عاد إلى ساموس لكنه اضطر للفرار لمعارضته للدكتاتور بوليكراتس حول الإصلاحات الاجتماعية. واستقر في جنوب إيطاليا فذاع صيته واشتهر.

[63] – كوماجين: مملكة نشأت بعد انقسام إمبراطورية الإسكندر الأكبر، في منطقة شمال سورية من الجزيرة وحتى منابع الفرات، كانت عاصمتها هيرابوليس أو منبج اليوم.

[64] – هادريان: 76 – 138م، إمبراطور روماني وفيلسوف رواقي وأبيقوري. في أعقاب ثورة يهودية شيد هادريان مدينة جديدة على أنقاض القدس أطلق عليها اسم: كولونيا إيليا كابوتالينا، وحرم على اليهود دخولها.

[65] – الاعتذاريين: أو التبريريين، ظهرت الاعتذاريات المسيحية في مجال اللاهوت بهدف تقديم أساس عقلاني للإيمان المسيحي والدفاع عنه. وقد أخذت الاعتذاريات أشكالاً كثيرة عبر القرون، ابتداء من بولس الطرسوسي ومروراً بأوريجانوس وأوغسطينوس، وحتى المسيحية الحديثة من خلال جهود عدة كتاب. واستدل الاعتذاريون المسيحيون بالأدلة التاريخية، والحجج الفلسفية، والتجريبات العلمية، والإقناع الخطابي وغيرها.

[66] – المارسونيّة: تعدها الكنيسة المسيحيّة من الهرطقات الكبرى التي واجهتها، والمارسونيون هم أتباع مارسيون القائل بالإلهين: إله اليهود القاسي، والإله الحقيقي المحتجب، ويرى أن المسيح اختفى فجأة ثم رجع. انتشرت هذه الدعوة في روما في القرن الثاني الميلادي.

[67] – الدرودية: عقيدة تعبد عددًا من الآلهة، وكان أتباعها من السلتيين في أوروبا، يعتقدون بقدسية بعض النباتات والأشجار. ويقولون إن الروح خالدة تتقمص جسداً آخر بالوفاة. ويقدمون القرابين التي ربما كان منها بشر. وقد حاول الرومان القضاء على الدرودية إلا أنها بقيت حتى القرن السادس م عندما تحول السلتيون إلى المسيحية.

[68] – قمران: أو خربة قمران، موقع اثري على شواطئ البحر الميت جنوبي أريحا، اكتسب شهرته العالمية بعد العثور على مخطوطات في الكهوف الجبلية المطلة عليه. بدأ الاستيطان في ذلك الموقع في العصر الحديدي ق 7 ق م. ويعتقد بأن الموقع بقي مهجوراً بعدها حتى ق 2 ق م عندما اعتزلت جماعة دينية في هذا الموقع وبنت مستوطنة صغيرة فيه.

[69] – الأسينيون: فرقة يهودية ظهرت في فلسطين في ق 2 ق م، يطلق على أتباعها تسمية الأطهار. وهي تحرّم الملكية الفردية والزواج ويمارسون كل صباح الاغتسال بالمياه، آمنوا بدعوة السيد المسيح لكنهم رفضوا دعوة بولس للمسيحية، وظلوا متمسكين بالنواميس اليهودية، وبعد تدمير الهيكل عرفوا باسم المسيحيين اليهود أو الأبيونيين.

[70] – بليني: گايوس پلينيوس سِكوندوس، ولد في شمال إيطاليا عام.23م. عمل محاميًاً، وتولى عدة مناصب حكومية ثم عين قائداً للأسطول الذي كان بالقرب من مدينة بومبي عندما انفجر بركان جبل فيزوف في عام 79م ومات هناك وهو يحاول إنقاذ الفارين. كتب الكثير من الأعمال التاريخية والفنية ولم يتبق منها سوى 37 مجلداً من التاريخ الطبيعي.

[71] – الصدوقيون: يعتقد بأن هذه التسمية كانت نسبة إلى كبير الكهنة صدوق أو صادق، ومع أن الصدوقيون من اليهود لكنهم رفضوا الاعتراف بقدسية التوراة ما عدا أول خمسة أسفار التي تنسب إلى موسى، كما أنكروا قيامة الأموات والحياة الأبدية، ورفضوا الاعتراف بالملائكة والشياطين، وعرف عنهم التمسك بالمنطق وعدم إيمانهم بالغيبيات. كان الصدوقيون في الغالب ينحدرون من عائلات كهنوتية عريقة، لذلك تعاونوا مع السلطات الرومانية للحفاظ على وضعهم الديني والسياسي، فكان لهم نفوذ قوي في الهيكل.

[72] – يهوذا المكابي: من زعماء اليهود في القرن الثاني قبل الميلاد، ووردت قصته في سفر المكابيين. كان أنطيوخوس الرابع إبيفانس الملك السلوقي يريد أن تتبنى الشعوب الخاضعة لدولته الثقافة والعادات الإغريقية، واستجاب العديد من اليهود لذلك، ورفض بعضهم. فثار يهوذا وحقق انتصارات عديدة على أنطيوخوس، لكنه قتل عام 160ق.م.

[73] – يوحنا المعمدان: هو النبي يحيى بن زكريا في الإسلام، كما هو آخر أنبياء العهد القديم وأول قديسي العهد الجديد، كذلك هو من أنبياء المندائيين.عمد يوحنا السيد المسيح بمياه نهر الأردن، وقد قتله الملك هيرود، وقبره الآن في الجامع الأموي بدمشق.

[74] – مسعدة: جبل يطل على الساحل الغربي للبحر الميت، شرقي صحراء النقب، يمكن الإشراف منه على منطقة واسعة، يوجد على قمة الجبل بقايا قلعة قديمة وقصر. المصدر الرئيسي للمعلومات عن تاريخ الموقع هو كتاب: «تاريخ حرب اليهود ضد الرومان» للمؤرخ اليهودي الروماني يوسيفوس فلافيوس، الذي اشترك في التمرد على الرومان ثم سلم نفسه وتعاون معهم. وحسب كتاب يوسيفوس بنى هيرودس القلعة في الفترة ما بين 37 و31 قبل الميلاد، ونوى اللجوء إليها في حالة تمرد رعاياه عليه.

[75] – سيمون المجوسي: أو الساحر، معّلم يهودي ولد في السامر ة. كان غنوصياً، وقد أسس فرقة دينية خاصة به. يروي سفر أعمال الرسل في إصحاحه الثامن قصة سيمون هذا الذي اعتنق المسيحية وأراد أن يشتري موهبة الروح القدس بالمال فزجره الرسول بطرس وطرده، وتحرم الكنيسة اليوم ما يعرف بـ«السيمونية» وهي شراء الكهنوت. ويقول القديس يوستينوس: إن أتباع سيمون كانوا كُثراً وأنهم اعتبروه الإله الأعلى، ومما قاله سيمون وفق رواية القديس إيريناوس: إن الإله الأعلى أظهر نفسه بصفة الابن بيسوع بين اليهود، وبصفة الآب بين السامريين في شخص سيمون، وفي بلاد أخرى بصفة الروح القدس.

[76] – يهوذا الإسخريوطي: من تلاميذ المسيح الاثني عشر. وبحسب الأناجيل القانونية فإن يهوذا هو التلميذ الذي خان يسوع وسلمه لليهود مقابل ثلاثين قطعة فضة، وبعد ذلك ندم على فعلته ورد المال لليهود وذهب وقتل نفسه. يؤمن الغنوصيون بأن يهوذا بريء من الخيانة، وبأنه قام بفعلته لخدمة سيده المسيح، وبعض فرق الغنوصية تبجل يهوذا، وتعد أن تسليمه يسوع للموت كان لغاية نبيلة فقد علم بأن يسوع كان خائفاً فخشي أن يتراجع عن فداء البشر،

لذلك سلمه لرؤساء الكهنة لكي لا تعاق عملية الخلاص. وفي الإسلام يعرف بالتلميذ الخائن وأنه هو الذي ألقي عليه شبه المسيح فصلب بدلاً منه ورفع المسيح إلى السماء.

[77] – مريم المجدلية: امرأة شفاها يسوع، وكانت إحدى النساء اللاتي كن يخدمنه في الجليل، كانت حاضرة عند صلبه، وذهبت إلى القبر مع امرأتين فوجدن القبر فارغًا. وفي إنجيل مرقص أنها أول من ظهر لهم السيد المسيح بعد قيامته. وحسب التقليد الغربي يعد كل من: المرأة الخاطئة ومريم أخت مرثا ومريم المجدلية شخصًا واحدًا، ولذلك يُنظَر إلى القديسة مريم المجدلية كنموذج مذهل للإنسان التائب.

[78] – فيلبي من مدن مكدونيا في اليونان، زارها بولس الرسول سنة 52 م فآمن على يديه كثيرون كان أولهم ليديا بائعة الأرجوان.

[79] – نيرون: أو نيرو (37 – 68م) إمبراطور روماني، كانت أمه تتحكم في الدولة، ثم بدأ «نيرون» في تحجيم دورها، وأخيراً أمر بقتلها. أما أشهر جرائمه على الإطلاق فكان حريق روما الشهير سنة 64 م. وبعد ثورة في بلاد الغال انصرف عنه أصدقاؤه فهرب إلى كوخ بعيد حتى شعر بأصوات الجنود فقتل نفسه.

[80]– إن الكتاب اليهودي «يوسيبون»، الذي يعود للقرون الوسطى، هو ملخص عبري عن أعمال يوسيفوس، يستخدم ويستشهد به على نطاق واسع، لكنه ينسب إلى «يوسف بن غوريون». ولا تذكر نسخه السابقة يسوع، لكن يذكر يسوع لاحقاً في النسخ الموسعة على نحو مقتضب وسلبي، ضمن مواد تبدو مأخوذة من التلمود. ويعد كتاب جوزيف كلاوسنر «يسوع الناصري» مثالاً جيداً على التهميش الحديث. إلا أنه وعلى مر جيلين تقريباً أصبح الباحثون اليهود في طليعة الباحثين في كتابات يوسيفوس.

[81] – الهلاخاه: أو المذهب أي الشريعة التي هي مجمع القوانين، وأكثر مراجع الهالاخاه أهمية هو التلمود. ولكن الهلاخاه العصرية تستند إلى مراجع أخرى أيضاً، وأهم المراجع الإرشادية لأداء الهلاخاه العصرية هو كتاب «المائدة الممدودة». وحسب طريقة الهلاخاه العصرية تعد توصيات الحاخام لمجتمعه كأنها وصايا من عند الرب. ومع أن التوراة تعتبر كتاباً مقدساً، تختلف وصايا الهلاخاه كثيراً عما يكتب في التوراة، ويجب على اليهودي المتدين اتباع وصايا الهلاخاه وليس نص التوراة الحرفي.

[82]– وينتر، يوسيفوس عن يسوع ويعقوب، 431. (يقول إن يوسيفوس يذكر اثني عشر شخصاً آخر اسمهم يسوع).

[83] – للمزيد من أماكن ورود عبارة: «يدعى المسيح» في العهد الجديد انظر: متى، 1/ 16 – متى، 27/ 22،17 – يوحنا، 4/ 25 – يوحنا 9: 11.

[84] – بيلاطس البنطي: ولد عام 10 ق م. كان الحاكم الروماني لمقاطعة اليهودية في عهد الإمبراطور الروماني طيباريوس قيصر، وحسب الأناجيل الأربعة المعتمدة، فإنه قد تولى محاكمة المسيح، وأصدر الحكم بصلبه. وقد اتسم عهد بيلاطس بالكثير من الثورات اليهودية.

[85] – ثاكيري، يوسيفوس، 144. وسيتبنى ثاكيري لاحقاً وجهة النظر القائلة بأن هذه الفقرات تحتوي إضافات مسيحية للنص الأصلي.

[86]– فيرميس، ملاحظة يسوع، 10/ 46. يتقدم فيرميس بنقاشه خطوة نحو الأمام بافتراض: أنه إذا كانت شهادة يوسيفوس عن يسوع سلبية، فعلى الأرجح لم يكن الكتبة المسيحيون لينسخوا كتاب تاريخ اليهود على الإطلاق.

[87] – بروس، يسوع وأصول المسيحية،40 – إن كلمة «المسيح» ضرورية في هذه النقطة، وإلا فإن قراء يوسيفوس لن يفهموا كيف حصلت «قبيلة المسيحيين» على اسمها.

[88] – يمكن بالتأكيد شرح هذا النمط من الاستشهاد بطرق أخرى أيضاً. وعلى سبيل المثال، يقول بول غارنت: إن يوسيفوس كتب نسختين من تاريخ اليهود، أحدها مؤيدة للمسيحيين والثانية لا تحتوي على قسم الشهادة على الإطلاق. وإن هذه النسخة الثانية كانت لدى أوريجين والمسيحيين الآخرين قبل الإمبراطور قسطنطين. (دراسة أباء الكنيسة– 19، ليفينغستون، 57–61).

[89] – أوسيبيوس: ولد في قيسارية فلسطين نحو عام 260 م، تلقى تعليمه على يد الأسقف بمفيلوس الذي لقي حتفه في حملة الاضطهاد الكبرى زمن ديوقليسيان عام 310، فاتخذ أوسيبيوس اسمه لقباً وأصبح يعرف بالبامفيلي، عُين أسقفاً في قيسارية عام 313، ونال حظوة لدى الإمبراطور قسطنطين الكبير بسبب تبحره في العلم وموقفه اللاهوتي المعتدل. توفي في قيسارية نحو عام 340 م.

[90]– يجب الإشارة إلى قيمة النسخة السلبية إذا كانت صحيحة، فهي تقدم اسم يسوع على نحو صحيح، وتضعه في الفترة الزمنية الصحيحة، وتقوم بالتأكيد بافتراض تاريخيته. إنه إنسان حكيم «أو ذكي» قام بالمعجزات، وقد قتل بناءً على أمر من بيلاطس. ويحمل موت يسوع في النسخة السلبية توجهاً سياسياً، كما أن الجدل ضد يسوع جلي بربطه سابقاً بصفة «المخادع»، والمشاكل في الحركة المسيحية لاحقاً تربط بالمشاكل في حياة يسوع. وتعطي النسخة السلبية من بعض النواحي نتائج أكبر وتثير الاهتمام أكثر من النسخة المحايدة، ولكن هذا لا يعد سبباً منطقياً لترجيحها.

[91] – بالنسبة ليوسيفوس، يجذب يسوع أتباعه على نحو رئيسي بكونه صانع المعجزات، وهي وجهة نظر تتفق مع الصور العديدة ليسوع التي ترد لاحقاً في الأدب الحاخامي والأدب الوثني، إلى جانب بعض التعاليم في الإنجيل، (سيتزر، استجابات اليهود للمسيحيين الأوائل، 107).

[92] – الفريسيون: ظهر الفريسيون في القرن الثاني ق.م. وفريسي أي مفرز، فهم يعدون أنفسهم مفروزين عن الشعب لقداستهم، فقد كانوا متكبرين فخورين بمعارفهم الدينية، يزدرون العامة. وكان فيهم كهنة وعلمانيون. تمسكوا بحرفية الناموس في التفسير، وتشددوا في حفظ التعاليم القديمة، وكانوا يؤمنون

بالقيامة والخلود. كان لهم دور مهم في صلب المسيح، ولكن منهم أفراداً مؤمنين كبولس الرسول وغمالائيل.

[93] – الهيروديين: ليسوا طائفة دينية، بل هم أتباع هيرودس الذي منحهم نفوذاً واسعاً، فكانوا يقنعون الناس بموالاة هيرودس والرومان، ودفع الجزية لقيصر. كرههم اليهود لذلك، ولكنهم اتحدوا مع الفريسيين ضد المسيح، وكان من بين هذه الفئة صدوقيون وفريسيون.

[94] – التنائيم Tannaim: تطلق هذه التسمية على المعلمين والثقاة الذين عاشوا في القرنين الأولين للميلاد (نحو 10 إلى 200م)، ويبدأ عصرهم مع مدرستي هيلل وشمّاي وينتهي عند الرابي يهوذا الملقب بالبطريرك،. ويحمل معظم التنائيم لقب «ربي» Rabbi بمعنى «سيّدي»، ثم أصبح لقبهم فيما بعد: «راب»، وأحياناً «رابان». ويقسم عصر التنائيم إلى أربعة أجيال متتالية.

[95] – المشنا: كلمة عبرية معناها المكرر، لكن بتأثير اللغة الآرامية صار معناها «درس». ثم أصبحت تشير بشكلٍ محدد إلى دراسة الشريعة الشفوية. و«المشنا» عبارة عن مجموعة كبيرة من الشروح والتفاسير تتناول بعض الأسفار، وتتضمن مجموعة من الشرائع اليهودية التي وضعها معلمو «المشنا» (التنائيم) على مدى ستة أجيال. وتُعد «المشنا» مصدراً من المصادر الأساسية للشريعة اليهودية، وتأتي في المقام الثاني بعد التناخ «المقرا» باعتباره هو الشريعة المكتوبة التي تُقرأ. أما «المشنا» فهي الشريعة الشفوية. ولغة «المشنا» عبرية تحتوي على كلمات يونانية ولاتينية وعلى صيغ لغوية بقواعد ومفردات آرامية.

[96] – الحلقة الحاخامية: أو الأصح «التلمودية»، مؤسسة فقهية يهودية تسمى بالعبرية «يشيفا»، أو «مثباه» ذات الأصل الآرامي، كانت اجتماعات لتدارس النصوص والتراث الديني اليهودي، زادت أهميتها بعد هدم الهيكل سنة 70م، لأنها أصبحت مركز الحياة اليهودية داخل تجمعاتهم سواء في فلسطين أو في خارجها. ومن أهم الحلقات حلقة يفنه التي أسسها يوحنان بن زكاي عام 70 ميلادية، وقد قام بعض مريدي هذه الحلقة بتأسيس حلقات أخرى في مدن مختلفة في فلسطين مثل طبرية وصفد.

[97] – يبنا: مدينة فلسطينية على الساحل جنوب يافا 24 كم. يقال إن الفلسطينيين هم الذين بنوها في القرن 2 ق م. في العهد الروماني عرفت باسم (يمنيا)، وذكرها الإفرنج باسم (إيبلين). عام 156 ق.م هدمها المكابيون وأحرقوا ميناءها الذي كان أكبر من ميناء يافا، وأعاد بناءها غابينوس الروماني. فتحها عمرو بن العاص في خلافة أبي بكر ودعاها العرب (يبنا).

[98] بيت الحساب: أو بيت الدين – Beth Din هو المحكمة الحاخاميّة حيث حوكِم المخادع بوجود الشهود بوصفهم من اتّهمه.

[99] – أكسانيا: يمكن أن تعني هذه الكلمة «الحانة» أو «صاحبة الحانة». والحاخام «يشواع» استخدمها قاصداً المعنى الأول، أمّا يسوع فقد استخدمها قاصداً المعنى الثاني.

[100] – هنا في هذا السياق كلمة أكسانيا لا تعني إلاّ «مضيفة».

[101] – تسمية هذه الكنائس نسبة إلى يوحنا المعمدان وبولس الرسول، أي الكنائس التي تتبع نهج يوحنا والكنائس التي تتبع نهج بولس الرسول.

[102] – شمعون الصفا: الصفا كلمة عربية تعني الحجر، وهو باللاتينية بيتر أو بطرس، وبالآرامية هو كيفا ومعناها كلها الحجر أو الصخرة.وشمعون أو سمعان من تلاميذ السيد المسيح وهو خليفته وحواريه. وقد ورد في العهد الجديد: «نظر إليه يسوع وقال: أنت سمعان بن يونا، أنت تدعى صفا الذي تفسيره بطرس». كما ذكره بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس.

[103] – فيلون: فيلسوف يهودي ولد وعاش في الإسكندرية بمصر. كان يقول: بأن فلسفة أفلاطون والرواقيين موجودة أصلاً في الكتاب المقدس، وإن اللوجوس هو مثال المثل. وكان له تأثير كبير في الفلسفة الأفلاطونية الجديدة.

[104] نسخ «جوزيبون – Josippon versions»: هي النسخ التي تنسب إلى يوسف بن غوريون.

[105]– سيكون الفصل القادم مجالاً للبحث في إنجيل مرقص السري وإنجيل بطرس كمصادر ممكنة لإنجيل مرقص الكنسي.

[106] – هذه الاستثناءات هي إغفال المواد من مرقص: 6: 17 – 29 و6: 45 – 8: 26. ومن ناحية أخرى يستند تأليف لوقا لرواية السفر في قسمه المركزي: 9: 51 – 19: 27 على مرقص: 10.

[107] – كتب مارشال في كتابه: إنجيل لوقا، الصادر عام 1978: « إن إخلاص لوقا العام لمصادره «م» أي مرقص، و«ق» تجعل المرء يشكك بالقول أنه أوجد مادةً كبيرةً في الإنجيل، وأنه من الأكثر منطقيّة أن مواقف لوقا تشكّلت إلى حدّ كبير من خلال الأعراف التي ورثها».

[108] – كتب جوزيف فيتزماير في كتابه: الإنجيل حسب لوقا، الصادر عام1981: «على الرغم من عدم يقينه فيما إذا كان «ل» مصدراً مكتوباً أو شفهياً، أو فيما إذا كان ممكناً وضعه على قدم المساواة مع «ق»، أو مرقص، في قائمة فقراته... التي أعتقد أنه استمدها من «ل»، فهو يورد جميع مواد لوقا الخاصة».

[109] – إن تحليل المحتوى الذي قام به «بافينروث»، لتميز المصدر عن التأليف الذي قام به لوقا، قد يؤدي في بعض الأحيان إلى التفكيك الكبير بينهما. فعلى سبيل المثال، لقد رأى الكثير من مفسري «ل» أن قصة زكا تتماشى مع لاهوت لوقا، وليست على خلاف معه. ثانياً، إن استخدامه لكلمات تثير

الاهتمام من أجل اكتشاف وحدة المصدر التكوينية والموضوعية يمكن أن يتم انتقادها على أنها ليست الطريقة الدقيقة، مثلا: عندما يكرر كلمة «الشرف»، التي لا تأتي على نحو صريح. وبذلك لا يمكن أن تكون أساساً لتكوين كلمات تثير الاهتمام.

أخيراً، يمكن التساؤل عما إذا كان قد استخدم لوقا «ل» بترتيبه الأصلي. يقدم بافينروث بعض الحجج الوجيهة من المضمون والأسلوب للإشارة إلى أن لوقا فعل ذلك. ومع ذلك، ونظراً لأن لوقا استخدم مرقص في الغالب بترتيبه، واستخدم أيضاً «ف» بترتيبه الأصلي على الأرجح، ربما كان من الصعب له استخدام مصدره «ل» بترتيبه الأصلي أيضاً. وعلى الرغم من هذه الانتقادات، يسهم تحليل «بافينروث» الشامل باستمرار في البحث في «ل»، هذه المساهمة يجب أن تأخذها البحوث التي ستجرى في المستقبل بعين الاعتبار.

[110]– هنا يجب علينا أن نتذكّر بأننا نملك هذه المصادر الافتراضية بالقدر الذي استخدمه كتاب الأناجيل لها. فعلى سبيل المثال، إن استخدام لوقا لمرقص على نحو انتقائي وخلاق لهو مؤشر حسن له بأنه قد يكون استخدم «ل» بالطريقة نفسها.

[111] – علق مانسون على نصوص «م»، وقدم لها خلاصة من ثماني صفحات، تناقش فيها السمات العامة والمواضيع اللاهوتية لـ «م». ومع ذلك، فقد أفسد تحليله عندما أدرج الكثير من النصوص المعروف أنها تعود لـ «ق».

[112] – شنيل، كتابات، 174. – ومع ذلك، فقد قال هانز كلاين: إن «م» منظم في ثلاث فئات وفقاً للشكل وللمضمون، وإن القصص التي تتحدث عن التحول إلى الفقراء وإلى المعاناة، والأقوال حول الناموس التي تحذر من التراخي في الحياة، والأقوال بشأن المجتمع وكل من القادة والأتباع، كل ذلك يبني أساساً متيناً لحياة الكنيسة.

[113] – يتعارض هذا الرأي مع الفهم العام بأن الأدب المسيحي المبكر كان من أجل الاستخدام الداخلي.

[114]– يقال إن الرمز «ق» (Q) مشتق من الكلمة الألمانية: «Quelle – المصدر»، لكن هذا ليس أكيداً على الإطلاق. انظر جون ج. سميث، البحث عن أصل الرمز (Q)، دورية الأدب الإنجيلي، 100 (1981) 609 – 611.

[115] – في وقت لاحق، أشار التلمود المقدسيّ مرتين إلى (kinukos) على أنه الرجل المجنون. كما أن وصفَ شخصٍ ما بأنه «أبيقوري»، هي أيضاً تكنية سلبيةٍ في التلمود.

[116] – إن أجزاء من هذا القسم ومن الأقسام أدناه حول إنجيل بطرس والأدب اليهودي المسيحي مأخوذة من مقالة المؤلف: «أوصاف لموت يسوع من خارج إطار القانون الكنسي» في موت يسوع في المسيحية المبكرة، تحرير جون كارول وجويل ب غرين (بيبودي، ماساتشوستس: هندريكسون، 1995) 148 – 161.

[117] – عندما نسب الغنوصيون تعاليمهم إلى يسوع، كان يسوع المتألِه هو الذي تفوه بتلك التعاليم، وحتى الأقوال التي تشهد تقاليد أخرى بأنها تعود ليسوع الدنيوي. فيما أصبح يعرف بالمسيحية الأرثوذكسية، ترد معظم تعاليم يسوع على أنها مستمدة من فترة دعوته العامّة، قبل موته وقيامته. وتقول بعض الأبحاث الحديثة بأن الأعراف التي تجمعت في الأناجيل الكنسية تميل إلى إرجاع أشكال معينة لكلام السيد المسيح الإلوهي والتي جاءت عن طريق الأنبياء إلى حياة يسوع الدنيوية، الأمر الذي يتعارض مع الغنوصية.

[118] – لا يمكن الخوض بصورة كاملة في القضيّة الجدليّة المتعلّقة بتعريف «المسيحيّة اليهوديّة». ولكننا يمكن أن نفهمها على نحو غير رسمي على أنها: ذلك القسم من المسيحيّة المبكرة التي غلب على المنضميّن إليها اليهود بالولادة أو الاعتناق، وفي الممارسة، وعلى الأخص التقيّد بشريعة موسى، وفي الاعتقاد والإيمان، كمحاولة التعبير عن المسيحيّة بمفاهيم يهودية. وكما اقترح عدد من الباحثين، فإن التسمية «اليهود المسيحيون» هي غالباً أدقّ من تسمية «المسيحيون اليهود».

[119] – فان فورست، صعود يعقوب، 56 – 58.